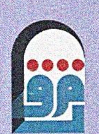
علي مولا



المركز القومى للترجمة

طرح الأسئلة المناسبة

مرشد للتفكير الناقد

م. نيل براون

ستيوارت م. كيلى

ترجمة وتحرير

نجيب الحصادى

محمد أحمد السيد

1390

طرح الأسئلة المناسبة

(مرشد للتفكير الناقد)

المركز القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد : 1390
- طرح الأسئلة المناسبة (مرشد للتفكير الناقد)
- م .نيل براون ، ستيورات م . كيلى
- نجيب الحصادى، محمد أحمد السيد
- الطبعة الأولى 2009

هذه ترجمة كتاب :

Asking the Right Questions:

A Guide to Critical Thinking

by : Neil Browne; Stuart Keeley

شارع الجبلاية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة . ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ – ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo

E.mail:egyptcouncil@yahoo.com Tel.: 27354524 - 27354526

Fax: 27354554

طرح الأسئلة المناسبة

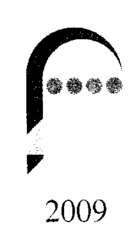
مرشد للتفكير الناقد

تأليف :

م . نيل براون ستيوارت م. كيلي

ترجمة وتحرير :

نجيب الحصادى محمد أحمد السيد



2009

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

براون، نيل
طرح الأسئلة المناسبة : مرشد للتفكير الناقد/ تأليف : نيل براون، ستيوارت م. كيلى؛ ترجمة وتحرير: نجيب الحصادى : محمد أحمد السيد
ط ١ القاهرة : المركز القومى للترجمة، ٢٠٠٩
٣٨٤ ص، ٢٤ سم
(أ) كيلى ، ستيوارت . (مؤلف مشارك)
(ب) الحصادى، نجيب (مترجم ومحرر)
(جـ) السيد ، محمد أحمد (مترجم ومحرر مشارك)
العنوان ١٤٢

رقم الإيداع ٢٠٠٩/٧٥٠٢
الترقيم الدولى I.S.B.N. 978 - 977 - 479-131-1
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

المحتويات



تقديم

إلى عهد جدّ قريب، اقتصر تدريس مهارات التفكير الناقد فى أغلب جامعات العالم على تدريس مقرر فى علم المنطق الصورى، يغمر المتلقين فى فيض من القواعد الرمزية، ويخفق فى إكساب تلك المهارات. ولئن مكّن هذا المقرر دارسيه من التعرف على سبل تجنب بعض الأغاليط المنطقية، فإنه يعجز غالبًا عن جعلهم قادرين على الدفاع عن وجهات نظرهم وتفهم وجهات النظر التى يعترضون عليها. وكما يقر جاكوب هنتيكا، أحد أبرز أعلام المنطق المعاصرين:

> **كان المنطق فى الأصل دراسة للتفوق فى التفكير، لكنه صار مجرد دراسة لكيفية تفادى الوقوع فى الأخطاء فى المنطق، عوضًا عن حفاظ المرء على فضيلته المنطقية، إذ يتم تخصيص معظم الوقت لتعريف الطلاب بقواعد استدلالية لا تعدو أن تكون قواعد احترازية لتفادى الأوهام والضلالات، وتفشل من ثم فى تبيان كيف يفكر الناس، وكيف يتوجب عليهم أن يفكروا**[١]؟.

وتمامًا كما أن المرء لا يتقن لعبة الشطرنج بمجرد معرفة قواعدها، وإن تسنت له معرفة متى يتم اختراقها، فإن تعلم قواعد القياس المنطقى لا يضمن تنمية مهارات التفكير الناقد، وإن أمكن توظيفها فى الكشف عن بعض الحجج الفاسدة. ثمة حاجة

(١) "جاكوب هنتيكا" حول المهام التعليمية للفلسفة "ديوجين، العدد ١٩٢/١٣٦، المجلس الدولى للفلسفة والعلوم الإنسانية، مطبوعات اليونسكو، يناير ٢٠٠٣، ص. ٩٠.

ماسة إلى الدراية باستراتيجيات تقحم المتعلم فى عملية التفكير، ولا تقتصر على تطبيق قواعد شكلية بطريقة آلية صرفة.

معظم المعارف البشرية، التى تشكل قوام الحياة البشرية، استدلالية من حيث بنيتها، فالمرء لا يقف بنفسه على كل معارفه، بل يخلص إلى كثير منها استناداً إلى معارف أخرى استقاها إما من خبرات مباشرة أو معتقدات استدل عليها استدلالاً. ولأن كثيراً من الاستدلالات البشرية تعانى من اختلالات جمة، ثمة حاجة إلى علوم تعين على التيقن من صحة ما نخلص إليه من نتائج، أو ترجيح صحته على أقل تقدير. هذا هدف العلوم المنطقية على وجه العموم. وعلى وجه الخصوص، فإن الوصول إلى قرار مستنير بخصوص أكثر النتائج وجاهة غاية كل تفكير ناقد.

يتطلب تحقيق هذه الغاية إجراء سلسلة مركبة من العمليات المترابطة. الأعمال التى قمنا بترجمتها فى هذا الكتاب إنما تفصّل فى طبيعة هذه العلميات وتوضح خطوات تطبيقها، وتسهم فى إكساب القدرة على توظيفها فى الحياة العملية. وعلى الرغم من اختلاف مصادر تلك الأعمال، فإنها تجمع على وجوب إقحام المتلقى فى عملية تفاعل نشط مع ما يكتسب من معتقدات ومعارف؛ تفاعل يسهم فى تحديد بنية ما يقال، ويبحث بشكل مستديم عن مبررات تسوغه؛ تفاعل يتعاطف مع ما يقره الآخرون، ولا يحاول أن يطرح أرضا رجالاً من قش؛ تفاعل يكشف عن الأحكام المضمرة التى يصادر عليها دون برهنة، ويسهم فى الحكم على قدرة ما يطرح من مبررات على دعم ما يخلص إليه من نتائج.

التفكير الناقد نشاط مقلق بطبيعته، فهو محاولة لامتحان افتراضات نقرها أو نصادر عليها أو نسلك بمقتضاها. غير أن الناس لا يرغبون فى أن تمتحن افتراضاتهم وتبتلى تصرفاتهم أكثر مما يجب، ولا يروقهم - على حد تعبير إزيا برلن - أن تصبح جذورهم بادية فى العراء. معظم البشر، فيما ينبهنا رسل، يفضلون الموت على التفكير، غير أن الحياة غير المتفكرة ليست بشرية بأى حال.

ثمة مبدأ يضمره كل تفكير ناقد، مؤداه أن الحقيقة ليست فى حوزة أحد، وأن قيمة الفكرة إنما تكمن في وجاهة ما تؤسس عليه من أسباب، وأن الحوار مع الآخرين أفضل سبيل لفهمهم والإفادة من تجاربهم. على هذا النحو يعد الاهتمام بمهارات التفكير الناقد مشروعًا تنويريًا يكرس قيم العقلانية والموضوعية والتعددية والتسامح الفكرى. التغاضى عن رأى الآخر، إسكاته أو التقليل من شأنه لمجرد أنه لا يتسق مع ما نقر من معتقدات، جريمة فى حق أنفسنا قبل أن يكون جريمة فى حقه. وعلى حد قول وليم جيمس:

فإن خطيئة إخراس التعبير عن الرأى سطو على الجنس البشرى بأسره؛ الجيل القادم فضلا عن الراهن؛ الذين يعارضون الرأى وأكثر منهم من يقولون به. إذا كان الرأى صائبًا فإنهم يحرمون من فرصة إبدال الحق بالباطل؛ وإن كان مخطئًا، فإنهم يخسرون ما يكاد يجلب نفعًا مماثلاً: الإدراك الأصفى للحق، والانطباع الأكثر حيوية له، الناجمين عن مقارعته بالباطل[٢].

لم يكن اختيار هذا الكتاب أمرًا هينًا بأى حال، لا بسبب ندرة ما كتب فى التفكير الناقد بل بسبب وفرته. لقد كان بالمقدور الركون إلى كتب ونصوص أخرى، إذ ليس لنا أن نزعم أن هذا أفضل ما كتب فى ذلك التخصص. المفاضلة نسبية، فهى ترتهن بالمعايير التى تمت وفقها، والقول بوجود بدائل أفضل قد لا يعنى سوى الحكم بتوافر معايير مغايرة. غير أننا نحسب أنه وفق معايير الشمولية فى تغطية أهم المحاور، والبساطة فى العرض، ووفرة الأمثلة التطبيقية، ما كان لنا أن نختار سوى ما اخترنا، أقله بمقتضى درايتنا بما يتوافر من أعمال فى هذا المجال.

على ذلك، ثمة معيار لم نأخذ به، ولعله لزام علينا تبرير إحجامنا عن الأخذ به. الأمثلة التى تعرضها الأعمال المترجمة مستقاة فى أغلبها من المجتمع الغربى،

(2) John stewartmill, "on Liberty" in Max Lerner, ed, *EssenTial works of Jehn stewart Mill* (New york : Bantam Books, Inc., 1961) p. 269.

الأنجلوسكسونى تحديداً، وهى لا تشكل بحال القضايا الأكثر أهمية فى ثقافتنا. الإجهاض والاستنساخ والمواد الإباحية وقتل المرحمة وامتلاك الأسلحة والقصاص عبر تنفيذ عقوبة الإعدام، وما فى حكمها من قضايا خلافية فى كثير من المجتمعات الغربية، مسائل لا تحظى عندنا بالأولوية، بحسبان أن القضايا الأخلاقية التى يتخذ منها الدين موقفًا صريحًا ـ وكثير من القضايا التى نعرض لها على هذه الشاكلة ـ لا تشكل القضايا الأكثر حظوة باهتمام مجتمعنا.

غير أن هذا بذاته لا يقلل بحال من أهمية هذا الكتاب الذى يفترض ألا يعنى بالمسائل المناقشة قدر عنايتها بمنهج نقاشها. بديل تبيئة هذه المسائل فى ثقافتنا العربية، أى ضرب أمثلة مستقاة من الواقع العربى، ظل متاحًا، غير أننا آثرنا ألا نتبنى هذا الخيار، حتى لا نجور على الأفكار الواردة فى الكتاب، فضلاً عن قناعتنا بأن الدارس العربى والقارئ بصفة عامة بات على وعى وقدرة ورغبة فى فهم ما يدور حولنا والتعرف عليه.

بداية، القضايا التى يفترض أن يسهم التفكير الناقد فى حسم أمرها قضايا خلافية فى سوادها الأعظم، إذ لا جدوى عادة من إعمال المرء مهاراته النقدية فى مسألة يتفق فى الحكم عليها مع الآخرين. الحال أنه كلما كانت المسألة أكثر خلافية، كانت أدعى لإعمال المهارات النقدية. وفق هذا، كان أمامنا خياران: تبنى مواقف من القضايا الخلافية التى نعرض لها، أو الاقتصار على طرحها دون اتخاذ مواقف منها.

البديل الأول حرى بإثارة حساسيات قد لا يليق المقام بإثارتها، خصوصًا فى مجتمع يظل أسير العديد من التابوهات الثقافية، كما أنه يقحمنا فى جدل قد ينأى بنا عن مقاصد هذا الكتاب، بل لعله يسهم فى اتخاذ البعض موقفًا سلبيًا منه. مهما كانت طبيعة الموقف الذى نتخذ، فإن حقيقة أننا ننشأ فى بيئة لا تشجع الحوار تظل عائقًا لا يستهان به. صحيح أنه يتعين أن يكون التشجيع على الحوار من ضمن مهام من يقوم

بتدريس مهارات التفكير الناقد، غير أننا نفضل إنجاز هذه المهمة بسبل أكثر مناسبة، سوف تستبان عما قليل.

بديل عرض القضايا الخلافية دون اتخاذ موقف منها إنما يتغاضى عن كونها مسائل أكثر حاسمية من أن يعلق الحكم بشأنها. بتعبير آخر، فإن الاقتصار على سرد الحلول الممكنة، قد يشى بأن كل الحلول ممكنة على حد سواء. ثم إن عرضها دون اتخاذ موقف منها والدفاع عنه، إنما يعنى عمليًّا الإحجام عن توظيفها أمثلة على كيفية إعمال مهارات التفكير الناقد.

من منحى آخر، فإن الدراية بأهم القضايا التى تشغل المجتمع الغربى المعاصر أمر ضرورى لثقافتنا العربية والإسلامية، سواء اعتبرت نفسها فى صراع مع ذلك المجتمع، أو حاولت إقامة حوار حضارى معه، أو تطلعت إلى محاكاة بعض أنظمته ومؤسساته وسبل عيشه. لم يعد الانفتاح الثقافى الذى يشهده العالم المعاصر يتيح المجال للانكفاء على الذات والتشرنق حول مشاغلها، كما أن المجتمع "الآخر"، مهما اختلفنا معه فى رؤيته للواقع، يظل بشريًّا، والقضايا التى تؤرقه، مهما اختلفنا معه فى سبل حسمها، تظل إنسانية.

ينضاف إلى هذا أن الثقافة الغربية أكثر جرأة فى نقاش قضاياها، وأكثر حرصًا على إعمال ملكات التفكير الناقد فى تناولها. حسبنا أن نطّلع على الصحف الغربية لنقدر مدى الاهتمام الذى توليه تلك الثقافة لسرد الحجج والأدلة، ونستشعر المسحة الارتيابية التى تكتنف ما تصدر من أحكام. فى المقابل، تحشد صحافتنا العربية بالأحكام الجزمية، وتحفل بالتعبيرات الإنشائية والخطابية، والمسكوت عنه فيها أكثر مما يقال. وبطبيعة الحال، ثمة استثناءات لافتة، فى الصحافتين العربية والغربية، تلزمنا بإبداء بعض التحفظات على هذا الحكم، لكنها تظل استثناءات بمقتضى الطابع العام الذى تتسمان به.

يمكن أيضًا عدّ عناية ما قمنا بترجمته بقضايا تشغل المجتمع الغربى المعاصر دون أن تشغل مجتمعنا منقبة تحمد له لا مثلبة يلام عليها، كونها تمكن من ولوج عملية

التفكير الناقد عبر دروب ميسرة نسبياً. ذلك أن الخوض فى قضايا لا تستثير الحفائظ ولا تستنفر العواطف ـ لأنها منعزلة عنا بدرجة أو أخرى ـ إنما يسهم فى تبيان كيف أن هناك أوجها متعددة ومغايرة للثقافة والعيش والحياة، أوجهًا لا تقل شرعية من حيث إنسانيتها عن تلك التى ألفناها. الثقافات المختلفة رؤى متباينة فى الواقع، لكن العالم نفسه لا يتشبث ضرورة بأى منها، وإن تشبث بأى منها، فإننا نجهل هوية ما تشبث به. الحال أننا بتناول قضايا تشغل أمماً أخرى، تأسس الانشغال بها على قائمة مختلفة من الأولويات، إنما نسهم فى شحذ رباطة الجأش فى مواجهة ما ننكر من قضايا، ونتعلم كيف نجادل الآخرين دون مصادرة على تعاليم نجزم بصحتها. وكما يقول هنرى برجسون، فإن صفاء الذهن يستدعى قطعية مؤقتة مع العرف المفيد. هذه هى روح التسامح الفكرى التى يكون هذا المقرر أنجز الكثير لو أنه اقتصر على تكريسها.

وبطبيعة الحال، لا يحول هذا دون إثارة مسائل تهم مجتمعنا، يتعين على الطلبة مناقشتها والقراء تأملها، بل إن القيام بذلك رغيبة ترام، كونه يبقى على القضايا التى تشغلنا مفتوحة وقابلة لتطبيق المنهج الناقد المقترح، دون التأثر بأية حلول ممكنة، ما يسهم فى تكريس المقاصد البيداغوجية التى صمم الكتاب أصلاً لتحقيقها.

على ذلك، قمنا فى الجزء الخاص بالتفكير الناقد بالقضايا الأخلاقية بتضمين مستلة خاصة بقضية العدالة العالمية، تعرض مسألة لا تتسم بأية خصوصيات ثقافية، مسألة تهم الدول النامية والمتقدمة على حد السواء؛ ولعل فى نقاش هذه المسألة ما يشكل معبراً مناسبًا يجسّر الهوة التى تفصل بين أساليب هاتين الثقافتين فى تناول ما يشغلهما من هموم.

وغنى عن فضل البيان أننا لا ندعو بحال إلى تبنى أى موقف بعينه من أية مسألة خلافية، فللوعظ مقام يليق به. حسبنا أن يخلص الدارس والقارئ من قراءة هذا الكتاب إلى تشكيل آراء وقرت فى عقله صحتها، وأدرك مبررات الحكم بوجاهتها، وجرؤ على إعلانها على الملأ بغية التعرف على مواطن ضعفها؛ ولنا أن نستشهد

بموقف طه حسين، أحد رواد النزعة التنويرية فى ثقافتنا العربية، من أستاذ لحقه الأذى من إعلانه رأيًا أنكره الناس عليه، حيث قال:

> **إن هذا الأستاذ بين اثنين: إما أن يكون قد قال الحق، فليس لأحد عليه من سبيل، وإما أن يكون أخطأ وحاد عن القصد، فليس لأحد عليه من سبيل، إلا أن يرد عليه خطأه، ويبين له وجه الصواب، وينصح الناس ألا يتبعوه. أما ما فوق ذلك، فلا ينبغى لأحد أن يطمع فيه، ذلك أن الله لم يعصم الناس عن الخطأ.**

ثمة خصائص عديدة يحفل بها *الكتاب الراهن*، من بينها شمولية العرض وبساطته، وفرة أمثلته وخلوه من الرموز والقواعد الصورية، من أهم مميزات هذا الكتاب. أيضًا، فإن هذه الطبعة، فيما يقر مؤلفا الكتاب فى مقدمته، تؤكد الأبعاد الإيجابية فى التفكير الناقد على نحو يجعل قراءه أنزع إلى استخدام المهارات والمواقف التى يتعلمونها؛ كما تذكرهم باستمرار بأن كل مهارة ليست سوى جزء من عملية نقدية بناءة، توليفة متماسكة من قدرات يكمل بعضها بعضًا، يتوجب أن تتوج بالتزام قابل لتعديل.

يطرح الكتاب خطوات التفكير الناقد على نحو لا يفترض أية خلفية منطقية، كما أنه يتبنى نهجًا تساؤليًا محددًا، حيث يقترح جملة من الأسئلة يتوجب على ممارس عملية التفكير الناقد طرحها تباعًا، بحيث يتأكد من أن الرأى الذى خلص إليه لا يركن إلى أية اعتبارات ذاتية. هكذا تؤسس المهارات التى يتم اكتسابها على سلسلة من الأسئلة النقدية المترابطة، بل إن مفهوم التفكير الناقد نفسه إنما يعرّف فى هذا السياق على أنه الوعى بجملة من مثل هذا الضرب من الأسئلة والقدرة على إثارتها والإجابة عنها فى أوقات مناسبة.

يتميز هذا الكتاب أيضًا بالمسحة الارتيابية التى تكتنفه. إنه يقبل مبدأ تعددية الأجوبة الوجيهة فى حل أية مسألة خلافية. وكما أسلفنا، نادرًا ما يكون هناك موقف

من مسألة خلافية يمكن القطع بصحته. الحال أن المسألة لا تكون مهمة إلا بسبب الخلافات الحادة التى تنشأ حول سبل حسمها. وفق هذا، فإن الكتاب لا يعد بطرح أجوبة صحيحة عن المسائل الخلافية، لكنه يضمن إكساب المهارات اللازمة لتطوير أفضل إجابة وجيهة تسمح بها طبيعة المشكلة والمعلومات المتوافرة.

بيد أنه لا يوصد باب الاجتهاد فى وجه الخصوم، بل يؤكد ضرورة أن يختار القارئ الموقف الذى يراه مناسبًا، مبينًا على وجه الضبط استحقاقات تبنى مثل هذا الموقف. أيضًا فإنه يعمل على تكريس دور الحقائق فى الإسهام فى تشكيل الرؤى الأخلاقية والاعتراضات عليها، قدر ما يوضح المصادرات الخفية التى تفعل فعلها فى مواقفنا الأخلاقية، مبينًا ضرورة فضحها فى العراء، توطئة إما للدفاع عنها أو التنصل منها، أو تعديلها.

أيضًا قمنا بترجمة بعض الدراسات الحديثة المعروضة على شبكة المعلومات التى تعرّف بالتفكير الناقد وتحدد مكمن أهميته وجدواه، وتبين المهارات المعرفية التى يفترض أن يكتسبها دارس هذا المقرر، كما تؤكد البعد النزوعى فى عملية التفكير الناقد. فضلاً على ذلك، فإن هناك إشارات إلى مجموعة من المواقع المعروضة على شبكة المعلومات التى تعنى بعمليات التفكير الناقد، يمكن أن يفيد منها مدرسو المقرر وطلبته على حد السواء.

الدور الذى يقوم به مدرس هذا الكتاب ليس تقليديًا بأى حال، إذ لا يفترض أن يمثل دور "الحكيم على المنصة" **(The sage on the stage)** بل أن يكون بمثابة "الناصح على الناصية" **(The guide on the side)** . وعلى حد تعبير بيتر فاشينو، ينبغى على الطلبة التحرر من سلطة الأستاذ، والانعتاق من وهم أنه معصوم عن الزلل، بل إن براعة المدرس إنما تقاس بقلة اعتماد طلابه عليه(٣).

---

(3) Pe Ter A. Facino, Critical Thinking, what It Is and Whyit Counts, www. insightas-sessment, com.

على ذلك فإن نفع هذا الكتاب لا يقتصر على القطاعات الطلابية. كل ما نقوم به إنما نقوم به وفق بواعث ومبررات بعينها؛ غير أننا نادراً ما نتقصى هذه البواعث والمبررات للتأكد من وجاهتها. هكذا قد يبتاع المرء سلعا دون التفكر فى مدى حاجته إليها، وعادة ما يقع ضحية حملات التضليل التى تشنها الحملات الإعلانية عبر مختلف وسائل الإعلام. غالبًا ما يسلك الأب مع أبنائه مسلكيات تأتى عفو الخاطر، دون أن يفكر فيما إذا كانت تسهم فى تعزيز احترام الابن لنفسه، أو تشجعه على تحمل مسئولية تصرفاته. كثيرون منا لا يفكرون بطريقة نقدية فى علاقاتهم بالآخرين، أكانوا أصدقاء أو زملاء عمل أو شركاء حياة. المريض يصدق ما يقوله الطبيب الذى يثق فيه، على الرغم من أن ثقته فيه قد تكون مؤسسة على اعتبارات ليست موضوعية، والمدرس يتشبث بالطريقة التى درس بها طيلة حياته المهنية، ويكلف طلبته بالقيام بأعمال لا تشجع على تشكيلهم رؤى مستقلة فى الحياة. هذا يعنى أن الحاجة إلى التفكير الناقد لا تقتصر بحال على ذوى الاهتمامات الأكاديمية بل نكاد نلمسها فى كل مشاغل الحياة.

إن حياة لا تمتحن، فيما يقول سقراط، ليست جديرة بالعيش، ولا ريب أن الحياة التى تعاش دون تفكير ناقد حياة لا تمتحن. يبدو أن عيش حياة تليق بالإنسان، أى بكائن العقل مكمن تفرده، إنما يرتهن باكتساب مهارات من القبيل التى يعنى هذا المقرر بالتفصيل فى استحقاقات اكتسابها. ثمة من يذهب إلى حد إقرار أن:

العاجز عن التفكير بطريقة نقدية عاجز عن اتخاذ قرارات عقلانية؛ والعاجز عن اتخاذ مثل هذه القرارات يتوجب ألا يترك طليق السراح، فكونه يتصرف بطريقة غير مسئولة إنما يعنى أنه يشكل خطراً على نفسه وعلى الآخرين[٤].

(4) I bid.

لعل هذا يكفى لتبيان أهمية التفكير الناقد، ويبقى أن نحمل هذه الأهمية محمل الجد ونخوض فى استيفاء استحقاقات هذا الضرب من التفكير.

أخيرا، يتعين أن نشير إلى أن المؤلفين يغيران من بعض الأمثلة المستخدمة فى كل طبعة جديدة من طبعات الكتاب مع الاحتفاظ بنفس الحجج والبراهين الأساسية، ومن ثم فقد قمنا بترجمة بعض الأمثلة المستخدمة فى الطبعة السادسة (٢٠٠٤) عوضًا عن الأمثلة التى وردت فى الطبعة الثامنة لاعتقادنا بأنها أفضل وأشمل فضلاً عن أنها لا تنتقص من المحتوى.

(*) قام الدكتور نجيب الحصادى بترجمة الفصول: من الأول حتى السابع، وقام الدكتور محمد السيد بترجمة الفصول: من الثامن حتى الرابع عشر والخاتمة.

تقديم

(الطبعة الثامنة)

الطبعة الثامنة إسهامنا المتواضع فى الجهد الجماعى المبذول قصد تسليط الضوء على منافع التقويم المتسم بالحرص والعقلانية لعمليات الاستدلال. ولئن كنا جد سعداء بالنجاح الذى حققه هذا الكتاب عند عقود من القراء في العديد من البلدان واللغات، لا يسعنا سوى أن نلحظ الفشل الفادح فى احترام الشواهد، والاستخدام السيئ للغة، واستبدال العقل بالشكوى والصياح فى الكثير من حوراتنا العامة. إن مطلب أن نكون انتقائيين فى الحجج التى تتبنى أمرًا أساسيًا للعيش اليومى الناجح، بقدر ما هو أساسى للمآزق المحبطة الجمة التى لا ريب أنها تصيب مستقبلنا برمته. خيار تجاهل المشاكل حين تثار ليس واقعيًا. وحتى حين نتجاهلها فترة من الزمن، فإنها لن تلبث حتى تستأثر باهتمامنا. لهذا السبب، سوف نحتاج حال وجوب مواجهتها إلى إعداد القدر الذى نستطيع من المفكرين النقاد لتصنيف وانتخاب الاستجابات المثلى. إن بمقدور *طرح الأسئلة المناسبة* أن يكون أداة فعالة فى التشجيع على تأدية هذه المهمة.

كلما طال الأمد بالكتاب، قل قدر اعتبار مؤلفيه الأصليين منتجين له. إن نجاح *طرح الأسئلة المناسبة: مرشد للتفكير الناقد* إنما يعد تقديرًا لنصيحة مجزية كان أسداها إلينا قراء كثر أفصحوا لنا عن معتقدهم بأنه فى وسع إنجازنا أن يتحسن المرة القادمة. الحال أن التخير بين مقترحاتهم كان شكَّل واحدًا من أعظم التحديات التى واجهتنا.

الرغبة فى الحفاظ على خصائص *طرح الأسئلة المناسبة الأساسية*، والتكيف فى الوقت نفسه مع مواضع تأكيد جديدة، ومع حاجات القراء المتنامية، ظلت على حالها تحظى دائما بالقدر الأكبر من الأهمية. مثال ذلك، فى حين كان بمقدورنا دائمًا التفكر فى العديد من الإضافات التى نقدّر أنها سوف تعزز طبعة جديدة من هذا الكتاب، رغبنا قبل كل شىء فى الاحتفاظ بصغر حجمه وبيسره على القراءة؛ ووفق هذا أبدينا استعداداً لدفع ثمن التغاضى عن العديد من الأشياء التى كان لها أن تكون مناسبة فى معالجة أكثر إحكامًا للتفكير الناقد، لأن الذين تبنوا أو تعلموا من *طرح الأسئلة المناسبة* لاحظوا مراراً وضوح نهجنا وتماسكه. ولا ريب أن القراء الذين لا يجدون ملاحظاتهم قد ضمنت هنا سوف يفهمون أن الكتابة للقارئ غير المتخصص تلزمنا بالتغاضى الكثير من الأجزاء القيمة التى كنا نؤثر تضمينها لو كنا نكتب لقراء أكثر تخصصية.

هذه الطبعة، شأن سابقاتها، طبعة معدلة، وإن أبقت على الإطار الأساسى لدليل مبسط للتفكير الناقد. لقد أفادت الطبعة الأخيرة بوجه خاص من عيون العديد من الطلاب الناقدة الذين درسوا هذا الكتاب. غير أن الجديد بوجه خاص فى هذه الطبعة إنما يتعين فى التالى:

١ - إعادة كتابة معظم التمارين التطبيقية والكثير من الأمثلة التوضيحية لأن فرق الطلاب والمدرسين الذين كنا نقوم باستشارتهم فضلوا الأمثلة الجديدة، بعد أن وجدوها أكثر حيوية وتعلقًا بخبرة الطلاب المعاصرين.

٢ - تأكيد أن التفكير الناقد ليس فى أساسه محاولة لإثبات ما هو خطأ فى تفكير الآخرين، بل محاولة لتحسين معتقدات وقرارات يتعين على كل منا اتخاذها.

٣ - توسيع موقع شبكة المعلومات الذى يشمل فرصًا عملية متعددة ومتنوعة استجابة لحاجة عدد متزايد من الطلاب والمدرسين الراغبين فى تيسير مواد عملية عبر هذه الشبكة.

٤ - تسليط الضوء على قيم التفكير الناقد فى تأمين مبرر أقوى لاعتبار التفكير الناقد أمراً أساسياً للحياة المعنية بتأثير سلوكياتنا على الآخرين.

التفكير الناقد فى بدايته عملية استجابة. أحياناً يخلص المرء إلى نتيجة ومبررات يزعم أنها تسوغ هذه النتيجة. تتعين مهمتنا فى تقرير ما إذا كانت الحجة من القبيل الذى نرغب فى تبنيه. لذا فإن كل استدلال يوفر مادة خامة لممارسة عملية يعد تفكيراً ناقداً.

على ذلك، فإننا أكثر عناية بحجج منا بحجج أخرى، لأن بعض الاستدلالات تبدو أكثر تأثيراً على حياتنا. لهذا السبب، إذا رغب الأشخاص الذين يتعلمون التفكير الناقد فى إمضاء ساعات فى ممارسة التطبيقات اللازمة لجعلهم قادرين على التفكير الناقد، فإننا نحتاج إلى عينة من الحجج التى تروق بوجه خاص لمستخدمى الكتاب الأساسيين. هكذا قررنا التعويل بشكل كبير على خلفيات الطلاب بخصوص اهتمامهم بفرص عملية بعينها. الناتج تحسن جوهرى فى محتوى التمرينات التطبيقية وتنوعها.

أكدت الطبعة السابعة أهمية المهارات الاجتماعية التى تشجع على استخدام التفكير الناقد. لقد حافظنا على هذا الاهتمام فى الطبعة الجديدة، كما عززناه بتشجيع متواصل على تشكيل التفكير الناقد بطريقة بعينها. لقد تعلمنا هذا من زملائنا فى اليابان الذين وجدوا أن الطلاب اليابانيين يقاومون نقد الاختلالات التى تعانى منها استدلالات الآخرين. ولكن ما إن اعتبر هؤلاء الطلاب التفكير الناقد سبيلاً لإحداث تطور محسّن فى طريقتهم فى التفكير، حتى تشبثوا بالتفكير الناقد مهارة وعادة. طلابنا بدورهم يقاومون نقد الاستدلالات بسبب الآثار الاجتماعية لانتقاداتهم. غير أن هذه المقاومة غالبا ما تختفى حين يشرعون فى استشعار الأثر الإيجابى الذى تحدثه مثل هذه الانتقادات على تأملهم الواعى.

لقد بذلنا جهداً خاصاً فى هذه الطبعة فى تحسين الموقع على الشبكة الدولية، حيث تم تنظيمه فصلاً بفصل، وهو يشمل تمارين تطبيقية متفاوتة الحجم والتعقيد.

فضلاً عن ذلك، يحتاج المتعلمون أيضًا إلى التعرض لحجج قوية نسبيًا. لقد أردنا تأكيد ما هو قوى بوجه خاص فى هذه الحجج، كى نؤمّن للقارئ نموذجًا لما هو ممكن حين يحاول المرء أن يستدل بشكل جيد. إننا نحاول تضمين المزيد من التمارين التطبيقية صحبة تغذية إرجاعية تعرض على موقع الطلاب، بالإضافة إلى اختبارات موضوعية قابلة للتصحيح الذاتى فى كل فصل، وجزء موسع من "أجوبة المؤلفين على أسئلة الطلاب النمطية". سوف يتم أيضًا إثراء موقع المدرسين بالمزيد من المقترحات الخاصة بتكليفات الطلاب وبأمثلة على أوراق الطلاب المتفوقين البحثية تصحبها تعليقات توضح أساس هذا التحديد.

وفي سياق توكيد دور القيم في ترشيد التفكير الناقد، تستغل الطبعة الجديدة كل فرصة فى تسليط الضوء على القيم التى توحد بين من يأمل منا فى التفكير بطريقة نقدية. لو لم نكن موالين بوجه خاص للاستقلالية، والوجاهة، والفضول، والالتزام، ما كان لنا أن نكون على استعداد لبذل الجهد الذى يتطلبه التفكير الناقد. إن هذه الطبعة الجديدة تركز على جعل هذه الافتراضات واضحة للقارئ.

النجاح الذى حققته الطبعات السابقة من هذا الكتاب شهادة دامغة على انشغالنا الجمعى بما نعتقد فيه. إن عقولنا تتعرض لمختلف أنواع الهجوم التى يشنها الخبراء والمحتالون على حد السواء. التخير بين مزاعمهم حول ما ينبغى علينا تناوله من أطعمة، وممارسته من مسلكيات، والاعتقاد فيه من آراء، مسئولية غاية فى الصعوبة. نعلم أننا نحتاج إلى كل العون الذى نستطيع الحصول عليه لحماية أنفسنا من المخاطر المتضمنة فى الترهات. باختصار، فإننا نرغب فى التفكر بحرص شديد قبل الالتزام بأى معتقد.

أفدنا منذ مطلع تاريخ هذا الكتاب من مختلف الخبرات والملاحظات الشخصية. بداية، راعنا قدر اعتماد الطلبة والمواطنين بوجه عام على "الخبراء"، ومؤلفى الكتب المرجعية، والمدرسين، والمحامين، والساسة، والصحفيين، ومعلقى برامج التلفزة. وبحسبان أن حدة تعقيد العالم تتنامى وفق معدل متسارع، ثمة نزوع أقوى شطر

التشرب السلبى للمعلومات، ما يجعلنا نقبل ما نسمع وما نقرأ بسبل ليست نقدية. إننا نخشى من أن كثيراً منا لا يقوم باتخاذ قرارات شخصية فعالة بخصوص ما يتوجب عليهم قبوله وما يتوجب عليهم رفضه.

وفي الوقت نفسه، ليس أمامنا خيار سوى الدأب على الركون إلى الخبراء. ذلك أن الحياة أعقد من أن تمكن الواحد منا من الاقتصار على مصادره الخاصة فى اتخاذ كل قراراته. ولكن إذا توجب علينا أن نعتمد على الخبراء، فكيف نتخير بين هذا الحشد الهائل الذى يخبرنا كل واحد فيه أنه أفضل العارفين؟ بمقدور التفكير الناقد أن يجيب على هذا السؤال. إنه يوفر مجموعة من المصفيات التى يتعين أن يمر منها كل رأى من آراء الخبراء قبل الركون إليه. بتعبير آخر، ليست كل نصائح الخبراء قيّمة بشكل متساو. إن التفكير الناقد يمكننا من أن نكون أكثر انتقائية بشكل وجيه بين الخبراء.

لقد أقنعتنا خبرتنا فى تدريس مهارات التفكير الناقد عددا من السنين لطلابنا بأنه فى حال تدريس هذه المهارات فى صياغة مبسطة لأفراد تتباين قدراتهم، فإنهم يصبحون قادرين على توظيفها بنجاح. إنهم يمسون أثناء تلك العملية أكثر ثقة فى قدرتهم على تبنى خيارات عقلانية تتعلق بمسائل اجتماعية، مهما كان قدر درايتهم السابقة بها.

هكذا قمنا بكتابة مادة تنجز مهام أخفقت كتب أخرى فى إنجازها. إن هذا الكتاب ينمى سلسلة متكاملة من مهارات طرح الأسئلة يمكن تطبيقها بشكل واسع، كما أنها لا تناقش بطريقة صورية (فقد كتب الكتاب للجمهور العام وليس لأية مجموعة متخصصة بعينها).

اعتمد تطوير *طرح الأسئلة المناسبة* كثيراً على خبرة مؤلفيه فى تدريس التفكير الناقد استغرقت فى مجموعها ٦٥ عاما. لقد تطورت أفكارنا استجابة للعديد من الخبرات الصفية التى اكتسبناها من طلاب يدرسون فى مختلف المستويات، بدءاً بطلبة السنة الجامعية الأولى، وانتهاء بطلبة الدكتوراه.

تعلمنا من هذه الخبرات التركيز على بعض الأشياء المفيدة خصوصًا فى تعلم التفكير الناقد، كأن نتيح للقراء الكثير من الفرص لاستخدام مهاراتهم والحصول على استجابة مباشرة عقب إتمام التمارين. أيضًا، فإن هذا الكتاب يحشد بالأمثلة المقتبسة من أعمال كرست لمواضيع خلافية معاصرة. نطاق المواضيع المعروضة الواسع إنما يسهم فى تعريض القارئ العادى للعديد من حالات الجدل التى قد لا يألفها كثيرًا. لقد صمم هذا الكتاب بحيث يكون مترابطا، فالأسئلة النقدية تناقش بشكل متسلسل إبان انتقال القارئ من مرحلة الفهم إلى مرحلة التقويم، كما أنه ينجز تكاملاً بين الأبعاد الإدراك_معرفية والأبعاد القيمية ـ وهذا جانب غاية فى الأهمية فى عملية التفكير الناقد واتخاذ القرارات الشخصية.

من بين الجوانب الجديرة بالتنويه قابلية *طرح الأسئلة المناسبة* للتطبيق على العديد من الخبرات الحياتية خارج قاعة الدرس. هكذا تتسنى الإفادة من العادات والمواقف المرتبطة بالتفكير الناقد فى اتخاذ قرارات تتعلق بأمور من قبيل الاستهلاك، والطب، والقانون، والأخلاق بوجه عام. حين يقر الطبيب ضرورة إجراء عملية جراحية، قد يكون العثور على أجوبة عن أسئلة نقدية سبيلاً لحفاظ المرء على حياته.

ولكن، من الذين سوف يفيدون من هذا الكتاب إفادة خاصة؟ فى ضوء خبرتنا التدريسية مع قراء يمثلون مستويات مختلفة من حيث قدراتهم، يصعب علينا تخيل أية مادة أو برنامج أكاديمى لا يفيد منه. الراهن أن الطبعات السبع الأولى منه استخدمت فى مواد فى القانون، واللغة الإنجليزية، والصيدلة، والفلسفة، والتربية، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، والدين، والعلوم الاجتماعية، فضلاً عن مواد تدرس فى المدارس الثانوية.

على ذلك، ثمة استخدامات للكتاب تبدو أكثر مناسبة من غيرها. قد يرغب مدرسو البرامج التربوية العامة فى الشروع فى تدريس موادهم بتكليف طلبتهم بقراءته، فهو يشكل ردًا متساوقًا على سؤالهم عما هو متوقع منهم. وقد تستخدم مواد اللغة الإنجليزية التى تركز على الكتابة التأويلية هذا الكتاب بوصفه أسلوبًا فى تقويم

الحجج قبل الشروع فى كتابة الأبحاث، قدر ما يمكن لها استخدامه فى تحديد قائمة مرجعية للمشاكل التى يتوجب على الكاتب تجنبها إبان كتابته. أيضاً فإن الكتاب مفيد بوجه خاص فى المواد التى تدرّس فى معاهد إعداد المعلمين ومساعدى الخريجين لأنه يصرح بالكثير مما يود المدرسون حض طلبتهم على القيام به. المهم بوجه خاص هو أنه يشجع على مقاربة منظمة للتفكير التقويمى. وفى حين أنه لا حاجة لأن يكون التفكير الناقد صورياً بأية طريقة، فإن تعلم شىء متعدد المطالب معرفياً مثل التفكير الناقد يكون أيسر حال تبنى نهج تكاملى. تعزيز المحتوى الراهن لمواد تطوير مهارات الطلاب عبر وصف تدريجى لعملية القراءة النقدية والتفكير الناقد قد يسهم بدوره فى إثراء هذه المواد. يمكن أيضاً جعل هذا النص قطب رحى مواد تصمم خصيصاً لتدريس القراءة النقدية ومهارات التفكير.

وفى حين انبثق *طرح الأسئلة المناسبة* أساساً عن خبرتنا التدريسية، فقد كتب بحيث يوجه عادات القراءة والاستماع عند كل شخص تقريبا. المهارات التى يروم تنميتها هى تلك التى يحتاجها أى قارئ ناقد كى يجعل من قراءته أساساً لاتخاذ قرارات عقلانية. الراهن أن الأسئلة النقدية التى يتم التركيز عليها قادرة على تعزيز استدلالات أى شخص، بصرف النظر عن مدى تعليمه الرسمى.

الطبعة الثامنة مدينة للعديد من الناس. بودنا أن نعترف بفضل النصائح المجزية التى قدمها لنا مراجعو برنتس هول **(Prentice Hall)** التالية أسماؤهم:

Patricia Allen, MassBay Community College;

Dr. Alan Baragona, Virginia Military Institute;

Lisa Barnes, Delaware County Community College,

Thomas J. Martin, University of North Carolina;

Charlotte P. Brian, McNeece Imperial Valley Collge;

Michael A. schwartz, University of Florida;

Brian Allan, Wooters Metropolitan Community College;

Thomas Young, Mansfield University.

وفى حين يظل طلبتنا دوما المصدر الأساسى للتحسينات المقترحة، تميز بعض منهم فى هذا الخصوص. تحديداً، أفادت الطبعة السابعة [يقصدان الثامنة] من العون القيم الذى حصلنا عليه من:

Dan Tagliarina, Heather Tewksbury, and Steve Weigand.

م. نيل براون

ستيوارت م. كيلى

الفصل الأول

جدوى طرح الأسئلة المناسبة



تقديم

يتطلع المهتمون بمشاهدة أفلام السينما إلى معرفة محتوى أحدث الأفلام. ومن ثم نحن نتساءل هل يتعين علينا أن نهرع لمشاهدة تلك الأفلام فى الوقت الراهن، أم نتمهل حتى يتاح لنا الحصول عليها من محلات استئجار الأفلام السينمائية الأثيرة لدينا، أم نتجنب مشاهدتها كلية؟ تعج الساحة بالعديد من خبراء السينما الذين يزودونا بنصائحهم. غير أن السؤال يبقى حول أى الآراء نتبنى؟ إذ ما أسهل إبداء الرأى، فكل شخص يمكن أن يكون له رأيه الخاص. غير أننا نريد أن نعرف من هو ذلك الخبير بالأفلام السينمائية الذى يحتاز نمط المعرفة الذى يقدم لنا رأيا يمكننا التعويل عليه؟

إن مؤلفىّ هذا الكتاب من المفتونين بالسينما، غير أن كل واحد فينا يروم أن يكون إنتقائيًا عند اختيار الأفلام التى يشاهدها. وبينما نحن نغرم بالفيلم السينمائى باعتباره وسيطًا، فثمة أفلام عديدة لا نود مشاهدتها. وتعد مسألة اتخاذ قرار فى هذا الشأن أمرًا شاقًا. ولكى نجعل مثل هذه المهمة أكثر يسرًا، فكثيرًا ما نلجأ إلى واحد من مواقعنا الإلكترونية الأثيرة من قبيل:

http://www.rottentomatoes.com

بيد أن أحد أكثر الأمور وضوحًا والتى نتعلمها من خلال قراءة عشرات التحليلات الخاصة بفيلم معين تكمن فى اليقين الذى نصل إليه بعدم تطابق الأحكام الإنسانية. قم باختيار أى فيلم، ثم راجع التحليلات المتعلقة به. بغض النظر عن كثرة عدد الخبراء الذين يمقتون الفيلم، فإنك لن تعدم وجود بعض الخبراء الذين يقدمون

تحليلاً إيجابيًا عن الفيلم. وفى المقابل، قم بالمثل باختيار أفضل الأفلام رواجًا فى التاريخ، وانظر فى التحليلات الخاصة به، ماذا عساك تجد؟ ستعثر على بعض الخبراء الذين يعتقدون بأنه فيلم ردئ.

تعد خبرة مشاهدة الأفلام السابقة بمثابة استعارة للكثير مما يحدث فى مناحى الحياة المختلفة. فالأطباء، والمشرعون، ومهندسو التصميمات، والسباكون، والمحققون، يختلفون فيما بينهم حول القرار الصحيح الذى يتعين اتخاذه فى ظروف معينة. إذ كيف نتصرف نحن مستهلكى وجهات النظر المختلفة؟ إن هذا الكتاب الذى تشرع فى قراءته يتضمن أفضل الإجابات التى نعرفها. أنت فى حاجة لأن تكوّن مهارات واتجاهات تمكنك من أن تقرر بنفسك أى الآراء تتبنى.

وباعتبارك شخصًا يفكر بطريقة معمقة، يتوجب عليك اختيار كيفية الاستجابة لما تقرأ وما تسمع. أحد البدائل يتمثل فى الاكتفاء بقبول كل ما تصادف من آراء؛ غير أن مآل ذلك المحتم تبنى آراء شخص آخر. ثمة بديل أكثر جدوى يتمثل فى طرح الأسئلة فى محاولة للوصول إلى قرار شخصى حول قيمة ما تسنى لك اختياره. الحال أن هذا الكتاب قد صمم أساسًا من أجل أولئك الذين يؤثرون البديل الثانى.

التفكير الناقد منقذًا

الاستماع والقراءة بأسلوب نقدى - أى الاستجابة عبر تقويم منتظم لما نسمع ونقرأ - إنما يشترطان جملة من المهارات والمواقف المؤسسة على سلسلة من الأسئلة النقدية المترابطة. فى حين أننا سوف نتعلم هذه المهارات والمواقف الواحدة تلو الأخرى، فإن هدفنا أن نغدو قادرين على استخدامها معًا فى تحديد أفضل الخيارات المتاحة.

فى وسع المرء التعبير عن تلك المهارات والمواقف فى قائمة من المهام التى يتوجب إنجازها، بيد أن الإفصاح عنها فى نسق من الأسئلة أكثر اتساقًا مع روح الفضول والدهشة والمغامرة الفكرية التى تعد أساسية للتفكير الناقد.

التفكير بعناية مشروع لا يكتمل أبداً؛ إنه قصة تبحث عن نهاية لا وجود لها. الأسئلة النقدية تؤمّن مثيراً وموجهًا للتفكير الناقد؛ إنها تمضى بنا قدمًا شطر بحث مستمر ومتواصل عن آراء أو قرارات أو أحكام أفضل.

وفق ذلك، يشير التفكير الناقد، حسب استخدامنا لهذا المصطلح، إلى التالى:

١ - الوعى بجملة من الأسئلة النقدية المترابطة،

٢ - القدرة على إثارة أسئلة نقدية والإجابة عنها فى أوقات مناسبة،

٣ - الرغبة فى توظيف تلك الأسئلة النقدية توظيفًا فاعلاً.

غاية هذا الكتاب تشجيع القارئ فى الخصوص الذى تحدده تلك الأبعاد.

تتطلب الأسئلة ممن توجه إليه أن يستجيب بالقيام بفعل بعينه. حين تسأل شخصًا، فإنك تقول له: لدى فضول؛ أرغب فى معرفة المزيد؛ قدم لى يد العون؛ وهذا طلب يشى باحترامك إياه. غاية الأسئلة إعلام كل من يستمع إليها وتأمين وجهة لهم. من هذا المنحى، يبدأ التفكير الناقد بالرغبة فى تحسين معتقداتنا. مفاد السؤال أن السائل فى حاجة إلى عون يمكّن من تحقيق فهم أو تقدير أعمق لما قيل.

سوف تكون مشاركتنا إياك فى الأسئلة النقدية عملية تدريجية، بحيث نتناول سؤالاً واحداً فى كل مناسبة. سوف تكون الأسئلة فى مجموعها مفيدة فى أى سياق تقرر فيه الاستجابة لما سمعت أو قرأت. أيضًا، فإنها سوف تكون مفيدة فى تحسين أسلوبك فى الكتابة والتحدث، لأنها سوف تقدم لك العون حين:

١ - تستجيب نقديًّا لمقالة أو شواهد يعرضها كتاب مرجعى، مجلة دورية، أو موقع على شبكة المعلومات،

٢ - تحكم على نوعية محاضرة أو خطبة استمعت إليها،

٣ - تشكل حجة،

٤ – تكتب بحثًا مؤسسًا على تكليف بالقراءة، أو

٥ – تسهم بمشاركة صفية.

انتبه: يكمن التفكير الناقد فى الوعى بجملة من الأسئلة النقدية المترابطة، فضلاً عن القدرة والرغبة فى طرحها والإجابة عنها فى أوقات مناسبة.

سوف تجد الأسئلة النقدية، بوصفك مواطنًا، مفيدة بوجه خاص فى تشكيل سلوكك الانتخابى وخياراتك الاستهلاكية، كما أنها تعزز ثقتك بنفسك عبر تعميق إحساسك بالاستقلالية الفكرية.

الإسفنجة وفرز الذهب: أساليب تفكير بديلة

من بين مناهج التفكير منهج شبيه بطريقة استجابة الإسفنجة للماء: إنه نهج الإسفنجة سائد الاستخدام، وهو لا يخلو من بعض المناقب الواضحة.

أولاً، كلما تعاظم قدر ما تتشرب من معلومات عن العالم، تعاظمت قدرتك لاحقًا على تأمين أسس لتفكير أكثر تركيبًا.

ثانيًا، لا يتطلب نهج الإسفنجة الكثير من إعمال الفكر، فهو خامل نسبيًا. عوضًا عن اشتراط جهد ذهنى مضن، ينزع هذا النهج إلى أن يكون سريعًا وسهلاً، خصوصًا حال عرض المواد بأسلوب واضح ومثير. الجهد هنا لا يبذل أساسًا إلا فى عمليتى التركيز والتذكر.

فى حين يشكل تشرب المعلومات خطوة استهلالية مجدية على درب إصباح المرء شخصًا معمق التفكير، فإن منهج الإسفنجة يعانى من اختلالات جسيمة. إنه عاجز عن تأمين طريقة فى تحديد المعلومات والآراء التى يتوجب قبولها أو رفضها. إذا كنت تركن دومًا إلى هذا النهج، فسوف تقر آخر ما تصادف أن عرض عليك. بيد أن فكرة أن يكون المرء دمية فكرية تحركها أيدى من يصادف، تصوير مرعب لحال الفرد والمجتمع. هكذا تصبح القرارات عوارض تداعيات، عوضًا عن أن تكون أحكامًا تأملية.

فى تقديرنا أنك تؤثر أن تختار لنفسك ما يتعين عليك تشربه أو التغاضى عنه. كى تقوم بذلك، لزام عليك أن تقرأ وفق موقف خاص- موقف طرح الأسئلة. يتطلب هذا الأسلوب فى التفكير مشاركة فاعلة. إن كاتب ما تقرأ يحاول التحدث إليك، ويتوجب من ثم أن ترد عليه، على الرغم من أنه ليس ماثلاً أمامك.

نسمى هذا الأسلوب التفاعلى نهج فرز الذهب فى التفكير. تؤمّن عملية فرز الذهب نموذجًا للقارئ أو المستمع العامل الذى يحاول تحديد قيمة ما يقرأ أو يسمع. هذه مهمة صعبة، وقد تبعث فى بعض الأحيان على الضجر. غير أن قيمة المردود هائلة. عملية فرز الذهب من الحصى، حين تتم فى سياق المحادثة، إنما تتطلب طرح العديد من الأسئلة والتفكر فى أجوبتها.

يؤكد نهج الإسفنجة على اكتساب المعارف، فيما يؤكد نهج فرز الذهب التفاعل النشط مع المعارف إبان اكتسابها. وفق هذا، فإن الواحد منهما يكمل الآخر. فرز الذهب يشترط وجود شىء فى حوزتك تقوم بتقويمه. لتقويم الحجج، ثمة حاجة إلى معرفة.

دعونا نتقصّ كيف يفضى كل نهج إلى سلوك مختلف. ما الذى يفعله مستخدم نهج الإسفنجة حين يقرأ مادة ما. إنه يقرأ بعناية مجموعة من الجمل، ويحاول تذكر القدر الأعظم منها. قد يضع خطوطًا تحت الكلمات والجمل الرئيسة، وقد يرصد ملاحظات توجز المواضيع والنقاط الأساسية. أيضًا فإنه يراجع ملاحظاته

والعبارات التى وضع تحتها خطوطًا كى يتأكد من أنه لم يغفل شيئًا مهمًا. مهمته إنما تتعين فى العثور على ما قاله المؤلف وفهمه. باختصار، فإنه يتذكر الاستدلال ولا يقوم بتقويمه.

مستخدم نهج فرز الذهب، شأنه فى هذا شأن مستخدم نهج الإسفنجة، يقارب ما يقرأ آملاً الظفر بمعارف جديدة. غير أن التشابه بينهما ينتهى هنا. ذلك أن نهج فرز الذهب يشترط على مستخدمه أن يطرح على نفسه عدداً من الأسئلة المصممة لكشف النقاب عن أفضل الخيارات أو المعتقدات المتاحة.

يتساءل مستخدم نهج فرز الذهب دومًا عن المبررات التى جعلت كاتب المقال الذى يقرأه يقول ما يقول. إنه يرصد ملاحظات على الهوامش تشير إلى مشاكل يعانى منها الاستدلال. إنه يتفاعل باستمرار مع ما يقرأ. غايته أن يقوّم المادة التى يقرأ بطريقة نقدية وأن يصوغ نتائج شخصية مؤسسة على هذا التقويم.

عرض ١٠١ فحص ذهنى: **هل أنا فارز ذهب؟**

سألت "لماذا" يرغب شخص ما فى إقناعى بشىء ما؟

هل رصدت ملاحظات تتعلق بالمشاكل الممكنة التى اعتقدت أن المقال قد يعانى منها؟

هل قمت بتقويم المقال؟

هل قمت بصياغة نتيجتى الخاصة فيما يتعلق بالموضوع؟

مثال على نهج فرز الذهب

من المسائل الأساسية المستديمة التى تثار فى المجتمع الأمريكى، مسألة تتعلق بتحديد قوانين تنظيم حمل السلاح التى نحتاج إلى سنها. دعونا نعاين أحد المواقف التى اتخذت من هذه المسألة. حاول أن تقرر ما إذا كانت الحجة مقنعة.

الحجج المدافعة عن حظر الأسلحة خرافات فى معظمها. لسنا فى حاجة إلى المزيد من القوانين، بل فى حاجة إلى التأكد من فرض ما سبق لنا سنّه منها. ثمة خرافة مفادها أن معظم القتلة مواطنون عاديون يحترمون القانون، يرتكبون جرائم قتل أقارب أو معارف لديهم فى لحظة غضب فقط لأن السلاح توافر لديهم. الحال أن كل الدراسات التى أجريت على جرائم القتل إنما تثبت أن الغالبية العظمى من القتلة مجرمون امتهنوا الإجرام، أشخاص تحفل تواريخ حياتهم بالحوادث العنيفة. لدى القاتل النمطى تاريخ إجرامى سابق يبلغ فى المتوسط ست سنوات على الأقل، تتخللها أربع حالات اعتقال بتهم جنائية.

ثمة خرافة أخرى تفيد أن مالك السلاح قروى أمريكى جاهل من الجنوب اعتاد على القيام بأعمال عنيفة لا معنى لها. على ذلك، تبين الدراسات بشكل متسق أن ملاك الأسلحة، فى المتوسط، تحصلوا على تعليم أفضل ولديهم وظائف أكثر مهابة من تلك التى حصل عليها غير ملاكها. إذا حكمنا وفق تقدمهم بطلب تصريح لحمل السلاح فى كل الأوقات، فإن الأشخاص الآتية أسماؤهم يمتلكون أسلحة (أو سبق لهم امتلاكها): إلينور روزفلت، جون ريفز، دونالد ترمب، وديفيد روكفلر.

أيضا، هناك خرافة مؤداها أن السلاح لا يفيد فى الدفاع عن النفس. على العكس تمامًا! إذ تبين كل الدراسات أن المسدسات توظف فى صد الجرائم أكثر مما توظف فى ارتكابها. فى حين تستخدم المسدسات فى حوالى ٥٨١,٠٠٠ جريمة سنويًا، فإنها تستخدم فى صد ما يقرب من ٦٤٥,٠٠٠ جريمة.

حتى لو كان بمقدور قوانين تنظيم حمل السلاح التقليل من عدد الجرائم التى تستخدم فيها الأسلحة، فإن القوانين الراهنة تكفى حال فرض تطبيقها. ما جدوى قانون أكثر صرامة إذا استبين أن المحاكم عاجزة عن الإلزام بتطبيقه؟

إذا استخدمت نهج الإسفنجة فى تحليل هذه الفقرات، يرجح أنك سوف تحاول تذكر المبررات التى تجعلنا نستغنى عن المزيد من القيود التى تنظم حمل السلاح. لكن هذا لا يعنى سوى أنك تشربت بعض المعلومات. ولكن، إلى أى حد يتوجب أن تقتنع بالمبررات التى أتينا على ذكرها؟ لن يكون فى وسعك تقويمها إلا إذا طبقت نهج فرز الذهب- أى إذا قمت بطرح الأسئلة المناسبة.

بإثارة مثل هذه الأسئلة، سوف تكتشف عدداً من نقاط الضعف فى حجة الكاتب. مثال ذلك، قد يشغلك ما يلى:

١ - ما الذى يعنيه الكاتب بـ "الأغلبية العظمى" أو "القاتل النمطى"؟ هل ثمة عدد لا يستهان به من أعضاء الأقليات يقتلون أقاربهم فى لحظة غضب؟

٢ - ما الذى تعنيه عبارة "ملاك السلاح"؟ هل هم الأشخاص الذين يشترون نوع الأسلحة الذى يحاول المدافعون عن تنظيم حمل السلاح حظره؟

٣ - ما مدى جدارة الدراسات البحثية المستشهد بها بالثقة؟ هل كان حجم العينات كبيراً، وهل كانت العينات عشوائية ومتنوعة إلى حد كاف؟

٤ - هل استخدم الكاتب الإحصائيات فى الكذب عبر التأثير علينا بذكر أعداد كبيرة، عوضاً عن أن تكون دقيقة، مثال ٥٨١,٠٠٠ و ٦٤٥,٠٠٠ على أى أساس اعتمدت هذه الأعداد؟ هل بمقدورنا التعويل عليها؟

٥ - ما الفوائد الممكنة للتحكم فى حمل السلاح التى لم يتم ذكرها؟ هل تم التغاضى عن دراسات مهمة تخالف موقف المؤلف؟

٦ – هل لنا أن نفترض أن كون بعض المشاهير يمتلكون أسلحة يستلزم أن امتلاك الأسلحة شيء مرغوب فيه؟ هل لدى هؤلاء المشاهير خبراء مختصون فى مناقب ملكية السلاح ومثالبها؟

٧ – لماذا لم يقم الكاتب بتوضيح كيف يمكن لنا التشجيع على أسلوب أفضل فى فرض قوانين تنظيم حمل السلاح الراهنة كى يبين تقديره الأضرار التى تسهّل الأسلحة أحيانًا إلحاقها بالآخرين.

إذا كنت تستمتع بطرح هذا النوع من الأسئلة، فإنك المستهدف بوجه خاص من قبل هذا الكتاب. ذلك أن غايته الأساسية إنما تتعين فى مساعدتك على معرفة متى وكيف تطرح أسئلة تعينك على اختيار ما يتوجب عليك اعتقاده.

الخاصية الأكثر أهمية التى يختص بها نهج فرز الذهب هى الخوض التفاعلى– الحوار بين الكاتب والقارئ، أو بين المتحدث والمستمع.

يستبان أن هناك أوقاتًا يكون فيها نهج الإسفنجة مناسبًا. معظمكم استخدمه بشكل منتظم وحقق باستخدامه مستوى من النجاح. اعتيادك على استخدام نهج فرز الذهب أقل رجحانًا– جزئيًا لأنك لم تحصل على التدريب والتطبيق المناسبين. لن يعينك هذا الكتاب فحسب على طرح الأسئلة المناسبة، بل سوف يتيح لك أيضًا فرصًا عديدة لتوظيفها.

فرز الذهب: طرح الأسئلة النقدية

ما كان لنا أن نواجه صعوبات لو كان ما يقوله الآخرون واضحًا دائمًا، لو كانت كل أفكارهم الأساسية معنونة بوضوح، لو أن الكتّاب والمتحدثين لا يخطئون إطلاقًا فى استدلالاتهم، ولو أن كل العارفين يتفقون على أجوبتهم عن الأسئلة المهمة. لو كان ذلك كذلك، لتسنى لنا أن نقرأ ونستمع بشكل خامل، وأن ندع الآخرين يفكرون بدلاً منا.

غيـر أن الوضع مـختلف تمامًـا. غالبًا مـا تكون اسـتـدلالات الآخـرين مـبـهـمـة. العناصـر المهمـة غـالبًا مـا تكون غـائبـة، وكثيـر من العنـاصـر المتوافرة ليـست واضـحـة. نتيجـة لذلك، يحـتـاج الواحد منا إلى قراءة نقدية ومـهارات سـماعيـة تعينه على تحـديد مـا هو وجيـه وتمييز التـفكيـر الواضح عن التفكيـر المشوش الذى يتسم به كـثيـر ممـا يعرض له.

الاختـلالات التى يعـانى منهـا مـا يقوله الآخر ليست بيّنة دائمـا. يتوجب عليك أن تكون باحثًـا *فـاعلاً*. تستطيع القيـام بذلك عبـر *طرح الأسئلة*. اسـتـراتيـجـيـة التسـاؤل النقدى أفضـل اسـتراتيجية بحثية. من ضمـن مناقب هذه الاستراتيجية أنها تمكنك من طرح تسـاؤلات بحـثـيـة حـتى حين تكون درايتك بالموضـوع المناقش مـحـدودة. لا تحـتـاج مثلاً لأن تكون خبـيـرًا فـى حـضـانـة الأطفـال حتى تتمكن من طرح أسئلة نقدية عن مدى ملاءمة مراكز حضانتهم.

خرافة الإجابة الصحيحة

فى أحيان كثيرة، ترتهن قدرتنا على العثـور على أجوبة محـددة بنوع الأسئلة التى تربكنا. الأسـئـلـة العـلـمـيـة المتـعـلـقـة بالـعـالم المادى هـى الأسـئلة الأرجـح أن تكون لهـا أجوبة يقبلهـا الناس الذين يفكرون بطريقة وجيـهـة، لأن العـالم المادى أكـثـر جدارة بأن يعـتـمـد عليـه وبأن يتنبـأ بمسـتـقـبله من العـالم الاجـتمـاعى. مـثـال ذلك أنه فى حين أن تحـديد المسـافـة التى تفصلنا عن القمر أو تحـديد عمـر قطعـة عظام اكتـشـفت حـديثًا تنتـمى إلى حـضـارة قـديمة قـد لا يكون مـوضـع تيـقن مطلق، فـإن الاتفـاق بخـصـوص جوانب البيـئة المادية اتفـاق شـائع. هذا يعـنى أننا غـالبًا مـا نظفـر فى العلوم الفـيـزيقـيـة "بالإجابة الصحيحة".

الأسئلة المتعلقة بالسلوك البشرى مختلفة. أسباب السلوك البشرى معقدة إلى حد أننا نقتـصـر غالبًا على تشكيل تخمينات ذكيـة عن علة أو زمن حدوث فعل بعينـه. فضـلاً

على ذلك، لأن كثيراً منا يهتمون كثيراً بتفسير السلوك البشرى ووصفه، فإننا نفضل أن تكون تفسيرات أو أوصاف معدلات الإجهاض، نسبة البطالة، أو أسباب إساءة معاملة الأطفال، متسقة مع ما نرغب فى اعتقاده. هذا ما يجعلنا نقحم تفضيلاتنا حين نناقش مثل هذه المسائل ونقاوم الحجج التى تتعارض مع تلك التفضيلات.

ولأن السلوك البشرى خلافى ومركب، فإن أفضل أجوبة يمكن لنا العثور عليها لكثير من الأسئلة المتعلقة به احتمالية فى طابعها. حتى لو كنا على دراية تامة بكل الشواهد المتعلقة بآثار التمارين البدنية على الصحة العقلية، نظل عاجزين عن التيقن من تلك الآثار.

وبصرف النظر عن نوع الأسئلة المثارة، عادة ما تكون المسائل التى تتطلب تدقيقاً محكماً مسائل يختلف حولها "الأشخاص الذين يفكرون على نحو وجيه". الحال أن كثيرا من المسائل تعد مهمة أساساً بسبب الخلافات الحادة التى تنشأ حول سبل حسمها. يتضمن كل خلاف أكثر من موقف، وقد تكون هناك مبررات وجيهة تدعم العديد من المواقف. نادراً ما يكون هناك موقف من مسألة اجتماعية خلافية تستطيع أن تقول عنه "يتضح أن هذا هو الموقف الصحيح من تلك المسألة". لو كان مثل هذا التيقن ممكناً، ما كان "للذين يفكرون على نحو وجيه" الجدل حوله. سوف نركز فى هذا الكتاب على مثل هذه المسائل الاجتماعية الخلافية.

على الرغم من أنك لن تظفر ضرورة "بالإجابة الصحيحة" عن المسائل الاجتماعية الخلافية، فإن هذا الكتاب مصمم لنحك المهارات اللازمة لتطوير أفضل إجابة وجيهة تسمح بها طبيعة المشكلة والمعلومات المتوافرة. فى غياب اليقين، يتوجب عادة اتخاذ بعض القرارات. مثال ذلك، ليس من الحكمة أن تطرح كل الأسئلة المناسبة حين يشكو عزيز لديك من أمل حاد فى صدره ويود أن تقوم بنقله إلى غرفة الطوارئ.

حين تواجه نتيجة أول مرة، فإنك تقوم بذلك وفق تاريخ بعينه. لقد سبق لك أن تعودت على الاهتمام بأمور بعينها، أن تدعم مصالح دون غيرها، وأن تتغاضى عن مزاعم من نوع محدد. لديك التزامات عاطفية إزاء آراء راهنة. هذه رؤاك، وتنتابك على نحو نقدره مشاعر دفاعية نحوها.

هذا الأمر جدير بتوكيد خاص. إننا نقحم الكثير من الأمور الشخصية فى كل قرار نتخذه – الخبرات، الأحلام، القيم، التدريب، والعادات الثقافية.

على ذلك، إذا أردت أن تحقق مستوى متقدما من النضج، فإنك فى حاجة إلى إدراك تلك المشاعر، وأن تعمل قدر استطاعتك على اطّراحها جانبًا، أقله إن تكمل عملية التقويم. وحده هذا الجهد سوف يمكنك من الاستماع بعناية حين يعرض الآخرون حججًا تهدد أو تعارض معتقداتك الراهنة. إن هذا الانفتاح على آراء الآخرين مهم لأن كثيرا من المواقف التى نتخذها من مختلف المسائل ليست وجيهة بشكل خاص؛ إنها آراء اكتسبناها من آخرين، وبمرور الزمن ارتبطنا بها عاطفيًا. الحال أننا غالبًا ما نشعر أننا نتعرض إلى هجوم شخصى حين نقف على نتيجة تعارض نتيجتنا. خطر أن نقحم عاطفيًا فى أية مسألة أنه يرجح الفشل فى اعتبار مبررات قد تكون وجيهة تعزز مواقف مغايرة – مبرارات قد تكفى لجعلنا نغير رأينا لو اطلعنا عليها.

تذكر: يتوجب ألا يكون الارتباط العاطفى أساسًا رئيسًا لقبول أى موقف أو رفضه. مثالياً، يتوجب أن تكون كثافة الارتباط العاطفى أشد ما تكون عقب استكمال الاستدلال. وفق هذا، حاول أثناء القراءة تجنب جعل الارتباط العاطفى يعزلك عن استدلالات من تختلف معهم ابتداء. المتعلم الفاعل الناجح هو الشخص المستعد لتغيير رأيه. إذا رغبت فى تغيير رأيك، يتوجب أن تكون منفتحًا قدر الإمكان على أفكار قد تبدو لك غريبة أو خطرة حين تواجهها أول مرة.

غير *أن المفكر الناقد ليس آلة*. إنه يهتم بشكل معمق بالكثير من المسائل. يمكن رؤية عمق اهتمامه هذا فى رغبته فى القيام بكل العمل الذهنى المضنى المرتبط بالتفكير الناقد. على ذلك، فإن حدة العواطف التى قد يستشعرها المفكر الناقد إنما يسكنها إدراكه أن معتقداته الراهنة قابلة للتعديل.

جدوى طرح السؤال من يحفل بهذا؟

طرح أسئلة وجيهة مهمة صعبة لكنها مجدية. سوف تحوز بعض المسائل الخلافية عندك أهمية أكثر من غيرها. حين تكون عواقب المسألة الخلافية عليك وعلى مجتمعك طفيفة، سوف ترغب فى قضاء وقت وبذل جهد أقل فى التفكير الناقد بخصوصها (مما كان لك أن تقضيه وتبذله فى حالة المسائل الخلافية الأكثر أهمية). مثال ذلك، من الوجيه أن تقوّم نقديًا حججًا تدعم حماية الحيوانات المعرضة للانقراض وأخرى تعارضها، لأن المواقف المختلفة التى يمكن اتخاذها من هذه المسألة تفضى إلى عواقب مهمة نسبة إلى المجتمع. غير أن بذل جهد لتقويم الحكم بأن اللون الأزرق أفضل الألوان عند مدراء الشركات التنفيذيين تصرف أقل وجاهة.

وقتك ثمين. قبل قضائه فى تقويم مسألة نقديًا، اسأل "هل ثمة من يحفل بهذا؟"

التفكير الناقد بالمعنى الضعيف والتفكير الناقد بالمعنى المحكم

أشارت الأجزاء السابقة إلى أن لدينا أصلاً آراء فى الكثير من المسائل الشخصية والاجتماعية. إننا مستعدون لاتخاذ موقف من مسائل من قبيل: هل يتوجب سن قوانين تسمح بالبغاء؟ هل إدمان الخمر مرض أو سلوك عمدى شائن؟ أو هل كان جورج بوش رئيسًا ناجحًا؟ الحال أننا نسمع ونقرأ من منظور مثل هذه المواقف.

يمكن استخدام التفكير الناقد إما (١) للدفاع عن معتقداتنا المبدئية أو (٢) تقويمها وتعديلها. التمييز الذى يعقده البروفيسور رتشارد باول بين التفكير الناقد بالمعنى الضعيف والتفكير الناقد بالمعنى المحكم يعين على تثمين هذين الاستخدامين المتعارضين للتفكير الناقد.

إذا قارب المرء التفكير الناقد بوصفه نهجًا فى الدفاع عن معتقداته المبدئية أو تلك التى يؤجر على الاعتقاد فيها، فإنه يقحم نفسه فى عملية تفكير *ناقد بالمعنى الضعيف*. استخدامه مهارات التفكير الناقد على هذا النحو إنما يعنى أنه لا يهتم بالسعى وراء الحقيقة أو الفضيلة. الغاية من التفكير الناقد بالمعنى الضعيف مقاومة وتقويض الآراء والاستدلالات المغايرة لآراء المرء واستدلالاته. غير أن اعتبار الهيمنة والظفر على من يختلفون معنا غاية التفكير الناقد إنما يقوض الجوانب الإنسانية والمنتجة من هذا الضرب من التفكير.

فى المقابل، يشترط *التفكير الناقد بالمعنى المحكم* تطبيق الأسئلة النقدية على كل المزاعم، بما فيها مزاعمنا. بإرغام أنفسنا على النظر بأسلوب نقدى إلى معتقداتنا المبدئية، فإننا نسهم فى حماية أنفسنا من تضليل الذات والامتثال لما تصادف أن التزمنا بإقراره. من السهل أن يتشبث المرء بمعتقداته الراهنة، خصوصًا حين يشاركه فيها الكثيرون. غير أنه بولوجه هذا الدرب، إنما يغامر بارتكاب أخطاء كان أجدر أن يتنكبها.

لا يرغمنا التفكير الناقد بالمعنى المحكم ضرورة على التخلى عن معتقداتنا المبدئية، إذ بمقدوره تأمين أسس لدعمها. ذلك أن الفحص الناقد لمثل هذه المعتقدات قد يعزز التزامنا الأصلى بها. منذ عهد طويل، حذرنا جون ستيورات مل من خواء الآراء التى تراكمت دون عون من التفكير الناقد بمعناه المحكم:

> **الذى لا يعرف سوى منظوره للقضية لا يعرف سوى القليل عنها. قد تكون مبرراته وجيهة، وربما لم يتسن لأحد دحضها.**

غير أنه إذا كان عاجزًا بالقدر نفسه عن تفنيد الموقف المعاكس، لن يكون لديه أساس لتفضيل أى من الموقفين.

كى تشعر بالاعتزاز إزاء رأى بعينه، يتوجب أن يكون سبق لك انتخابه من بين آراء بديلة قمت بفهمها وتقويمها.

الرضا الناجم عن استخدام نهج فرز الذهب

الفعل عادة أكثر إمتاعًا من المشاهدة؛ والفعل المتقن أكثر إمتاعًا من مجرد الفعل. إذا شرعت فى استخدام العملية التفاعلية التى يدرّسها هذا الكتاب، سوف ينتابك من القراءة والاستماع الشعور بالاعتزاز الذى ينتابك نتيجة المشاركة الناجحة فى أنشطة بدنية.

انتبه: التفكير الناقد بالمعنى الضعيف هو استخدام التفكير الناقد للدفاع عن معتقدات راهنة. التفكير الناقد بالمعنى المحكم هو استخدام المهارات نفسها فى تقويم كل المزاعم والمعتقدات، بما فيها المزاعم والمعتقدات التى نلتزم بها.

يشعر المفكر الناقد بالرضا حين يعرف متى يرفض فكرة أو رأيًا ويعرف لماذا تعد استجابته هذه مناسبة. إذا استخدمت بشكل منتظم منهج فرز الذهب، لن تعتقد فى أمر إلا بعد أن تكون قمت بفحصه بطريقة منتظمة. حين تستوفى الفكرة أو المعتقد المعايير النقدية المطورة هنا، سوف يكون من الوجيه الموافقة عليها- أقله إلى أن يستبان شاهد جديد.

تخيل إلى أى حد سوف تشعر بالامتنان حين تعرف لماذا يتوجب عليك قبول دليل أو التغاضى عنه. غالبًا ما يستجيب من يعرض لرأى يغاير معتقده بقوله "حسن، هذا هو رأيك". غير أن المسألة ليست مسألة رأى من هو، بل ما إذا كان رأيًا وجيهًا. حين تتمترس خلف الأسئلة النقدية التى يناقشها هذا الكتاب، سوف تشعر بالرضا الناجم عن معرفة أن بعض النصائح ليست مجزية.

غالبا ما يكون نهج الإسفنجة مرضيًا كونه يمكنك من مراكمة المعارف. على الرغم من أن هذا النهج منتج، ثمة قدر أعظم من الرضا ينجم عن المشاركة فى حوار عقلانى مع الكاتب أو المتحدث. هنا تصبح القراءة والاستماع تجربة أكثر ثراء، حيث تشرع فى رؤية أشياء أغفلها الآخرون. بتعلم اختيار المعلومات والآراء بطريقة منتظمة، قد ترغب فى قراءة المزيد فى محاولة تستمر طيلة العمر لتحديد أى النصائح تعد مجزية.

تجريب أجوبة جديدة

على الرغم من أنه ليست هناك فى الغالب إجابة صحيحة مطلقًا، فيحاول هذا الكتاب تشجيع البحث عن أجوبة أفضل. لاريب أن بعض الأجوبة أكثر دقة، أكثر مناسبة، أكثر نفعًا، وأكثر أخلاقية من غيرها. كى تقوم بالعمل المضنى اللازم للحصول على أجوبة أفضل، تحتاج إلى قدر كبير من الفضول وحتى الشجاعة.

الأمر يحتاج إلى التحلى بالشجاعة لأن الاستمرار فى البحث عن أجوبة أفضل يشترط التخلى عن معتقدات ومواقف راهنة. حين نواجه سؤالا ما، من المحتمل أن تكون لدينا إجابة عنه. هب أن شخصًا قال لنا شيئًا عن وجاهة تصرف نشطاء الإجهاض. من جد المحتمل أن يكون لدينا أصلا رأى فى هذا الموضوع.

إننا لا نستمع إلى حجج الآخرين وفق سجل ناصع، فنحن نشعر بملكية الآراء التى نتبناها. التخلى عن رأى أقررناه زمنًا طويلاً، عقب الاستماع إلى آخرين، غالبًا ما يتطلب الكثير من الشجاعة. يتوجب على المرء، مفكرًا ناقدًا، النضال من أجل إرغام نفسه على تجريب أجوبة جديدة. التفاعل بين أجوبتنا القديمة وأجوبتنا الجديدة إنما يؤمّن أساسا للنمو.

الاتصال الفعال والتفكير الناقد

سوف تسهم كثير من المهارات التى سوف تتعلمها، إبان غدوك أقرب إلى أن تكون مفكرا ناقدا، فى تحسين أسلوبك فى الكتابة والحديث. من المفيد أثناء الكتابة والاستماع أن تكون مدركًا لتوقعات المفكرين الذين يبدون قدرًا كافيًا من الحرص. لأن غايتك هى الاتصال، يتوجب أن توظف الأسئلة العديدة التى يطرحها ذوو التفكير المعمق فى تقويم ما تكتب أو تقول، فى توجيه محاولتك الاتصال بطريقة جيدة. يسهم عديد من الأسئلة النقدية التى نحضك على طرحها فى إبراز المشاكل التى ترغب فى تنكبها إبان الكتابة والتحدث.

فى حين أن موضع تركيز هذا الكتاب هو التفكير الفعال، فإن الارتباط بالاتصال الكفى مباشر إلى حد يوجب أن يكون محورا عبر فصوله. سوف نذكر أنى سنحت الفرصة كيف تعين المهارة المقترحة على تحسين الاتصال.

أهمية التطبيق

تعلم مهارات التفكير الناقد يشبه كثيرًا تعلم مهارات بدنية. الاستماع إلى النصائح أو الاقتصار على مشاهدة الآخرين لا تكفل التعلم. يتوجب عليك أن تطبق، ما يكون التطبيق مجديًا ومضنيًا. هدفنا جعل تعلمك بسيطًا قدر المستطاع. غير أن اكتساب عادة التفكير الناقد تتطلب فى البداية الكثير من التطبيق.

التمارين التطبيقية وعينات الأجوبة فى نهاية كل فصل أجزاء مهمة من هذا الكتاب. حاول أن تقوم بالتمارين قبل أن تقارن أجوبتك بأجوبتنا. أجوبتنا ليست بالضرورة الأجوبة الصحيحة الوحيدة، غير أنها تؤمّن أمثلة على كيفية استخدام مهارات التفكير الناقد. لقد أحجمنا قصداً عن توفير عينات للأجوبة فى الفقرة الثالثة من نهاية كل فصل، حتى نتيح لك فرصة البحث عن إجابة باستخدام المعلومات التى يوفرها الفصل المعنى. إننا لا نرغب فى حرمانك من الشعور بأنك لم تعد فى حاجة إلى عوننا.

الأسئلة المناسبة

كى تكون لديك فكرة عن المهارات التى سوف يعينك هذا الكتاب على اكتسابها، سوف نسرد عليك هنا قائمة بالأسئلة النقدية. حين تنهى قراءة الكتاب، سوف تعرف متى وكيف تطرح هذه الأسئلة بطريقة منتجة:

١ – ما المسألة وما النتيجة؟

٢ – ما المبررات؟

٣ – أى الكلمات والعبارات يعانى من غموض؟

٤ – ما الخلافات القيمية وما الافتراضات؟

٥ – ما الافتراضات الوصفية؟

٦ – هل هناك أية أغاليط فى الاستدلال؟

٧ – ما مدى وجاهة الشواهد؟

٨ – هل هناك أسباب منافسة؟

٩ – هل الإحصاءات مضللة؟

١٠ – أية معلومات مهمة استبعدت؟

١١ – ما النتائج الوجيهة الممكنة؟

مختارات من أسئلة (وأجوبة) الموقع الخاص بالكتاب

١ – هل سوف يجعلنى هذا الكتاب مرتاباً فى كل ما أقرأ أو أسمع ؟

نأمل أنك سوف ترتاب فى كل فكرة تهمك شخصياً. ثمة مدعاة لأن ترتاب بشكل خاص فى المزاعم الخلافية أو الاستثنائية بدرجة كبيرة. وكما يقول كارل ساجان، فإن "المزاعم الاستثنائية تتطلب شواهد استثنائية". **فى تقديرنا أن الهدف من الارتيابية فحص مزاعم يصدرها آخرون باستخدام معايير التفكير الناقد المحكمة، لا يتعين الأمر الأكثر أهمية فيما إذا كان قد استبين أن الزعم صادق أو باطل، بل فيما إذا كان تم تقويمه نقدياً بشكل محكم. يتوجب أن توجهنا الشواهد والمبررات إلى نتيجتنا. من المفضل أن نقيم موازنة بين** *إرادة الاعتقاد وإرادة الشك؛ غير أنه بالنسبة للمفكر الناقد، تسبق إرادة الشك والسؤال تبنى المعتقدات.*

٢ – تتحدثون عن الحاجة إلى طرح أسئلة، ولكن هل يمكن أن يسرف المرء فى طرح الأسئلة، أو يبالغ فى تحليل الأشياء؟

نعم. ولكنك تستطيع أن تحمى نفسك من ذلك. يتوجب أن تقبل حقيقة أنه فى مواجهة عوز اليقين سوف يتوجب عليك أن تجيب عن الكثير من الأسئلة. بعض من أفضل القادة ومتخذى القرارات فى بلادنا خبراء فى التفكير الناقد. أيضاً فإن المفكرين النقاد يدلون بأصواتهم. إنهم يجمعون ويقيمون أفضل المعلومات المتوافرة ويتخذون أفضل قرار ممكن فى ظل قيود الوقت. اليقين المطلق ليس غاية التفكير الناقد. غايته اتخاذ أفضل قرارات ممكنة فى ظل الظروف الراهنة. بالتمرين على

التفكير الناقد سوف تبدأ تعتاد تدريجيًا على عدم احتياز *كل* الأجوبة قبل اتخاذ القرار. فى معظم الحالات، يتوجب أن يكون هدفك "المضى بالحوار قدمًا" إلى حد يجعلك أكثر ثقة فى قرارك المؤقت، ولكن عليك أن تعرف أنه يبقى على الحوار أن يكتشف الكثير.

٣ – هل يحدث أن يبلغ المرء مرحلة يكون فيها التفكير الناقد عملية يسيرة لا تتطلب بذل أية جهود تقريباً؟

تقريبًا، *فى بعض الأحيان*. لا ريب أن العملية تصبح أقل صعوبة طالما استمررت فى التمرن، وشرعت فى دمج الأسئلة فى سبل تفكيرك المعتادة. ولكن بوجه عام، التفكير الناقد عمل مضن حتى بالنسبة لخبراء هذا المجال، وهو يتطلب تركيزًا وانتباهًا أكثر من ذلك الذى يتطلبه نموذج الإسفنجة. غير أن لدينا يقينًا بأن هذا ثمن زهيد لما نحصل عليه من نفع. تعلم أن تكون خبيرا فى التفكير الناقد شبيه بتعلم أن تكون لاعب كرة سلة محترفًا . لقد تعلم محترفو السلة العديد من المهارات الصعبة عبر القيام بالكثير من التمارين الشاقة، وبمقدورهم الآن استخدام الكثير منها بطريقة منسقة؛ غير أن الأداء على مستوى عال يظل يتطلب منهم بذل جهد كى يحققوا النجاح على مستوى عال.

٤ – هل يضم كتابكم كل أسئلة التفكير الناقد؟

لا. سوف نفاجأ إذا اتضح أن هناك كتابًا يقوم بذلك. بإكمال هذا الكتاب تكون بدأت رحلتك فى التفكير الناقد، ونأمل أن تستمر فى إضافة أسئلة التفكير الناقد عبر مراحل تعليمك. لقد درّس كل منا التفكير الناقد أكثر من ثلاثين عامًا، ومازلنا نتعلم سبلا جديدة فى تقويم الحجج بطريقة كفية. غير أن كتابنا يعكس بالفعل معظم المهارات

والميول التى يعدها من درّس التفكير الناقد سنوات عديدة مهمة. بمقدورنا أيضًا أن نعدك بأنك إذا استطعت تعلم أسئلة هذا الكتاب، سوف يكون فى وسعك إصدار أحكام تقويمية عالية الجودة. لقد بينت أبحاثنا أن درجات الطلبة الذين استخدموا هذا الكتاب فى دراستهم أفضل بكثير من درجات الطلبة الذين لا يعنون باختبارات التفكير الناقد.

٥ - ألن يضيق الناس ذرعًا بى إذا استمررت فى طرح أسئلة عليهم؟

بالتوكيد . إذا طرحت أسئلتك بطرق بعينها، من المرجح أن تكون مصدر إزعاج للآخرين . معظم الناس لا يرحبون بتعرضهم للمساءلة. نعتقد أن هذا أمر غاية فى الأهمية للعلاقات الشخصية، كما يتضح من العناية التى أوليناها له فى نهاية الكتاب (راجع آخر صفحات الكتاب) . بقراءة المزيد من فصول الكتاب، ننصح أن تجرب سبلاً مختلفة فى طرح الأسئلة على الآخرين، إلى أن تجد سبلا مريحة ولا يبدو أنها تخلق مقاومة أو تسبب مواقف دفاعية . غير أننا ننصح أيضًا بأن تتغاضى عن بعض مشاعر الإزعاج التى تنتاب الآخرين. الحاجة الملحة لأن تكون موضع حب الجميع تعرقل التفكير الناقد الكفى. بمقدور الآخرين أن يفيدوا من طرح أسئلتك عليهم، حتى إذا لم يبد أنهم يستمتعون بتلك الخبرة إبان اختبارها . اختر مواضعك. حاول أن تقنع الآخرين بأن تطرح عليهم الأسئلة كى تفهم استدلالاتهم، وليس لإحراجهم . نعتقد أن تحمل بعض الإزعاج ثم يتوجب على الجميع دفعه إذا رغبنا فى اختيار نتائجنا بحرص شديد.

٦ - هل ثمة فرق بين أن يكون المرء منفتحًا وأن يعوزه الحزم؟

نعم. بمقدور المنفتح أن يكون حازمًا . الفرق هو أن المنفتح يعرف أن بعض التصرفات يجب أن تتخذ بسرعة، رغم أنه *ليس واثقا ثقة مطلقة* من صحة نتيجته.

الحزم مأتاه معرفة أنه تم الوصول إلى النتيجة عبر عملية تساؤل محكمة. الانفتاحية مأتاها معرفة إمكان أن تستجد معلومات تغير هذه النتيجة . مثال ذلك ، نحن جد حازمين بخصوص استراتيجيات التدريس. لكننا نستمر فى الاطلاع على حجج الآخرين واستراتيجياتهم فى التدريس، ونبدى استعدادا لتغيير الاستراتيجيات التى تبنيناها حال العثور على حجج أقوى تستدعى مثل هذا التغيير.

٧ - هل يتوجب علينا البدء بنهج الإسفنجة، ثم تطبيق نهج فرز الذهب، بحيث تحصل على قدر كاف من المعلومات؟

نحن من أنصار تشكيل *المعارف على نحو شخصى فاعل* ، ولذا فإننا نعتقد بأنه حتى فى المراحل المبكرة من التعليم الجامعى من المفضل غالبًا أن تقوم منذ البداية بتشكيل ما تتعلم بطريقة فاعلة، عوضًا عن الاقتصار على إعادة إنتاجه. القيام هذا إنما يضمن وضع المعلومات فى صورة تفضى إلى فهم أعمق، فى مقابل الفهم السطحى. سوف تعينك الفصول التالية على الإفادة من مثل هذا التشكيل الفاعل.

٨ - هل أحتاج إلى معرفة الكثير عن الموضوع المناقش كى أتمكن من استخدام مهارات التفكير الناقد؟

بالتأكيد إن مثل هذه المعرفة مفيدة، وسوف تجد أن التفكير الناقد أيسر حال تقويم مواضيع تألفها. غير أنه يمكن تطبيق الكثير من الأسئلة التى سوف تتعلم طرحها من هذا الكتاب على مواضيع لست على دراية كافية بها. الأسئلة ليست متعلقة بتخصصات بعينها، بل يمكن تطبيقها على مختلف المجالات. مثال ذلك، طرح أسئلة عن تحيز العينات قد يكون مفيداً فى معظم التخصصات التى تعول على إجراء التجارب.

٩- لماذا نحتاج إلى دروس فى التفكير الناقد كى نتعلم تلك المهارات. ألا نتعلمها تلقائياً فى المقررات الأخرى؟

لن نتعلم هذه المهارات تلقائيًّا، وذلك لأسباب عديدة. أولاً تقترح كثير من الأبحاث أنه لا يتم فى معظم الجامعات التوكيد على التفكير الناقد "عبر المناهج الدراسية" بحيث يكتسب الطلبة مهاراته. كثير من الطلبة يتخرجون دون أن يكتسبوا مستوى عاليًا من مهارات التفكير الناقد. ثمة أبحاث أخرى تبين أن الكتب الدراسية فى بلادنا تعنى بعرض الحقائق ولا تكاد تشترط التفكير الناقد، وفق تعريفنا إياه. فضلاً على ذلك، ينزع كثير من المدرسين إلى التركيز فهمًا معمقًا. عادة ما يدرّس المدرسون بالطريقة التى درسوا بها هم أنفسهم. أيضًا، يؤمن المقررات المكرس للتفكير الناقد إحساسًا شموليًا متماسكًا بعملية التفكير الناقد بالطريقة التى يؤمن بها مقرر فى *الإنشاء باللغة الإنجليزية* إحساسًا متماسكًا بأسلوب الكتابة المحكمة. فى الحالين، يمكن الإفادة من مثل هذا التمرين فى مقررات أخرى، ويتوجب أن يكون غاية فى الإفادة حتى إذا كان مدرسوك يركزون على مهارات التفكير الناقد.

الفصل الثانى

المسألة والنتيجة



قبل أن نقوّم استدلالات الآخرين، يتوجب علينا أولا العثور عليها. يبدو إنجاز مثل هذه المهمة أمرًا هينًا؛ غير أنه ليس كذلك. كى تشرع فى ممارسة عملية التفكير الناقد، يتوجب عليك التمرن على تحديد المسألة والنتيجة.

عادة ما تنخرط جمعيات التآخى فى أنشطة خيرية. إنها توفر متطوعين لجمع المال بغية تمويل العديد من القضايا المهمة. وفق هذا فإن إسهاماتها جديرة بالثناء.

على ذلك، لا يكتمل وصفنا للمنظمات اليونانية بمثل هذا التصور الناقص. إن ما تنجزه من مآثر يغمره التشجيع على التواؤم، المزاح الصبيانى، والمسلكيات العفوية. يتوجب إيجاد قنوات أخرى لمواهب أعضائها الجمة.

كاتب هذا التقويم للمنظمات اليونانية يرغب كثيراً فى إقناعنا بشىء ما. وبوجه عام، مستحدثو المواقع على شبكة المعلومات، مؤلفو الكتب، كاتبو المقالات التى تنشر على صفحات المجلات، ملقو الخطب، كلهم يحاولون تغيير مدركاتنا أو معتقداتنا. كى تشكل استجابة وجيهة، يتعين عليك بداية أن تحدد القضية الخلافية *أو المسألة* وأن تحدد المبدأ أو النتيجة التى يرام إقناعك بها. (النتيجة التى يقرها المرء هى رسالته المقصود توجيهها إليك. الغاية منها تشكيل معتقداتك أو سلوكياتك). خلافًا لذلك، سوف تستجيب لصيغة شائهة من الحجة المعنية.

حين تكمل هذا الفصل، يتوجب أن تكون قادراً على الإجابة بشكل ناجح عن أول أسئلتنا النقدية.

سؤال نقدى: ***ما المسألة وما النتيجة؟***

انتبه: المسألة سؤال أو قضية خلافية تثير حوارًا أو نقاشًا. إنها المثير لما يقال.

أنواع المسائل

من المفيد فى هذا المقام تحديد نوعين من المسائل التى تواجه عادة. الأسئلة التالية توضح أحدهما:

هل يسهم امتلاك الأسرة حيوانات أليفة فى التقليل من الخلافات الناشئة بين أفرادها؟

ما الذى يسبب ضغط الدم؟

من اتخذ قرار زيادة الضرائب على المبيعات؟

كم تكلف الدراسة فى الجامعات عام ٢٠١٠؟

ثمة شىء مشترك بين كل هذه الأسئلة. إنها تطلب أجوبة تحاول وصف وضع العالم الراهن، أو الماضى، أو المستقبلى. مثال ذلك، قد نجيب عن السؤالين الأولين بالقول "بوجه عام، يسهم امتلاك الأسرة حيوانات أليفة فى التقليل من الخلافات الناشئة بيَن أفرادها"، و"التعود على وجبات سعراتها الحرارية منخفضة يسبب ارتفاع ضغط الدم".

مثل هذه المسائل وصفية، وعادة ما نجدها فى الكتب المرجعية، المجلات، شبكة المعلومات، وبرامج التليفزيون. إنها تعكس فضولنا لمعرفة نماذج العالم أو نظمه. لاحظ الكلمة الداكنة التى يستهل بها سؤال. حين تستهل الأسئلة بمثل هذه المفردات، يرجح أن تكون أسئلة وصفية.

انتبه: المسائل الوصفية هى تلك التى تثير أسئلة عن مدى دقة أوصاف الحاضر، الماضى، أو المستقبل.

دعونا الآن نضرب أمثلة على النوع الثانى من الأسئلة:

هل ينبغى إلغاء عقوبة الإعدام؟

ما الذى يتوجب فعله إزاء البطالة؟

هل يتعين علينا حظر الشحانات الرياضية الخفيفة، أو مواجهة ارتفاع فى معدل الإصابة بالأمراض الربوية؟

كل هذه الأسئلة تتطلب أجوبة تقترح الوضع الذى ينبغى أن يكون عليه العالم. مثال ذلك، قد تقر الإجابة عن السؤالين الأولين "ينبغى إلغاء عقوبة الإعدام"، و"يتوجب علينا تخفيض معدل البطالة".

هذه مسائل أخلاقية، فهى تثير أسئلة تتعلق بما هو صائب أو مخطئ، مرغوب فيه أو مرغوب عنه، حسن أو شائن. إنها تتطلب أجوبة معيارية، ولذا سوف نصفها *بالمسائل المعيارية*. المسائل الخلافية الاجتماعية معيارية فى أغلب الأحيان.

ربما نكون أسرفنا فى التبسيط إلى حد. أحيانًا يصعب تحديد نوع المسألة المناقشة. على ذلك، فإنه من المفيد الحفاظ على هذا التمييز، لأن ضروب التقويم النقدى التى سوف تنتهى بإنجازها إنما تختلف وفقًا على نوع المسائل التى تستجيب لها.

انتبه: المسائل المعيارية هى تلك التى تثير أسئلة عما ينبغى علينا القيام به، أو عما هو صائب أو مخطئ، حسن أو شائن.

البحث عن المسألة

كيف نحدد السؤال أو المسألة الأساسية؟ أحيانًا يكون الأمر غاية فى اليسر: فالكاتب أو المتحدث يخبرك عنها. عوضًا عن ذلك، قد يتم تحديد المسألة فى المتن، عادة فى مستهله، بل إنك قد تعثر عليها فى عنوانه. حين تصاغ المسألة صراحة، سوف يشار إليها باستخدام عبارات من قبيل:

السؤال الذى أثيره هو: لماذا يتوجب أن تحدد السرعة فى الطرق العامة؟

تقييد العمر الذى يسمح فيه بتناول المسكرات: *هل هذا هو الفعل الصائب*؟

هل ينبغى تدريس الثقافة الجنسية فى المدارس؟

لسوء الحظ أنه لا يصرح عادة بالسؤال بل يتوجب اشتقاقه من مفاتيح أخرى فى النص. مثال ذلك، يستجيب العديد من الكتاب والمتحدثين لحدث يشغلهم، كسلسلة الحوادث العنيفة التى تشهدها المدارس. غالبًا ما يقترح السؤال "ما الذى يستجيب له المؤلف" المسألة المركزية فى النص. ثمة مفتاح مفيد آخر يتعين فى معرفة خلفية المؤلف، من قبيل الجمعيات التى ينتمى إليها. لذا ابحث عن معلومات تتعلق بخلفية المؤلف إبان محاولتك تحديد المسألة.

حين تحدد المسالة، قاوم فكرة وجود طريقة وحيدة فى صياغتها. ما إن تعثر على سؤال يتناوله البحث أو الخطبة، ويتسنى لك تبيان ما يربط السؤال بالبحث أو الكلمة، حتى تكون عثرت *على المسألة*. فقط تأكد أن ما تعتبره مسألة يستوفى معايير تلك الفكرة.

غير أن أضمن سبيل لاكتشاف المسألة، فى حال عدم ذكرها صراحة، هو تحديد النتيجة. فى حالات كثيرة يتوجب العثور على النتيجة قبل أن يتسنى تحديد المسألة. فى هذه الحالات، تتعين نقطة بدء التقويم النقدى فى العثور على النتيجة - وهذه مهمة صعبة فى أغلب الأحوال.

لا نستطيع إنجاز تقويم نقدى إلا عقب العثور على النتيجة!

دعونا نرى كيف نبحث عن هذا العنصر البنيوى المهم.
انتبه: النتيجة هى الرسالة التى يأمل المتحدث أو الكاتب قبولك إياها.

البحث عن نتيجة المؤلف أو المتحدث

لتحديد النتيجة، يتوجب على المفكر الناقد أن يسأل "ما الذى يحاول الكاتب أو المتحدث إثباته؟" أو "ما النقطة الرئيسة التى يحاول المؤلف الأساسى إقناعنا بها؟". الإجابة عن أى من هذين السؤالين هى النتيجة. أية إجابة للسؤال الذى يطرحه المتحدث أو الكاتب تشكل نتيجته.

سوف تفتش إبان بحثك عن النتيجة عن جملة أو مجموعة من الجمل يرغب الكاتب أو المتحدث فى إقناعك بها. إنه يريد أن تعتقد فى نتيجته تأسيساً على سائر جمله. باختصار، البنية الأساسية للاتصال الإقناعى أو الحجة هى: هذا لأن ذاك. *هذا* تشير إلى النتيجة، *ذاك* يشير إلى الدعم المقدم للنتيجة. إن هذه البنية إنما تعرض عملية *الاستدلال*.

النتائج *يستدل عليها*؛ أى تشتق من عملية الاستنتاج. النتائج أفكار تحتاج إلى أفكار أخرى تدعمها. لذا، حين يزعم شخص أن أمراً ما صحيح أو ينبغى القيام به، ولا يؤمّن جملاً تدعمه، فإن زعمه ذاك ليس نتيجة، لأنه لم يوفر أى أساس للاعتقاد فيه. المزاعم التى يعوزها الدعم مجرد آراء.

الفقرة الأخيرة تقول الكثير، ولذا فإنك سوف تفيد كثيراً من إعادة قراءتها. فهم طبيعة النتيجة خطوة أساسية فى درب القراءة الناقدة والاستماع الناقد. فيما يلى فقرة موجزة؛ حاول تحديد النتيجة، ثم حاول تحديد الجمل التى تدعمها.

إننا نعارض تجهيزات النفاية النووية التى تقام فى ولاية نيفادا. نعتقد أن هناك سبلاً آمنة لتخزين نتاجات الطاقة النووية المصاحبة.

"إننا نعارض تجهيزات النفاية النووية التى تقام فى ولاية نيفادا" هى إجابة الكاتب عن السؤال عما إذا كان يتوجب علينا تخزين النفايات النووية فى نيفادا؛ إنها نتيجته. إن الكاتب يدعم النتيجة (معتقد) بمعتقد آخر: "هناك سبل آمنة لتخزين نتاجات الطاقة النووية المصاحبة".

هل ترى لماذا لا يشكل المعتقد الأخير نتيجة؟ لأنه لا يوظف فى إثبات شىء آخر. تذكر: أن تعتقد فى جملة (النتيجة) لأنك تعتقد أنها تحصل على دعم قوى من معتقدات *أخرى*، إنما يعنى أنك تقوم بعملية استدلال. حين ينخرط الناس فى هذه العملية، فإنهم يستنتجون؛ النتيجة هى نتاج هذه العملية.

أحياناً لا يصرح المتحدث أو المتكلم بنتيجته؛ فى مثل هذه الحالات يتوجب عليك أن تستدل على النتيجة مما تعتقد أن المؤلف يحاول إثباته عبر جملة ما يعرض من أفكار.

استخدام هذا السؤال النقدى

حين تعثر على النتيجة، اجعلها موضع تركيز تقويمك. إنها المحطة الأخيرة التى يرغب الكاتب أو المتحدث فى وصولك إليها. شاغلك المستمر هو: هل ينبغى على قبول النتيجة تأسيساً على ما يؤمّن لها من دعم؟

مفاتيح الاكتشاف: كيف تعثر على النتيجة ؟

ثمة عدد من المفاتيح التى تعين على تحديد النتيجة.

المفتاح ١ - **اسأل ما المسألة.** لأن النتيجة عادة ما تكون استجابة لمسألة، سوف يعينك العثور على النتيجة حال درايتك بالمسألة. بداية انظر إلى العنوان، ثم اعتبر الفقرات الاستهلالية. إذا لم تفد من هذه الطريقة، قد يكون تصفح عدة صفحات أمر ضرورى.

المفتاح ٢ - **ابحث عن المؤشرات اللفظية**. غالبًا ما تسبق النتيجة مؤشرات لفظية تنبئ بمجيئ النتيجة. حين تراها، ضع علامة تذكرك بها. إن هذه المؤشرات قد تعنى أن النتيجة قادمة. فيما يلى قائمة بهذه المؤشرات.

وفق ذلك	من ثم	الحقيقة
لذا	هكذا	باختصار
يلزم عن ذلك	يبين أن	يشير إلى أن
يقترح أن	يتوجب أن	يستبان أن
لنا أن نشتق أن	تشير إلى نتيجة مفادها	الأمر الذى أحاول إقراره
التفسير الأوضح هو	من جد المرجح	يثبت أن
حقيقة الأمر هى		

اقرأ الفقرة التالية، ثم حدد المؤشرات اللفظية وضع تحتها خطًا. بقيامك بذلك تكون حددت الجمل التى تشتمل على النتيجة.

الآن، وبعد مرور أكثر من عامين على موافقة المصوتين بأغلبية ساحقة على اليانصيب، ثبت أن اللعبة لم تكن مشروعًا رابحًا؛ الحقيقة أنه يمكن اعتبارها مشروعًا فاشلاً.

أولاً، أثناء حملة الترويج للسماح باليانصيب، أخبر الناس مراراً بأن العائدات سوف توظف فى معالجة المشاكل المالية التى تعانيها المؤسسات التعليمية العليا والمدارس الإعدادية والثانوية المحلية. لقد حصل اليانصيب على دعم الأغلبية بناء على هذه المقدمة. غير أن الناس لم يكونوا يعرفون أن عائدات اليانصيب سوف تذهب إلى الخزانة العامة بدلاً من ميزانية التعليم فى الولاية إلا بعد المصادقة على مقترح اليانصيب. أقل من نصف عائدات اليانصيب تذهب إلى التعليم.

يفترض أن تكون وضعت خطًا تحت العبارتين: ثبت *أن*، *الحقيقة*؛ فالنتيجة هى الجملة الواردة بعد كل منهما.

لسوء الحظ، كثيرًا مما يكتب ويقال لا يعرض النتيجة باستخدام مؤشرات لفظية. على ذلك، حين تكتب، يتوجب عليك أن تلفت انتباه القارئ لنتيجتك باستخدام مثل تلك المؤشرات. إن هذه المفردات تقوم بدور اللافتة الضوئية، إذ إنها تلفت الانتباه إلى الأمر الذى تود من القارئ قبوله.

المفتاح ٣ - **ابحث فى المواضع المحتملة**. تنزع النتائج إلى شغل مواضع بعينها. أول موضعين تبحث فيهما هما البداية والنهاية. كثير من الكتّاب يستهلون مقالاتهم بجملة تحدد المقصد، تشتمل على ما يودون إثباته. آخرون يوجزون نتائجهم فى النهاية. إذا كنت تقرأ فقرة طويلة مركبة، ووجدت صعوبة فى تحديد مسارها، انتقل مباشرة إلى نهايتها.

المفتاح ٤ - **تذكر ما لا تكونه النتيجة**. النتائج ليست أيًّا مما يلى:

- أمثلة
- إحصائيات
- تعاريف
- معلومات تشكل الخلفية
- شواهد

المفتاح ٥ - **تقص سياق المقال وخلفية مؤلفه؟** غالبًا ما يتخذ الكتّاب والمتحدثون ومواقع الشبكة مواقف متوقعة من المسائل المناقشة. الدراية بمحاباة المصدر المحتملة وخلفية مؤلفه قد تكون مفاتيح مفيدة فى حال عدم التصريح بالنتيجة. اهتم خصوصًا بالمعلومات المتعلقة بالمنظمات التى قد يرتبط بها الكتّاب أو المتحدثون.

المفتاح ٦ - **اسأل السؤال "ومن ثم؟"**. لأن النتائج غالبًا ما تكون مضمرة، حدد ما يجيب عن السؤال "ومن ثم؟". اسأل "هل يريد منا المؤلف أن نستنبط نتيجة مضمرة من المعلومات التى يبلغنا بها؟". النتائج التى تكون من قبيل "سوف يكون المرشح س متساهلا مع الجريمة" غالبا ما تترك للقارئ أو المشاهد كى يستدل عليها من المعلومات المحدودة التى يعرضها الإعلان السياسى.

التفكير الناقد وأسلوبك الخاص فى الكتابة والتحدث

لأن قراءك سوف يبحثون عن نتيجتك، ساعدهم بمنحها الوضوح الذى تستحق. إنها الرسالة المحورية التى تريد تبليغها. اعمل على توكيدها؛ لا تدع الشكوك تساور أحدًا بخصوص هويتها. إن جعل نتيجتك سهلة التحديد لا يسهل فحسب من مهمة القارئ، بل يحسن أيضًا من منطق كتابتك. من ضمن سبل توكيد النتيجة الفعالة حشرها فى بداية المقال أو نهايته، واستهلالها بمؤشر لفظى.

فضلاً عن ذلك، افحص نتيجتك بعناية كى تتأكد أنها تشكل استجابة مباشرة للمسألة التى ترغب فى تناولها. مثال ذلك، إذا كانت المسألة التى تحاول نقاشها هى: هل يطيل امتلاك الحيوانات الأليفة من أعمارنا؟ وإذا كانت نتيجتك "نعم، سوف يطيلها ١٥ عامًا فى المتوسط"، فإن ثمة تناظرًا بين المسألة والنتيجة. ولكن لو كانت تقر أن الحيوانات الأليفة تجلب البهجة على أنفس ملاكها، فإن استدلالك يعانى من تشوش. ذلك أن هذه النتيجة إنما تستجيب إلى مسألة أخرى، ما إذا كانت الحيوانات الأليفة تجلب البهجة على أنفسنا؟

تمارين تطبيقية

حدد فى النصوص التالية كلاً من المسألة والنتيجة. إبان بحثك عنهما، انتبه للمؤشرات اللفظية.

النص ١

حققت مراكز الحضانة وحاضنات الأطفال رواجًا متزايداً بانضمام عدد أكبر من النساء إلى سوق العمل. على الرغم من أن الأم قد تستمتع بالعمل خارج البيت، فإنها قد تلحق الضرر بأطفالها حين تتخلى عنهم إلى آخرين أثناء ساعات الدوام.

هذا الاتجاه الراهن إنما يعنى أن بعض النساء يرجعن إلى أعمالهن حالما يلدن أطفالهن. على الرغم من أن استحقاقات العمل قد تحث على هذه العودة المتعجلة للعمل، فإنه يتوجب على النساء أن يعدن حساب أولوياتهن. الأمومة مسئولية جسيمة، ويتوجب على الأم أن تلحظ وجوب حظوة أطفالها بالأولوية.

من بمقدوره تأمين الحب والرعاية اللتين يحتاجهما الصغار حاجة ماسة من أجل نموهم العاطفى والجسمانى؟ فى حين أن الحاضنة قد ترتبط عاطفيًا بالطفل، وحدها الأم التى تستطيع منحه قدرًا غير محدود من الحب والتشجيع. فضلاً على ذلك، فإن الأطفال لا يحصلون على الكثير من الاهتمام على المستوى الفردى فى مراكز الحضانة.

ولئن كانت الوظائف تؤمّن مبالغ إضافية تعين على تدبر شئون المنزل، يتوجب على الأم أن تلحظ أن أطفالها أهم من المال. لذا، يتوجب على الأمهات أن يبقين فى منازلهن مع أطفالهن.

النص ٢

حين يعتبر الناس موضوع الذكريات الزائفة أو المكبوتة، يبدو أن كثيرًا منهم يسقطون التنويم المغناطيسى من حسابهم بوصفه إجراء مناسبًا. لقد نشرت وسائل الإعلام العديد من القصص التى تحكى عن تهم زائفة يوجهها أناس تم تنويمهم مغناطيسيًا. الحقيقة، التنويم المغناطيسى أسلوب رصين فى التعامل مع مجالات متنوعة. يمكن استخدام التنويم المغناطيسى فى العلاج الطبى أداة للاسترخاء. يتعلم المنوم مغناطيسيًا تركيز انتباهه على جوانب بعينها من بيئته وإغفال الباقى. فضلاً عن ذلك، يستخدم علماء النفس التنويم المغناطيسى فى علاج الأعراض العصابية، الذهان، ومشاكل الذاكرة.

لقد ألقى الاستخدام السلبى للتنويم المغناطيسى بظلاله على جوانب مفيدة من هذا الأجراء. على الرغم من أنه نتج عن استخدامه حالات قليلة من الذاكرة الزائفة، يظل غالبًا إجراء علاجيًا مفيدًا.

النص ٣

تقترح الدراسات أن تخصيص وقت للاستراحة لطلبة الثانوية يجعلهم أكثر يقظة، ما يعين على حصولهم على تقديرات أفضل.

لقد جربت العديد من المدارس فى مختلف أرجاء البلاد منح الطلبة ٢٠ أو ٣٠ دقيقة من الوقت الحركى يمضونها فى التدريبات البدنية أو مع الأصدقاء. إن هذا الوقت يسمح للطالب بأن يسترخى وألا يصاب بالإجهاد بسبب ممارسة عملية التفكير سبع ساعات يوميًا.

لاحظ البحاث أن طلبة المقررات التى تدرّس فى ساعات متأخرة من النهار يحصلون على تقديرات أفضل من المتوسط (ممتاز وجيد جدا). يبدو من الواضح أن الاستراحة تعين الطلبة على تحقق إنجازات تعليمية أفضل فى المدارس.

عينات من الأجوبة

النص ١

لأن المؤلف لا يصوغ صراحة أى سؤال أو مسألة، يتوجب علينا الاستدلال عليها من نتيجته ومن الانشغالات التى يثيرها عبر

النص. تذكر الفقرات الثلاث الأولى مشاكل تنشأ حال عمل الأمهات خارج المنزل. المؤشر *لذا* الوارد فى الجملة الأخيرة من الفقرة الرابعة وموضع هذه الجملة يقترحان أنها نتيجة المؤلف. لاحظ أن الجملة الأخيرة تؤمّن إجابة عن المسألة، وهذا ما يتوجب على النتيجة أن تقوم به. لاحظ أيضًا أن المسألة معيارية؛ فهى تسأل عما ينبغى لنا القيام به؟

المسألة: *هل ينبغى على الأمهات العمل خارج المنزل؟*

النتيجة: *ينبغى على الأمهات التخلى عن العمل خارج المنزل كى يرعين أطفالهن.*

النص ٢

تؤسس الفقرة الأولى المسألة. إنها تخبرنا عما يدور فى خلد

المؤلف. الفقرة الثانية تصحح الوضع من منظور الكاتب. عبارة *فى الحقيقة* تنبئك أن النتيجة فى طريقها إليك. الفقرة الثالثة تشير إلى ندرة سوء استخدام التنويم المغناطيسى. مفاد الأمر هنا أن آثار التنويم المغناطيسى السلبية نادرة مقارنة بآثاره الإيجابية.

لاحظ أن للمسألة جانبًا معياريًا وآخر وصفيًا. يتوقف الأمر على ما إذا كنا نعتبر مقصد المؤلف معياريًا يقر وجوب استخدام التنويم المغناطيسى، أو وصفيًا يحدد آثاره. نعتقد أنه حين يلتمس المرء فوائد إجراء (أو فيلم، أو مطعم، أو مرشح) ما، فإنه يضمّن وجوب القيام بأفعال بعينها. لذا فإنه يقر المسألة فى صياغة معيارية.

المسألة: *هل يتوجب اعتبار التنويم المغناطيسى أداة سيكولوجية؟*

النتيجة: نعم، *التنويم المغناطيسى إجراء مفيد.*

تلخص السؤال النقدى

مكمن أهمية هذا السؤال

ما المسألة وما النتيجة؟

قبل أن يتسنى لك تقويم حجة المؤلف، يتوجب عليك أن تحدد بوضوح المسألة والنتيجة. كيف يتسنى لك تقويم حجة إذا كنت لا تعرف على وجه الضبط ما يحاول المؤلف إقناعك به؟ العثور على النقطة الأساسية التى يرغب المؤلف فى دعمها أول خطوة فى قرار ما إذا كنت سوف تقبلها أو ترفضها.

مختارات من أسئلة الموقع الخاص بالكتاب

حدد المسألة والنتيجة فى كل من النصوص التالية:

١ - يعنى مدراء الشركات دائمًا بأساليب زيادة إنتاجية عمالهم. من بين الاقتراحات المثيرة التى عرضها مستشارو الإنتاجية مقترح مؤداه إذاعة قطع موسيقية فى مواقع العمل. لقد بحثت دراسات عديدة أجريت مؤخرًا فى مدى تأثير مختلف أنوا ع الموسيقى على مخرجات العمل. مفاد الفرض الأساسى التى اختبر فى تلك الدراسات أن موسيقى الروك الناعمة توفر العون الأعظم للإنتاجية. لقد بينت تلك الدراسات أن الموسيقى الشعبية والموسيقى الغربية تشكل بوجه شبه عام أعظم حوافز الكفاءة. لذا، يتوجب على القائمين على الشركات أن يحملوا بحدية إذاعة موسيقى شعبية وغربية مثيرًا للإنتاجية العمالية.

٢ - من أجل بيئة تعليمة جامعية أفضل، ينبغى أن تبدأ كل المحاضرات فى الفترة المسائية. معظم الطلبة يحاولون أصلاً اختيار المقررات التى تطرح بعد الظهر أو مساء؛ نادرًا ما تجد طالبًا غاضبًا بسبب إغلاق شعبة الثامنة صباحا مثلاً. أيضًا، يفيد الخبراء بأن قدر تعلم الطالب اليقظ أكبر وكذا قدر سرعة تعلمه. مثال ذلك، درست مجموعة فى جامعة سذرن ستيت مقررًا فى علم النفس يدرسه فى الثامنة صباحًا د. ملر، فيما درست مجموعة أخرى مع المدرس نفسه المقرر نفسه فى الساعة الثانية ظهرًا، وقد اتضح أن متوسط درجات المجموعة الثانية أفضل بقليل من متوسط درجات المجموعة الأولى. إن تغيير موعد بدء الدراسة فى الجامعة إلى الفترة المسائية سوف يكون مفيدًا للطلبة.

٣ - احتمال قيام الذين يعانون من أمراض عقلية بتدخين السجائر ضعف احتمال قيام غيرهم بتدخينها، وفق ما تفيد دراسة جديدة أعدها بحاث كلية الطب فى جامعة هارفرد. لقد كشف هؤلاء البحاث عن أن الأشخاص الذين يعانون من أمراض عقلية يمكن تشخيصها يشكلون نسبة ٤٥٪ تقريبًا من مجموع مدخنى التبغ فى أمريكا. تقترح الدراسة أن الذين يعانون من أمراض عقلية غالبًا ما يستخدمون نيكوتين السجائر فى تعديل أمزجتهم، والتخفيف من حدة الضغط النفسى.

الفصل الثالث

المبررات



تؤمّن المبررات استجابات لتطلع البشر لمعرفة لماذا يتخذ شخص ما قراراً ما أو يقر معتقداً ما.

ينبغى أن ينتهى كل درس بتقويم يكلف به الطلبة.

الخنزير أذكى من البغل.

يتوجب أن يكون رب العمل قادراً على إنهاء خدمات أى موظف يرفض إجراء اختبار المخدرات.

يفتقد كل من هذه المزاعم الثلاثة شيئًا. قد نتفق معها أو نخالفها، لكنها فى وضعها الراهن ليست قوية ولا ضعيفة. لا زعم منها يشتمل على تفسير أو مسوغ يبرر *لماذا* يتوجب علينا أن نتفق معه. لذا، إذا سمعنا شخصًا يطلق أحد هذه المزاعم، نظل فى حاجة إلى المزيد.

المفقود هو المبرر أو المبررات المسئولة عن المزاعم. *المبررات* مزاعم، شواهد، مجازات، مقارنات، وجمل أخرى تطرح لدعم النتائج أو تسويغها. إنها الجمل التى تشكل فى مجموعها أساس إثبات مصداقية النتيجة. لقد عرضنا عليك فى الفصل الثانى بعض الموجهات التى تعين على موضعة جزأين مهمين فى بنية الحجة – المسألة والنتيجة. فى هذا الفصل، سوف نركز على أساليب تحديد عنصر أساسى ثالث فى الحجة – المبررات.

حين يكون لدى المؤلف نتيجة ما، يرغب فى قبولك إياها، فإنه يتوجب عليه أن يعرض مبررات تقنعك بصحة ما يقول، ويبين لك *لماذا*.

دعم المعتقدات بإثباتات مناسبة، خصوصًا حين تكون المعتقدات خلافية، علامة التفكير العقلاني الفارقة. مثال ذلك، حين يقر شخص ما أنه ينبغى علينا استبعاد المحامين الذين تنقصهم الخبرة من تمثيل المتهمين بجنايات، فإن هذا الإقرار سوف يواجه بالتحدى "لماذا تقول ذلك؟". يتعين عليك أن تثير هذا السؤال، سواء أكنت موافقًا أم رافضًا.

مبررات المرء إما أن تكون وجيهة أو واهية، لكنك لن تعرف حتى تطرح السؤال وتحدد المبررات. إذا كانت الإجابة "لأننى أعتقد ذلك"، يتوجب ألا تكون راضيا عن الحجة، لأن "المبرر" مجرد إعادة صياغة للنتيجة. على ذلك، إذا كانت الإجابة شواهد تتعلق بأخطاء جسيمة ارتكبها محامون تنقصهم الخبرة فى قضايا جنائية، سوف ترغب فى اعتبار مثل هذا الشواهد حين تقوّم النتيجة. تذكر: *لن يتسنى لك تحديد قيمة النتيجة إلا بعد تحديد المبررات.*

تحديد المبررات خطوة مهمة بشكل خاص فى التفكير الناقد. لا نقوّم الرأى تقويمًا منصفًا ما لم نسأل عن علة إقراره ونرضى عن الإجابة. التركيز على المبررات إنما يشترط علينا أن نظل قادرين على الانفتاح على رؤى قد تغاير رؤانا والتسامح معها. إذا كنا نستجيب للنتائج عوضًا عن الاستجابة للمبررات، سوف ننزع إلى التشبث بالنتائج التى جلبناها معنا للنقاش، وسوف تحظى النتائج التى تتسق مع نتائجنا بقبولنا المتسرع. إذا رغبنا حقيقة فى فحص آرائنا، يتوجب أن نظل مفتوحين على المبررات التى يؤمّنها أشخاص يقرون آراء نختلف معها.

سؤال نقدى: ***ما المبررات؟***

المبررات + النتيجة = حجة

فى المحادثات العادية، تشير كلمة حجة (argument) إلى خلاف، إلى وقت يرتفع فيه ضغط الدم. سوف نستخدم هذا المفهوم بطريقة مختلفة. *الحجة* توليفة تجمع نوعين

من الجمل: النتيجة والمبررات التى يزعم أنها تدعمها. تشكل الشراكة بين المبررات والنتيجة حجة المرء. الحجة شىء نؤمّنه لأننا نعنى بكيفية عيش الناس حياتهم ونهتم بمعتقداتهم. التحسن المستمر الذى ننجزه إنما يرتهن بوجود من يهتم بنا إلى حد يجعله يطرح علينا حججه ويقوّم حججنا.

أحيانًا تتكون الحجة من مبرر واحد ونتيجة؛ غير أنه غالبًا ما تتعدد المبررات المطروحة لدعم النتيجة. لذا فإننا حين نشير إلى حجة شخص ما، قد نشير إلى مبرر مفرد ونتيجته المرتبطة به، أو جملة من المبررات والنتيجة التى يراد دعمها بها.

انتبه: المبررات تفسيرات أو مسوغات لوجوب اعتقادنا فى نتيجة بعينها. إنها ما يطرح بوصفه أساسا لعلة وجوب قبول النتيجة.

وفق استخدامنا لمصطلحى حجة و *استدلال*، ليس ثمة فرق فى المعنى – استخدام فكرة أو مجموعة أفكار لدعم فكرة أخرى. إذا كانت المقالة خلواً من المبررات، فإنها ليست حجة ولا استدلالاً. لهذا السبب، الحجج والاستدلالات وحدها التى يمكن أن تعانى من اختلالات منطقية. لأن المبرر *بذاته* فكرة منعزلة، فإنه لا يمثل علاقة منطقية.

ثمة خصائص عديدة تختص بها الحجة يتوجب الاهتمام بها:

- **الحجة مقصد. من يطرح علينا حجة يأمل فى إقناعنا بالاعتقاد فى أشياء أو مسلكيات بعينها بطرق بعينها. وفق ذلك،**

فإن الحجة تطالب باستجابة. نستطيع محاكاة منهجى الإسفنجة والذهب، ولكن يتوجب علينا عادة أن نستجيب بطريقة ما.

- **تتنوع الحجج من حيث الوجاهة. ثمة حاجة إلى التفكير الناقد لتحديد مدى وجاهة الحجة.**

- **تتشكل الحجة من مكونين واضحين - النتيجة والمبررات. الإخفاق فى تحديد أى منهما يضيع فرصة تقويم الحجة. ليس بمقدور المرء تقويم شيء يعجز عن تحديده.**

الحكم الأخير جدير بالتكرار والشرح. لا جدوى من التعجل فى التفكير الناقد. من المنصف لمن يعرض علينا حججًا أن نمضى بعض الوقت فى تحديد حججه قبل تقويم مقالته.

الشروع فى عملية التساؤل

تتعين الخطوة الأولى فى تحديد المبررات فى مقاربة الحجة بموقف سؤالى. السؤال الأول الذى يتوجب طرحه هو السؤال *اللماذى*. لقد سبق لك تحديد النتيجة، وترغب الآن فى معرفة لماذا تعد النتيجة وجيهة. إذا كانت الجملة لا تجيب عن السؤال "لماذا يعتقد كاتبها أو قائلها فيها؟"، فإنها لا تشكل مبرراً. كى تكون مبرراً، يتوجب على الجملة (أو مجموعة الجمل) أن تؤمّن دعماً لنتيجة.

دعونا نطبق هذا الموقف السؤالى على الفقرة التالية. بداية سوف نعثر على النتيجة، ثم نثير السؤال *اللماذى* المناسب. تذكر موجهات البحث عن النتيجة (مؤشرات النتيجة اللفظية طبعت بخط مائل).

١ - هل تعد تكاليف الرعاية الطبية فى المستشفيات باهظة؟

٢ - يعرض مسح أجرته فى الآونة الأخيرة جمعية المتقاعدين الأمريكية شواهد جديرة بالثقة فى هذه المسألة.

٣ - لقد اكتشفت لجنة مستقلة كلفت بمراجعة فواتير ٢٠٠٠ مريض أن المستشفيات تضيف فى المتوسط إلى التكاليف الحقيقية ما مقداره ١٥ بالمائة.

٤ - فضلاً على ذلك، كشفت مقابلات أجريت مع ٤٠٠ مريض عقب خروجهم من المستشفيات عن نوبات احتجاج وغضب انتابتهم حين علموا بالمبالغ التى يتوجب عليهم دفعها.

٥ - *باختصار*، تكاليف الرعاية الطبية فى المستشفيات جد باهظة.

ما يرد عقب *باختصار* يجيب عن السؤال الذى تثيره الجملة (١). هكذا نخلص إلى النتيجة (٥) "... تعد تكاليف الرعاية الطبية فى المستشفيات جد باهظة".

انتبه: تتكون الحجة من نتيجة، ومبررات يزعم أنها تدعمها.

بعد ذلك نسأل "لماذا يعتقد المؤلف فى النتيجة؟" الجمل التى تجيب عن هذا السؤال هى المبررات. فى حالة الفقرة السابقة، يعرض علينا الكاتب مبرراته فى شكل شواهد. الجملتان (٣) و(٤) تؤمّنان معًا هذه الشواهد، بمعنى أنهما يوفران الدعم للنتيجة. إنهما يشكلان مبرر النتيجة. هكذا يتسنى لنا إعادة صياغة المبرر على النحو التالى: ثمة مسح يبين أن المستشفيات تلزم مرضاها بدفع مبالغ إضافية، وحجم الفواتير يسبب صدمة للمرضى.

حاول الآن العثور على المبررات فى الفقرة التالية. مرة أخرى، ابدأ بالعثور على النتيجة، ضع تحتها خطًّا، ثم اسأل السؤال *اللماذى*.

١ – تلحق اليوثنيزيا (قتل الرحمة) الضرر برفاهة المجتمع لأنها تقوض فكرة التضحية، والولاء، والشجاعة فى تحمل الألم.

٢ – يقبل بعض المحتضرين القيام بهذه التضحية سبيلاً لدفع ثمن خطاياهم.

٣ – يجب السماح لأولئك الناس بالموت وفق مشيئتهم – دون مساعدة يقدمها آخرون تعجل من موتهم.

ليست هناك مؤشرات لفظية واضحة تشى بالنتيجة فى هذه الفقرة، غير أنه يستبان أن المؤلف يجادل ضد أخلاقية اليوثنيزيا. النتيجة هنا هى: "اليوثنيزيا تلحق الضرر برفاهة المجتمع". لماذا يعتقد الكاتب فى ذلك؟ المبرر الأساسى المطروح هو أنها " تقوض فكرة التضحية، والولاء، والشجاعة فى تحمل الألم". الجملتان التاليتان فى النص يشكلان دعمًا إضافيًا لهذا المبرر.

من أفضل سبل معرفة ما إذا كان تسنى لك تحديد المبرر أن تقوم بدور صاحب المقالة. ضع نفسك فى موقفه واسأل "لماذا أؤثر النتيجة التى أقوم بدعمها؟" حاول أن تعبر بكلماتك الخاصة عن الكيفية التى سوف يجيب بها عن هذا السؤال. إذا كان بمقدورك إعادة صياغة الإجابة، فمن المرجح أنك عثرت على مبرراته.

إبان تحديد بنية استدلال المؤلف، يتوجب التعامل مع أية فكرة تستخدم فى دعم نتيجته على أنها مبرر، حتى إذا لم تكن تعتقد أنها تشكل دعمًا للنتيجة.

مؤشرات المبررات اللفظية

كما فى حالة النتيجة، ثمة كلمات بعينها تقدم للمبررات. تذكر: بنية الاستدلال هى: لأن. وفق هذا، فإن كلمة لأن ومرادفاتها التى تؤدى وظائفها، تشير غالبًا إلى وجود مبررات. فيما يلى قائمة بمؤشرات المبررات اللفظية:

نتيجة لـ	بسبب حقيقة أن	أولاً، ... ثانيًا	ذلك أن
مثال ذلك	بسبب المبرر أن	بحسبان	يدعمه أن
باعتبار الشاهد	اكتشف البحاث أن		

أنواع المبررات

ثمة أنواع عديدة من المبررات، وفقًا على نوع المسألة. كثير من المبررات تصاغ في جمل تعرض شواهد. *الشواهد* معلومات محددة تستخدم في تأمين "إثباتات" على شيء تزعم صحته. يركن المؤلفون إلى أنواع عديدة من الشواهد "لإثبات معتقداتهم". تشتمل هذه الشواهد على "حقائق"، اكتشافات بحثية، أمثلة من الحياة الواقعية، إحصائيات، ركون إلى الخبراء والسلطات، شهادات شخصية، مجازات، ومقارنات. بعض أنواع الشواهد مناسبة أكثر من غيرها في بعض المواقف، وسوف تجد أنه من المفيد أن تطور لنفسك قواعد تحدد أنواع الشواهد المناسبة في كل موقف.

سوف تتساءل غالبًا "ما نوع الشواهد اللازمة لدعم هذا الزعم؟"، ثم تقرر ما إذا كانت مثل هذه الشواهد قد توافرت. يتوجب أن تعرف أنه ليست هناك "قواعد للشواهد" قابلة للتطبيق على كل حالات الاستدلال الجادة. ثمة تناول أكثر تفصيلاً للشواهد في الفصول ٨ – ١١ من هذا الكتاب.

حين يحاول المؤلف دعم نتيجة وصفية، عادة ما تشكل الشواهد إجابة على السؤال *اللماذي*.

التالي مثال على الحجة الوصفية؛ حاول العثور على مبررات المؤلف.

١ – الحقيقة أن طالبات الجامعة في أمريكا يدخن في الوقت الراهن السجائر وفق معدلات يتعاظم قدرها.

٢ – تبين مسوح أجريت مؤخراً أن طلاب الجامعات خفضوا من استهلاك السجائر بنسبة ٤٠ بالمائة، فيما ارتفع معدل استهلاك الطالبات بنسبة ٦٠ بالمائة.

يتوجب أن تكون اعتبرت الجملة الأولى النتيجة. إنها جملة وصفية تتعلق بمعدل تدخين طالبات الجامعة. سائر الفقرة عرض لشواهد – مبررات النتيجة. تذكر: النتيجة نفسها لا تشكل شاهداً؛ إنها معتقد تدعمه الشواهد أو معتقدات أخرى.

فى الحجج المعيارية، عادة ما تكون المبررات جملاً عامة أو معيارية، لكنها قد تكون أيضاً معتقدات أو مبادئ وصفية. فيما يلى توضيح لاستخدام هذه الأنواع من الجمل فى دعم نتائج الحجج المعيارية:

١ – بخصوص الجدل الحاد الدائر حول تضخم الدرجات، بودى أن أطرح بعض الأسئلة.

٢ – أى فرق ينجم عن عدم تمييز المتفوقين عن متوسطى القدرات؟

٣ – هل يوجد فى مجتمعنا نظام تمييزى مؤسس على متوسط الدرجات؟

٤ – هل ذوو المتوسط المرتفع من الدرجات أفضل من أصحاب المتوسطات المتدنية؟

٥ – فى أغلب الحالات، لا تعكس الدرجات حقيقة قدر ما تم تحصيله من تعليم؛ إنها تقيس فحسب إلى أى حد تشرب الطالب مجموعة من المعلومات، فترة قصيرة ثم قام بإرجاعها فى الامتحان.

٦ – لا يحتفظ الطلبة إلا بالمعلومات التى تثيرهم ويعتبرونها مهمة.

٧ – لماذا لا نستطيع التخلص من نظام الدرجات والتعويل فحسب على الفضول الفطرى والحماس للتعلم الكامنين أصلاً فى كل واحد منا؟

يتمحور الجدل هنا حول ما يتوجب القيام به إزاء تضخم الدرجات. حل المؤلف للمشكلة إلغاء نظام الدرجات، وفق ما تشير (٧). دعونا نبحث عن الجمل التى تجيب عن السؤال "لماذا يعتقد المؤلف فى هذه النتيجة؟" أولاً، لاحظ أنه لا يؤمّن أية شواهد. الجملتان (٢) و(٣) يشكلان مبرراً واحداً: ليس من المهم التمييز بين الطالب المتوسط والطالب الجيد. لاحظ أن هذا مبدأ عام يشير إلى رؤية الكاتب فى الوضع الذى يتعين أن يكون عليه العالم. الجملتان (٤) و(٥) يضيفان مبرراً آخر: لا تعكس الدرجات قدر ما يتم تحصيله من تعليم. هذا معتقد عام يتعلق بمثالب نظام الدرجات. الجملة (٦) تؤمّن مبرراً ثالثاً: لا يحتفظ الطلاب إلا بالمعلومات التى تثيرهم ويعتبرونها مهمة لهم (الدرجات لا تعين المتعلم على التذكر). هذا المبرر معتقد عام آخر. لو فصّل المؤلف فى حجته، لربما تسنى له توفير شواهد لهذه المعتقدات نفسها.

الحفاظ على المبررات والنتائج فى صياغة واضحة

كثير من الاستدلالات طويلة ومشوشة. أحياناً تدعم مجموعة من المبررات نتيجة واحدة، فى حين توظف النتيجة مبرراً لنتيجة أخرى. المبررات قد تدعمها مبررات أخرى. فى الحجج المركبة بشكل خاص، يصعب غالباً الحفاظ على البنية واضحة فى الذهن إبان تقويم المقالة نقدياً. للتغلب على هذه المشكلة، حاول تطوير إجراء تنظيمى يخصك لعزل المبررات عن النتائج بشكل منطقى.

مفاتيح لتحديد وتنظيم استدلال النص

١ - ضع دائرة حول كل مؤشر لفظى.

٢ - ضع خطوطًا مختلفة الألوان تحت المبررات والنتيجة، أو ابرز النتيجة وضع خطوطًا تحت المبررات.

٣ - ضع عناوين فى الهامش تشير إلى المبررات والنتيجة.

٤ - بعد قراءة فقرات طويلة، قم بإعداد قائمة بالمبررات فى نهاية النص.

٥ - فى حالة الاستدلالات المركبة بشكل خاص، ضع مخططًا للبنية، باستخدام أرقام تشير إلى النتيجة وكل مبرر من مبرراتها، وأسهما توضح اتجاه العلاقات القائمة بينها. أحيانًا يكون هذا الأسلوب جد مفيد حال إعادة صياغة المبررات والنتيجة فى الهوامش، ثم ترقيمها.

يمكن توضيح هذه الأساليب بمحاولة العثور على النتيجة والمبررات فى النص التالى المركب نسبيًا:

١ - هل لدى الطبيب إلزام أخلاقى بتأمين رعاية طبية مجانية للمعوزين؟

٢ - نعم.

٣ - *أولاً*، يقصر المجتمع ممارسة الطب فى معظمها على الأطباء، ما يؤدى إلى احتكار طبى يتضح أنه يعود بالنفع على الأطباء.

٣ – هكذا *يبدو أنه من السديد* أن تعترف مهنة الطب بمسؤوليتها الجماعية على تأمين رعاية حتى للعاجزين عن الدفع.

٥ – *ثانيًا، التزام الأطباء الأفراد* أخلاقيًا بتأمين رعاية مجانية مؤسس على فهم لخصوصية دورهم.

٦ – يتوجب ألا نقارن الطبيب بالسباك أو عامل المجارى أو فنى السيارات، أو بأصحاب مهن أخرى تتعامل مع أشياء لا حياة فيها.

٧ – خلافًا لإصلاح السيارات، مشاكل الناس الصحية ليست قابلة للتأجيل أو المساومة.

٨ – قيام الأطباء بعلاج البعض دون مقابل أمر مهم إذا رغب الأطباء فى أن يظلوا أطباء ولم تعد الخدمات الطبية مجرد نشاط تجارى آخر مؤسس على الربح.

يفترض بداية أن تكون لاحظت أننا طبعنا النتيجة والمؤشرات اللفظية الأساسية بخط مائل. أيضا، لا ريب أنك لاحظت أثناء قراءة النص أن بنية الاستدلال غاية فى التركيب. فى مثل هذه النصوص، ثمة حاجة لفهم تسلسل الجمل المنطقى حتى يتسنى عزل البنية الاستدلالية. التالى مخطط لعلاقة المبررات بالنتيجة. حاول تخطيط النص دون عون، ثم قارن مخططك بمخططنا:

(٣) ← (٤) ← (٢) → (٨) → (٥) → (٦) → (٧)

يعكس مخططنا تأويلاً مفاده أن الجملة (٤) فى الفقرة الأولى والجملة (٨) فى الفقرة الثانية تجيبان مباشرة عن السؤال "لماذا تعد النتيجة، الجملة (٢)، صحيحة؟". اتجاه مسار الأسهم إنما يشير إلى تقديرنا لكيفية دعم سائر المبررات لهذين المبررين. مثال ذلك، الجملة (٦) توفر دعمًا للجملة (٥).

المخططات مفيدة فى فهم الحجج المركبة بشكل خاص. حين تقرأ مقالات طويلة، عادة ما يكون من المفيد إعادة صياغة المبررات الأساسية فى الهامش. هكذا يتسنى لنا، نسبة إلى النص السابق، عرض المبررات التالية المعاد صياغتها:

الفقرة ١: الأطباء مدينون للمجتمع.

الفقرة ٢: دور الطبيب دور خاص؛ الطبيب يختلف عن رجل الأعمال.

ذكرنا عدداً من الأساليب التى يمكن استخدامها فى تطوير صورة واضحة لبنية الاستدلال. إذا اكتشفت أساليب أفضل، لا تتردد فى استخدامها. الأمر المهم هو وضوح المبررات والنتيجة فى ذهنك إبان تحضيرك لعملية التقويم.

ما أن تعثر على المبررات حتى تحتاج إلى الرجوع ثانية إليها خلال المزيد من القراءة أو الاستماع. وجاهة المبررات أمر حاسم للحجة المنطقية. الحال أن النتيجة ترتهن بمناقب مبرراتها. *المبررات الواهية إنما تشكل استدلالات واهية!*

المبررات أولاً، ثم النتائج

حذرك الفصل الأول من مخاطر التفكير النقدى بالمعنى الضعيف. يتوجب أن تنطفى علامة الإنذار التى تحذرك من مثل هذا الضرب من التفكير حال ملاحظة أن هناك محاولة لخلق مبررات (فى الموضع المناسب) فقط لأن هذه المبررات تدعم رأياً سبق إقراره. حين يتطلع المرء إلى مشاركة الآخرين إياه فى رأى (نتيجة)، لكن علامات الارتباك أو الغضب ترتسم على محياه، عادة ما يكون التفكير الناقد بالمعنى الضعيف هو المسئول.

من المؤكد أن لديك مجموعة كبيرة من المعتقدات المبدئية، تقوم بدور النتائج المبدئية إبان مواجهة مسائل خلافية. بتعاظم قدر احترامك للمبررات، سوف تتوقع

مراراً أن ترتهن قوة تلك النتائج بالأسس التى تدعمها. أقوى نتائجك إنما ينشأ عن التأمل فى المبررات وما تعنيه.

كن رقيباً على نفسك فى هذا الصدد. يتوجب أن تمحص ما لديك لفرز ما فيه من ذهب. حاول تجنب "المنطق المعكوس" أو "الاستدلال الخلفى"، حيث المبررات أفكار تالية تعقب اختيار النتائج. مثالياً، المبررات أداة لشحذ النتائج وتعديلها.

المبررات "الطازجة" والنمو

نحتاج إلى تذكير أنفسنا المرة تلو الأخرى بأهمية إرغامها على الاهتمام بالمبررات "الطازجة"، المبررات التى لم يسبق لنا اعتبارها. إنصاف مثل هذه المبررات صعب لكنه مجد. آراؤنا الراهنة هى ما تجعل هذه المهمة صعبة. إنها تشكل نقطة بدء استجاباتنا للاستدلال. إننا نواجه كل محادثة، مقالة، أو محاضرة بولاء مسبق لمعتقدات راهنة. هكذا قد تكون معتقداتنا الراهنة عائقاً يحول دون الاستماع والتعلم. غير أننا نعرف على مستوى آخر أن هناك مبررات وجيهة لم تسبق لنا مواجهتها. كى نحقق نمونا الشخصى، يتوجب علينا أن نتيح للمبررات "الطازجة" فرصة حقيقية فى التحدث إلينا.

التفكير النقدى وأسلوبك فى الكتابة والتحدث

حين تكتب أو تتحدث، فإنك ترغب فى جعل المتلقى يتفق معك. يستدعى هذا أن يتضح فى ذهنه ما تود استنتاجه وعلة استنتاجك إياه. لا تخف نتيجتك ومبرراتها، بل اعرضها على الملأ. أعط المتلقى فرصة واضحة فى رؤية ما تقصد. هكذا تتعين مهمتك فى استخدام كلمات، وجمل، ومؤشرات لفظية توضح العلاقات المنطقية القائمة بين مكونات حجتك.

تمرينات تطبيقية

سؤال نقدى: *ما المبررات؟*

بداية اقرأ النص وضع خطًا تحت نتيجته. بعد ذلك اطرح السؤال اللماذى وحدد موضع المبررات. استخدم المؤشرات اللفظية فى تسهيل مهمتك. اعزل النتائج عن المبررات.

النص ١

حالات الطلاق فى ارتفاع مستمر، وهذا يثير فى أنفسنا الكثير من المخاوف. أخيرًا حدد علماء النفس السبب الرئيس للطلاق. بعد ملاحظة أن أسرًا بعينها تتعدد فيها حالات الطلاق، اكتشف أولئك العلماء أن هناك مورثات تقوم بدور أساسى فى تسبيب الطلاق.

على الرغم من أن معدل الطلاق بوجه عام يبلغ ٢٠ بالمائة، اكتشف علماء النفس أن نسبة الطلاق عند التوائم تصل إلى ٤٥ بالمائة، إذا سبق لأحد التوأمين تطليق حليلته. فحص معدل الطلاق بين آباء التوائم يؤمّن شواهد دالة إضافية على أن المورثات هى السبب الأساسى. *إذا* سبق أن حدث طلاق بين والدى التوائم، فإن فرصة كل منهما فى الطلاق تزيد بما قدره ١٠ بالمائة.

النص ٢

تحقق الدراجات المائية رواجًا سريعًا. يمكن لقائدى هذه الدرجات السفر إلى أى مكان باستخدام قارب صغير، وهذه

هواية محببة عند الشباب. أثار هذا الرواج مسألة ضوابط استخدام البحر. في هذه الحالة، الحجة المدافعة عن فرض ضوابط صارمة حجة مقنعة. استخدام الدراجات المائية شكل مميت من الترفيه المائي.

مثال ذلك، كانت هناك امرأتان تمضيان عطلتهما في لونجبوت كي. بينما كانتا تطفوان فوق قطعة خشبية بمحاذاة الشاطىء، اصطدمت بهما دراجة مائية، ما أدى إلى وفاتهما. أيضًا تعرض قادة دراجات مائية للقتل أو لإصابات بالغة نتيجة الاصطدام بدراجات مائية أخرى. آخرون جنحوا إلى البحر بعد أن تعطلت دراجاتهم المائية أو غرقوا بعيدًا عن الشاطئ. كثير من قادة مثل هذه الدرجات تنقصهم الخبرة ويجهلون قواعد الإبحار، ما يصعد من احتمال الحوادث.

فضلاً عن المخاطر الكامنة في الدراجات المائية، ثبت أنها مصدر إزعاج بيئي. هكذا يشكو سكان الشواطئ من الضوضاء التي تسببها تلك الدراجات. أيضًا عبرت "مؤسسة حوت المحيط الهادي" في الشاطئ الغربي الأمريكي عن خشيتها من أن تشيع الدراجات المائية الذعر في الحوت المحدب المعرض للانقراض الذي يهاجر إلى هاواي من أجل التكاثر.

القيود التي تشترط حدًا أدنى من العمر لقيادة الدراجات المائية، وتحدد المناطق التي يسمح فيها باستخدامها، وتفرض تقسيمًا إجباريًا للمناطق البحرية الآمنة، قيود ضرورية. في غياب مثل هذه الضوابط، من المؤكد أن المآسي الناجمة عن الدراجات المائية سوف تتضاعف، ما يجعل الكثير من الشطآن مناطق لا يؤمن الترفيه فيها.

النص ٣

تعتبر الخبرة بشكل سائد أفضل أنواع التعليم. اختبار الثقافة مباشرة السبيل الوحيدة لفهم كيف يعيش الآخرون فهمًا حقيقيًا. غالبًا ما يكون الطلبة الأكثر غنى هم القادرون على السفر واختبار حياة غريبة، ولكن إذا تسنى ذلك لعدد أكبر من الطلبة، خصوصًا طلبة الثانوية، قد لا تقتصر حياتهم على اختيار الملابس لشريكات حياتهم.

ينبغى أن تمول المدارس رحلات عبر البحار لإتاحة الفرص لعدد أكبر من الطلبة فى التعلم عبر الخبرة. فضلاً على ذلك، يجب ألا تعطى هذه المنح لذوى أفضل المعدلات، إذ يتوجب إتاحتها للجميع. غالبًا ما يكون ذوو المعدلات المتدنية الأحوج إلى خبرات تغير أسلوب حياتهم، من قبيل السفر، على نحو يحضهم على التطلع إلى خطط مستقبلية. الرحلات التى تمولها المدارس تمكن الطلبة من معرفة السوق العالمى الذى سوف يحتاجون قريبًا للعمل فيه.

عينات من الأجوبة

النص١

المسألة: *ما أسباب الطلاق؟*

النتيجة: *المورثات سبب رئيس.*

المبررات: ١ - *احتمال أن يختبر توأم، سبق لتوأمه الطلاق، الخبرة نفسها أكبر من احتمال أن يختارها غيره.*

٢ – إذا سبق أن حدث طلاق بين والدى التوائم، فإن فرصة كل منهما فى الطلاق تزيد بما قدره ١٠ بالمائة.

تذكر أننا نبحث عن دعم للنتيجة. إننا نسأل أنفسنا: لماذا يزعم هذا الشخص أن المورثات تقوم بدور رئيس فى تسبيب الطلاق؟ النتيجة مبررة من قبل اكتشافين بحثيين؛ يشكل هذان الاكتشافان المبررات. المؤشرات اللفظية فى الفقرتين الأوليين هى "اكتشف علماء النفس"، " شواهد دالة إضافية".

النص ٢

المسألة: هل يتوجب فرض ضوابط صارمة على استخدام الدرجات المائية ؟

النتيجة: نعم، يتوجب فرض ضوابط صارمة على استخدام الدرجات المائية.

المبررات: (١) الدراجات المائية غاية فى الخطورة.

(مبررات داعمة)

أ) يعرض قادة الدراجات المائية أنفسهم ونفوس الآخرين للقتل.

ب) معظم قادة الدراجات المائية تنقصهم الخبرة ويجهلون القواعد.

ت) الازدحام زاد الأمر سوءًا.

٢ – تشكل الدراجات المائية مخاطر بيئية.

(مبررات داعمة)

أ) تزعج الضوضاء سكان الشواطئ.

ب) قد تخيف الدراجات المائية الحوت الأحدب المعرض للانقراض.

لماذا نخبر بأنه يتوجب فرض ضوابط صارمة على الدراجات المائية؟ تشكل الإجابة عن هذا السؤال مبررات المؤلف. المبرر الأول مدعوم بمجموعة من الأمثلة والمزاعم، تحاول كلها جعلنا ندرك المخاطر الجمة التي يواجهها من يجرؤ على استخدام الدراجات المائية. *فضلاً على ذلك* مؤشر لفظي ينبهنا إلى المبرر الثاني. مفاد هذا المبرر المخاطر البيئية الناجمة عن الاستخدام غير المنضبط للدراجات المائية. لهذا المبرر مبرران داعمان. هذا نص جيد للتدريب على تخطيط الاستدلالات.

ملخص السؤال النقدى

مكمن أهمية هذا السؤال

ما إن تحدد المسألة والنتيجة، حتى تحتاج إلى فهم *لماذا* خلص المؤلف إلى نتيجة بعينها. المبررات هى *اللماذا*. إذا أمّن المؤلف مبررات وجيهة، قد يقنعك بقبول النتيجة. غير أننا معنيون هنا فحسب بتحديد المبررات. تحديد المبررات هو الخطوة التالية فى اتخاذ قرار بخصوص ما إذا كان يتوجب عليك قبول نتيجة المؤلف أو رفضها.

مختارات من أسئلة الموقع الخاص بالكتاب

حدد المبررات.

١ - توم واحد من أكثر اللاعبين الذين أعرف مهارة. إنه يلعب جميع الألعاب المتوافرة فى المدرسة، حتى كرة القدم الأمريكية، المصارعة، وكرة القدم. إنه قبطان فريق المقاطعة، وفى العام الماضى حقق فريق السباحة الذى ينتمى إليه نتائج جيدة.

٣- لم أعد أطيق الذين يتحدثون عن توافر فرص متساوية للجميع فى الولايات المتحدة. إن نظرة سريعة للحقائق تبين أنه لا وجود لشىء اسمه "الفرصة المتساوية" المتاحة لكل شخص. اعتبر مثلاً الأعمار المتوقعة: السكان البيض الذين تتجاوز أعمارهم ٦٥ عاما أكثر بكثير من نظرائهم السود: هناك ٢٩ مليون أبيض تتجاوز أعمارهم ٦٥ عاما، فى حين لا يوجد سوى ٢,٦ مليون أسود ممن تفوق أعمارهم ٦٥ عاما. إذا لم تحصل كل الأجناس على متوسطات أعمار متقاربة تنجز فيها ما تستطيع إنجازه، فإنه يصعب إقرار أن فرصها فى النجاح متساوية.

٤ - تسألنى عن الفيلم الذى شاهدت؛ لقد كان رديئًا - إننى لا أنصح أحداً بمشاهدته. لقد أصبت بالملل لدرجة أننى لم أحضر سوى نصفه. المحاكاة الحاسوبية رديئة؛ لقد كان فى وسعى أن أعرف أنهم كانوا يستخدمون أشكالاً حاسوبية بدلاً من التصوير الحى. نكات الممثلين لم تكن مضحكة. على الرغم من أنه مكتوب على الإعلان أنه "فيلم رعب"، كان الفيلم خاليًا من الحركة. أقترح أن تنفق مالك على شىء آخر.



الفصل الرابع
الكلمات والعبارات الغامضة



تعينك الفصول الثلاثة الأولى من هذا الكتاب على تحديد العناصر البنيوية الأساسية فى أية رسالة. فى هذه المرحلة، إذا كنت تستطيع تحديد موضع نتيجة الكاتب أو المتحدث ومبرراته، فإنك تمضى قدماً شطر الغاية النهائية: تشكيل خيارات عقلانية. الخطوة التالية إلقاء المزيد من الضوء على هذه الصورة البنيوية.

فى حين يمنحك تحديد النتيجة والمبررات البنية المرئية الأساسية، تشترط الاستجابة المنصفة للأفكار المعروضة فحص المعنى الدقيق لكل جزء من هذه الأجزاء الثلاثة. تحتاج الآن إلى اهتمام أعمق بتفاصيل اللغة.

تحديد المعنى الدقيق للكلمات أو العبارات الرئيسة خطوة أساسية فى اتخاذ قرار بخصوص قبول رأى شخص آخر أو رفضه. إذا أخفقت فى تقصى معانى الحدود أو العبارات الحاسمة، قد تستجيب لرأى لا يقره المؤلف.

دعونا نرى لماذا تحوز الدراية بألفاظ المؤلف مثل هذا القدر من الأهمية؟

> **باختبار تتعاظم حدته آثار ما يبدو زيادة فى درجة حرارة العالم، نحتاج إلى اعتبار فرض قيود على طريقتنا الراهنة فى الحياة. ما لم نتوقف عن العيش بالأسلوب التى دأبنا على العيش وفقه، محتم أن تغمرنا المياه، لأن المحيطات سوف تكبر بسبب نوبان الأنهار الجليدية.**

لاحظ أنه يصعب اتخاذ موقف من هذه الحجة ما لم نعرف المزيد عن القيود التى يشير إليها المؤلف. فرض الغرامة قيد؛ وكذا شأن إغلاق المصانع الكبرى. لن نحدد موقفنا إلى أن نعرف المزيد عن القيود المقترحة.

يوضح هذا المثال نقطة مهمة: لا تستطيع الاستجابة إلى أية حجة ما لم تفهم المعنى (الصريح أو الضمنى) الذى تحوزه الحدود أو العبارات الرئيسية. الكيفية التى تؤول بها هذه الألفاظ يؤثر غالبًا فى قبول الاستدلال. لذا، قبل أن تستطيع تحديد مدى رغبتك فى قبول نتيجة أو أخرى، يتوجب أن تحاول أولاً اكتشاف المعنى الدقيق الذى تحمله النتيجة والمبررات. مثال ذلك، فى حين أن كلمة تبدو معانيها واضحة، غالبًا ما تكون خلاف ذلك.

يتطلب اكتشاف المعنى وتوضيحه إدراك ما تتخذ من خطوات. يقترح هذا الفصل مجموعة من مثل هذه الخطوات. إنه يركز على السؤال التالى:

سؤال نقدى: ***أى الكلمات والعبارات يعانى من غموض؟***

الكلمات مرنة على نحو مربك

لغتنا غاية فى التركيب. لو كان لكل لفظة معنى واحد مجمع عليه، لكان الاتصال الفعال جد محتمل. غير أن معظم الألفاظ تحوز أكثر من معنى.

اعتبر المعانى المتعددة التى تحملها كلمات من قبيل *الحرية، الفحش، والسعادة*. قد تنشأ عن تعددية المعانى مشاكل خطيرة فيما يتعلق بتحديد قيمة الحجة. مثال ذلك، حين يجادل شخص ما بوجوب حظر مجلة ما لأنها فاحشة، لن تستطيع تقويم حجته إلى أن تعرف ما يعنيه من كلمة "فاحشة". فى هذه الحجة الموجزة، ليست هناك صعوبة فى تحديد نتيجة المؤلف ومبرره الداعم، غير أنه تصعب تقويم وجاهة الاستدلال بسبب الاستخدام الغامض لكلمة فاحشة. وفق هذا، حتى لو تسنى لنا تحديد البنية الأساسية للحجة، يظل محتم علينا أن الانشغال بمعانى بعض الألفاظ التى تشتمل عليها تلك البنية. تحذير: *غالبًا ما نسىء فهم ما نقرأ أو نسمع لأننا نفترض أن معانى الألفاظ واضحة*.

أنى ما قرأت أو استمعت، ارغم نفسك على البحث عن *الغموض*؛ خلافًا لذلك، قد تسيء فهم بيت القصيد. الحد أو اللفظة تكون غامضة حين لا يكون معناها مؤكدًا في الحجة التي نقوم بفحصها إلى حد يوجب المزيد من التوضيح قبل إمكان الحكم على وجاهة الاستدلال.

موضعة الحدود والعبارات الرئيسة

تتعين الخطوة الأولى في تحديد الحدود والعبارات الغامضة في توظيف المسألة مفتاحًا للحدود الرئيسية. الحدود أو العبارات الرئيسية هي تلك التي قد تحمل أكثر من معنى مناسب ضمن سياق المسألة. إنها الحدود التي تعرف أنه محتم توضيحها قبل أن يتسنى لك أن توافق أو تختلف مع المؤلف. لتبيان جدوى فحص مفردات المسألة، دعونا نتقصّ المسائل التالية:

١ - هل يؤثر عنف البرامج التليفزيونية سلبًا على المجتمع؟

٢ - هل تقلل مسابقات ملكة جمال أمريكا من قدر المرأة؟

....

انتبه: يشير الغموض إلى وجود تعددية في المعاني التي قد تحملها الكلمة أو العبارة.

تشتمل كل مسألة على عبارات محتم على المؤلف توضيحها قبل أن يتسنى تقويم استجابته للمسألة. الكلمات التالية قد تكون غامضة: "عنف البرامج التليفزيونية"، "يؤثر سلبًا على المجتمع"، "يقلل من قدر المرأة"، ... . لهذا السبب، حين

تقرأ أية مقالة تستجيب لمثل هذه المسائل، يتوجب أن تهتم بوجه خاص بكيفية تعريف المؤلف لها.

تتعين الخطوة الثانية من خطوات تحديد الحدود والعبارات الغامضة فى تعيين الحدود أو العبارات التى تبدو حاسمة لمدى دعم مبررات المؤلف لنتيجته، أى تحديد الحدود *الرئيسة* فى البنية الاستدلالية. ما إن تموضع هذه الحدود، حتى يتسنى تحديد ما إذا كانت معانيها غامضة.

إبان البحث عن الحدود والعبارات الرئيسة، يتوجب عليك أن تعى باستمرار علة بحثك عنها. ثمة شخص يرغب فى قبولك نتيجة ما. لذا فإنك تبحث فحسب عن تلك الحدود أو العبارات التى تؤثر فى قبولك تلك النتيجة. لذا، ابحث عنها فى *المبررات والنتيجة*. لك إذن أن تسقط من حسابك الحدود والعبارات غير المتضمنة فى البنية الأساسية.

ثمة موجه آخر يعين على البحث عن الحدود والعبارات الأساسية. تأكد من تطبيق القاعدة التالية: كلما كانت الكلمة أو العبارة أكثر تجريداً، تعاظم احتمال عرضتها لتأويلات متعددة، ما يستوجب قيام المؤلف بتوضيحها. لتحديد ما نعنيه من كلمة تجريد، نقول: يصبح الحد أكثر تجريداً كلما كان يشير إلى حالات أقل تحدداً أو عينية. هكذا تعد الكلمات *مساواة، مسئولية، المواد الإباحية، الاعتداء* أكثر تجريداً من العبارات "توفير ضروريات الحياة بالتساوى"، "تسبيب الحدث مباشرة"، "صور أعضاء الرجل والمرأة التناسلية"، "إلحاق ضرر مادى بشخص آخر". إن هذه العبارات تؤمن صورة أكثر عينية، ما يجعلها أقل غموضاً.

بمقدورك أيضاً موضعة العبارات الغامضة المهمة المحتملة عبر القيام بعكس *الأدوار*. اسأل نفسك: لو كنت تتبنى *موقفاً مخالفاً لموقف المؤلف*، أكان لك أن تعرّف حدودا أو عبارات بعينها بطريقة مختلفة؟ إذا كان ذلك كذلك، فقد حددت موضع غموض ممكن. مثال ذلك، من تروق له مسابقات الجمال أنزع إلى تعريف "التقليل من قدر المرأة" بطريقة تختلف عن تعريف من يعترض عليها.

ملخص مفاتيح موضعة الحدود الرئيسة

١ - راجع المسألة بحثا عن الحدود الرئيسية.

٢ - ابحث عن الكلمات أو العبارات الحاسمة ضمن المبررات والنتيجة.

٣ - راقب باستمرار الكلمات والعبارات المجردة.

٤ - استخدم طريقة عكس الأدوار لتحديد كيف يمكن لشخص آخر تعريف كلمات وعبارات بعينها بطريقة مختلفة.

فحص الغموض

تعرف الآن أين تعثر على الحدود والعبارات الغامضة. فى الخطوة التالية ركز على كل حد أو عبارة واسأل نفسك "هل أفهم معناها؟". كى تجيب عن هذا السؤال، تحتاج إلى التغلب على عوائق أساسية متعددة.

من ضمن هذه العوائق افتراض أنك تتفق مع المؤلف بخصوص المعنى. يتوجب أن تشرع فى البحث متجنبًا "قراءة الأفكار"؛ أن تعتاد على طرح السؤال "ما الذى تعنيه من هذا؟"، بدلاً من "أعرف تمامًا ما تعنيه". هناك عائق آخر يتعين فى افتراض أن الحد يحتمل تعريفًا واضحًا واحدًا. ولأن كثيراً من الحدود تحتمل أكثر من تعريف، اسأل دائمًا "هل يمكن لأى من الحدود أو العبارات أن يحمل معنى مغايراً؟".

تستطيع التيقن من أنك حددت حدًا غامضًا مهمًا بإجراء الاختبار التالى. إذا استطعت التعبير عن معنيين بديلين أو أكثر، يتسق كل منهما مع سياق الحجة، وكان مدى دعم المبررات للنتيجة يتأثر بأى المعانى تفترض، فقد نجحت فى موضعة غموض مهم. هكذا يتعين هذا الاختبار الجيد لما إذا كنت حددت غموضًا مهمًا فى *الاستعاضة* بالمعانى البديلة فى البنية الاستدلالية ومعرفة ما إذا كان تغيير المعنى *أحدث فرقًا* فى مدى دعم المبررات للنتيجة.

استخدام هذا السؤال النقدى

الفقرة السابقة جديرة بالاهتمام الكامل. إنها توضح كيفية استخدام السؤال النقدى الخاص بالغموض. ما إن تطبق هذا الإجراء، حتى يتسنى لك أن تبين لنفسك والآخرين لماذا يحتاج الاستدلال إلى المزيد من بذل الجهد. حاول قدر استطاعتك الاعتقاد فيما قيل، فإنك- بوصفك مفكرًا ناقدًا - لن تتفق مع الاستدلال حتى تنجح فى تبديد الغموض الذى يؤثر فيه.

تحديد الغموض

دعونا الآن نفد من التلميحات السابقة فى تحديد الحدود الرئيسة التى أخفق المؤلف فى جعلها واضحة. تذكر: إبان إجراء هذا التمرين، اسأل دائما "ما الذى يعنيه المؤلف من هذا؟" واهتم اهتمامًا خاصًا بالحدود المجردة.

سوف نبدأ ببنية استدلالية بسيطة: إعلان.

Lucky Smokes تدبر الأمر وبثلاثة ملليجرامات من القطران
فقط حصل على نكهة.

المسألة: ***أى أنواع السجائر يتوجب على ابتياعها؟***

النتيجة: (ضمنية): *اشتر Lucky Smokes*.

المبرر: يعطيك نكهة بثلاثة ملليجرامات من القطران فقط.

العبارتان "اشتر **Lucky Smokes**" و"ثلاثة ملليجرامات من القطران" عبارتان عينيتان وواضحتان تمامًا فيما يبدو. ولكن ماذا عن "حصل على نكهة"؟ هل المعنى واضح؟ في تقديرنا أنه ليس ذلك. دعونا معًا نطبق الاختبار التالي. هل يمكن لكلمة "نكهة" أن تحمل أكثر من معنى؟ نعم. قد تعني مذاق تبغ معتدل لا يكاد تلحظ، وقد تعني مذاقًا مرًا لا يستساغ، وقد تحمل دلالات أخرى. أليس صحيحًا أنك سوف تكون أنزع إلى الأخذ بنصيحة الإعلان لو كانت النكهة تناسب ما تفضل؟ الغموض إذن مهم لأنه يؤثر في مدى اقتناعك بالإعلان.

غالبًا ما تعج الإعلانات بالعبارات الغامضة. الحال أن المعلنين يقومون عمدًا باستخدام تعبيرات غامضة بغية إقناعنا بأن منتجاتهم أفضل من منتجات منافسيهم. فيما يلي عينة من المزاعم الإعلانية الغامضة. حاول تحديد معاني محتملة بديلة للكلمات والعبارات المطبوعة بخط مائل.

No-Pain مسكن الآلام ذو *الفعالية الإضافية*.

عطر Vanmusk: يسبق *أحلامك* بخطوة واحدة فقط.

ألبوم Ray Rhinestone الجديد: ألبوم *الخبرة*.

Vital Hair Vitamins تبين لك *ما* تستطيع أن تفعله الفيتامينات بشعرك.

أخيرا، هذا كتاب يوضح لك كيف تعثرين وتحافظين على *رجل* مناسب.

في كل حالة، يأمل المعلن أن تعزو المعنى الأكثر فتنة للكلمات الغامضة. بمقدور القراءة النقدية أن تحميك أحيانًا من اتخاذ قرارات شرائية سوف تندم عليها.

دعونا الآن نتقص مثالاً أكثر تركيبًا على الغموض. تذكر أن تبدأ بتحديد المسألة، والنتيجة، والمبررات. قاوم إغواء رصد ملاحظة عن المعنى الغامض لأية كلمة وكل كلمة. غموض **الاستدلال** وحده الحاسم عند المفكرين النقاد.

> **حان الوقت لاتخاذ خطوات فعالة للتقليل من قدر العنف في البرامج التليفزيونية. إن تأثيره السلبي واضح للعيان، وفق ما يشهد العديد من الدراسات البحثية التي أجريت مؤخرًا. هكذا تشير عدة دراسات بحثية إلى أن الذين يعتادون قضاء عدة ساعات أم شاشات التلفزة يميلون إلى المبالغة في تقدير مخاطر العنف البدني في الحياة الواقعية. هناك دراسات كثيرة أخرى تبين أن الأطفال الذين يعتادون قضاء ساعات عديدة أمام شاشات التلفزة قد يصبحون أقل حساسية تجاه عنف العالم الواقعي. العديد من الدراسات الأخرى تثبت الآثار السلبية الناجمة عن العنف الذي يعرضه التليفزيون.**

تتناول هذه المقالة مسألة ما إذا كان يتوجب علينا القيام بشيء إزاء العنف في البرامج التليفزيونية، وهي تخلص إلى وجوب اتخاذ خطوات فعالة للتقليل من قدر ذلك العنف. مفاد مبرر المؤلف الأساسي الذي يطرحه لدعم نتيجته أن مثل هذا العنف يؤدي إلى آثار سلبية. بعد ذلك يستخدم الكاتب شواهد بحثية لدعم استدلاله. دعونا نفحص هذا الاستدلال بحثًا عن أية كلمات أو عبارات قد تؤثر في رغبتنا في قبوله.

أولا، سوف نفحص المسألة بحثًا عن حدود تستدعي قيام الكاتب بتوضيحها. بيّن أننا لن نستطيع الاتفاق أو الاختلاف مع نتيجته ما لم يحدد ما يعنيه من عبارة "عنف البرامج التليفزيونية". لذا فإننا نرغب في معرفة إلى أي حد قام بطرح تعريف واضح لهذه العبارة في استدلاله.

بعد ذلك، نسرد قائمة بالحدود والعبارات المتضمنة فى النتيجة والمبررات: "اتخاذ خطوات فعالة للتقليل من قدر العنف فى البرامج التليفزيونية"، "الآثار السلبية"، "العديد من الدراسات البحثية التى أجريت مؤخراً "، "دراسات كثيرة"، " الذين يعتادون قضاء عدة ساعات أمام شاشات التلفزة"، "يميلون إلى المبالغة فى تقدير مخاطر العنف البدنى فى الحياة الواقعية"، "دراسات أخرى"، " الأطفال الذين يعتادون قضاء ساعات عديدة أمام شاشات التلفزة"، "قد يصبحون أقل حساسية تجاه عنف العالم الواقعى"، " العديد من الدراسات الأخرى"، "تثبت"، "الآثار السلبية الناجمة عن العنف الذى يعرضه التليفزيون". دعونا نمعن النظر فى بعض هذه العبارات لتحديد ما إذا كانت تحمل دلالات متعددة قد تؤثر فى كيفية استجابتنا للاستدلال.

أولاً، النتيجة غامضة. ما الذى يعنيه على وجه الضبط "اتخاذ خطوات فعالة للتقليل من قدر العنف"؟ هل يعنى فرض حظر قانونى ضد عرض أية مشاهد عنف بدنى، أو يعنى ممارسة المشاهدين ضغوطات على شبكات التلفزة بحيث تقصر عرض حودث العنف على ساعات الليل المتأخرة؟ قبل أن يتسنى لك الاتفاق مع المؤلف، عليك أن تحدد ما يرغب فى إقناعك به.

ثانيًا، يجادل الكاتب بأن "الذين يعتادون قضاء عدة ساعات أمام شاشات التلفزة" "يميلون إلى المبالغة فى تقدير مخاطر العنف البدنى فى الحياة الواقعية" و"يصبحون أقل حساسية تجاه عنف العالم الواقعى." ولكن ما قدر الساعات التى يتوجب أن يمضيها المرء فى مشاهدة التليفزيون حتى يصبح فى عداد الذين يمضون عدة ساعات فى مشاهدته؟ ربما لا يتأهل معظم المشاهدين لأن يكونوا أعضاء فى هذه الطائفة، بحسبان تعريف الدراسة البحثية الفعلى لتلك العبارة. إذا كان ذلك كذلك، فإن هذا المبرر يقصر عن تقديم دعم قوى للنتيجة لأنه لا يتعلق بمعظم مشاهدى التليفزيون. ثم ما الذى تعنيه المبالغة فى مخاطر العنف البدنى، أو إصباح المرء أقل حساسية؟ حاول تشكيل صورة ذهنية لما تعنيه هذه العبارات. إذا لم تستطع، فهذا

يعنى أنها عبارات غامضة. إذا أدت الصور المختلفة إلى استجابات مختلفة للمبررات، فقد نجحت فى تحديد غموض مهم.

افحص الآن سائر بنود قائمة العبارات السابقة. هل تراها فى حاجة هى الأخرى لتوضيح؟ إذا قبلت حجة الكاتب دون اشتراط قيامه بتوضيح تلك العبارات، فإنك لم تفهم ما وافقت على قبوله.

السياق والغموض

لا يعرّف المتحدثون والكتاب ألفاظهم إلا نادرًا. وفق ذلك فإن الموجه النمطى لمعانى الجمل الغامضة هو السياق الذى تستخدم فيه. السياق هو خلفية الكاتب أو المتحدث، الاستخدامات التقليدية للحد ضمن مسائل خلافية بعينها، وكل الكلمات والجمل التى تسبق وتلحق الغموض المحتمل. كل هذه العناصر الثلاثة تؤمّن مفاتيح لمعنى الحد أو العبارة الرئيسة.

إذا تصادف أن قرأت عبارة حقوق الإنسان فى أية مقالة، يتوجب أن تسأل نفسك مباشرة "أية حقوق هذه؟". إذا فحصت السياق ووجدت أن الكاتب عضو بارز فى الحكومة النرويجية، فمن المرجح أنه يعنى حق التوظيف، وحق الحصول على رعاية طبية، وحق الحصول على سكن لائق. قد يعنى عضو مجلس الشيوخ الأمريكى بحقوق الإنسان شيئًا مختلفًا تمامًا: حرية التعبير، والحرية الدينية، وحرية السفر، وحق التجمع السلمى. لاحظ أن هاتين الصياغتين لحقوق الإنسان ليستا متسقتين ضرورة. قد تضمن دولة شكلاً من حقوق الإنسان وتخترق فى الوقت نفسه شكلاً آخر. يتوجب عليك أن تحاول توضيح هذه الحدود عبر فحص سياقها.

فى أحيان كثيرة يوظف الكتَّاب حججهم فى توضيح معانى ألفاظهم المفترضة. الفقرة التالية مثال:

تثبت الدراسات أن معظم الذين يخضعون لعلاج نفسى يفيدون من هذه الخبرة. الحقيقة أن هناك دراسة بحثية أجريت مؤخراً تثبت أنه بعد عشر جلسات من العلاج النفسى، أفاد ثلثا المشاركين بأن حدة شعورهم بالقلق قد خفت.

عبارة "يفيدون من هذه الخبرة" قد تكون غامضة، لأنها قد تحمل أكثر من معنى. غير أن حجة الكاتب توضح تماماً أنها تعنى فى هذا السياق "الإفادة من انخفاض حدة الشعور بالقلق".

لاحظ أنك حتى فى هذه الحالة تظل فى حاجة إلى المزيد من التوضيح قبل اللجوء إلى معالج نفسى، لأن عبارة "الإفادة من انخفاض حدة الشعور بالقلق" تظل غامضة. ألن تود أن تعرف درجة انخفاض حدة القلق؟ لعل المشاركين ظلوا يعانون من قدر مرتفع منها- لكنه أقل من السابق.

من فوائد ملاحظة أن بعض الحدود أو العبارات قد تحمل أكثر من معنى أن تحديد المعنى الذى يريده المؤلف يتيح فرصة الاختلاف معه. إذا كنت لا توافق على تعريف خلافى مفترض، سوف تلحظ أن وجاهة استدلال المؤلف وقف على التعريف المستخدم، ولن تفرط فى التأثر بالاستدلال. هكذا، فى المثال السابق، قد تعتقد أنه من الأفضل تعريف "الإفادة من العلاج النفسى" على أنه "إعادة بناء أساسية لخصائص الشخصية". فى هذه الحالة، لن يكون مبرر المؤلف، نسبة إليك، داعماً لنتيجته.

استخدام السؤال النقدى

السؤال النقدى الذى يركز على الغموض يؤمّن لك أساساً منصفاً للاختلاف مع المؤلف. إذا كنتما تعزوان دلالات مختلفة للحدود الأساسية فى الاستدلال، فإنه يتوجب عليكما تسوية هذا الاختلاف قبل أن يتسنى لك قبول الاستدلال الذى يعرض عليك.

افحص السياق بعناية كي تحدد معنى الحدود والعبارات الرئيسة. إذا ظل المعنى غير واضح، فقد نجحت فى موضعة غموض مهم. إذا كان المعنى واضحًا وكنت تختلف معه، يتوجب عليك الارتياب فى أى استدلال يتضمن ذلك الحد أو تلك العبارة.

الغموض، والتعريفات، والقاموس

يتوجب أن يكون قد اتضح من النقاش السابق كيف أن موضعة الغموض وتوضيحه يتطلب الوعى بالمعانى الممكنة التى قد تحملها الألفاظ. عادة ما تصاغ المعانى فى أحد الأشكال التالية: المترادفات، والأمثلة، وما نسميه "التعريف وفق معايير محددة". مثال ذلك، نستطيع طرح ثلاثة تعريفات على الأقل للقلق:

١ - القلق هو الشعور بالتوتر. *(ترادف)*

٢ - القلق هو ما يختبره المرء حين يشاهد فى التليفزيون تقريرًا عن نتائج الانتخابات. *(مثال)*

٣ - القلق شعور ذاتى بعدم الارتياح تصاحبه زيادة تلقائية فى حساسية الجهاز العصبى. *(معايير محددة)*

نسبة إلى التقويم النقدى لمعظم المسائل الخلافية، الترادف والأمثلة ليست مناسبة. إنها تفشل فى إخبارنا عن الخصائص المحددة الحاسمة لفهم واضح للحد. التعريفات المفيدة هى تلك التى تعين معايير محددة للاستخدام - وكلما كانت أكثر تحديدًا كان أفضل.

كيف تحصل على التعريفات؟ القاموس مصدر واضح وغاية فى الأهمية. غير أن تعريفات القاموس غالبًا ما تتكون من مترادفات، أو أمثلة، أو معايير استخدام ليست محددة تمامًا. إن هذه التعريفات تفشل غالبًا فى تحديد استخدام الحد فى سياق

بعينه. فى مثل هذه الحالات، يتوجب عليك اكتشاف المعانى المحتملة فى سياق النص، أو مما تعرفه عن الموضوع. نقترح أن يكون القاموس فى متناول يديك، ولكن تذكر دائمًا أنك قد لا تعثر فيه على التعريفات المناسبة.

دعونا نمعن النظر فى بعض الاختلالات التى تعانى منها بعض التعريفات القاموسية. افحص الفقرة الموجزة التالية:

لا يشهد التعليم فى هذه الجامعة تدنيا فى الجودة. لقد تبين لى من مقابلات أجريتها أن الأغلبية الساحقة من الطلبة والأساتذة لا يلحظون أى تدن فى جودة التعليم فى هذه الجامعة.

يتضح أنه من المهم أن نعرف المقصود من "جودة التعليم" فى الفقرة السابقة. إذا تفحصت القاموس، سوف تجد أن كلمة جودة تحمل دلالات عديدة، أكثرها مناسبة لهذا النص، *الامتياز والتفوق*. هاتان كلمتان ترادفان كلمة الجودة – ولا يقلان عنها تجريداً. سوف تحتاج إلى معرفة المقصود على وجه الضبط من الامتياز والتفوق. كيف تعرف أن التعليم يحقق مستوى عاليًا من الامتياز والتفوق؟ مثاليًا، تحتاج إلى أن يخبرك المؤلف عن السلوكيات التى يشير إليها حين يستخدم عبارة "جودة التعليم". هل تستطيع التفكر فى سبل مغايرة لتعريف هذه العبارة؟ فيما يلى تعريفات محتملة لجودة التعليم:

- معدل درجات متوسط يحققه الطلبة.
- قدرة الطلبة على التفكير بطريقة نقدية.
- عدد الأساتذة الحاصلين على درجة الدكتوراه.
- قدر الجهد الذى يتطلبه النجاح فى الامتحانات.

يقترح كل تعريف من هذه التعريفات طريقة مختلفة فى قياس الجودة، فكل يحدد معايير مختلفة. كل يؤمّن طريقة عينية يمكن استخدام التعبير وفقها. لاحظ أيضًا أن

كل تعريف يؤثر فى درجة رغبتك فى قبول استدلال المؤلف. مثال ذلك، إذا كنت تعتقد أن "الجودة" تعنى قدرة الطلبة على التفكير بطريقة نقدية، فى حين يعرفها معظم من تمت مقابلتهم من طلاب على أنها تعنى قدر الجهد الذى يتطلبه النجاح فى الامتحانات، فإن المبرر لا يدعم النتيجة ضرورة. ذلك أن الامتحانات قد لا تشترط التفكير بطريقة نقدية.

هكذا، لن تستطيع فى الكثير من الحجج العثور على تعريفات قاموسية مناسبة، وقد لا ينجح النص فى جعل المعنى واضحًا. من سبل اكتشاف معانى بديلة محاولة خلق صورة ذهنية لما تمثله الكلمات. إذا عجزت عن ذلك، فلعلك نجحت فى العثور على غموض. دعونا نطبق مثل هذا الاختبار على المثال التالى:

تسهم الدراسة الجامعية فى خلق مواطنين أفضل. لذا، فإن قيام مشرعى الدولة، بدعم من الناخبين، برفع مصاريف الدراسة تصرف يبعث على الإحباط. أتراهم يعلمون سرًا ما، أسلوبًا زهيدًا فى تحقيق ديمقراطية أكثر قوة يستغنى عن الدراسة الجامعية؟

المعيار المستخدم فى هذه الحجة لتقويم سلوك مشرعى الدولة حين يرفعون مصاريف الدراسة هو أثر الدراسة الجامعية فى *خلق مواطنين أفضل*. هل تستطيع تشكيل صورة ذهنية واضحة "للمواطن" ذى الجودة العالية؟ لدى كل منا مثل هذه الفكرة، غير أنه من غير المرجح أن تكون أفكارنا متماثلة. الحال أنها مختلفة تمامًا. هل تشير عبارة "مواطنون أفضل" إلى انخراط أكثر فعالية فى المجتمع المحلى أو قدر أعظم من التعليم، أو أنها تشير إلى شىء مختلف تمامًا؟ كى نقوّم هذه الحجة، نحتاج إلى معرفة المزيد عن المعنى الذى يريده المؤلف من "مواطنون أفضل". هكذا نكون نجحنا فى موضعة غموض مهم.

الغموض واللغة المشحونة

أحيانًا يكون الغموض مقصودًا. من يحاول إقناعك يعى غالبًا أن للكلمات معانى متعددة. فضلا على ذلك، فإنه يعرف أن بعض تلك المعانى تحمل معها دلالات عاطفية مكثفة. إن كلمات مثل *التضحية* و*العدالة* تحمل معانى كثيرة، بعضها مشحون على نحو يثير بعض المشاعر فينا. كل من يحاول استخدام اللغة فى السيطرة على مشاعرنا يستغل مثل هذه العواطف المحتملة.

غالبا ما تكون اللغة السياسية مشحونة وغامضة. مثال ذلك، نستخدم فى أحيان كثيرة عبارة *الرعاية الاجتماعية* فى الإشارة إلى قيام الحكومة بتقديم العون لمن لا نحب؛ حين يذهب العون الحكومى إلى جماعات نحبها، نسميه *تمويل* أو *حوافز*. فى الجدول التالى قائمة من التعبيرات السياسية والتأثيرات العاطفية المقصودة.

اللغة السياسية الغامضة	
التعبير	**التأثير العاطفى**
تعزيز العائدات	استجابة إيجابية لرفع الضرائب
ديمقراطيو الضرائب والإنفاق	هدر وتصرف غير مسئول
استعادة الإنصاف	التصديق على تعديلات ضريبية مقترحة
متطرف	غير مرغوب فيه، وغير سديد
إرهابى	متوحش، معتوه، وغير متحضر
اتفاقات الدفاع	تسهم فى الحماية ، لازمة
إصلاح	تغييرات مستحسنة

كل هذه التعبيرات غامضة. يتوجب علينا، مفكرين نقادا، أن نستشعر تأثيرها العاطفى المقصود ونعي دور الغموض فى دعم *ذلك* التأثير. بالبحث عن معان بديلة لكلمات من قبيل *إصلاح*، نستطيع حماية أنفسنا ضد أى التزام عاطفى بالحجج التى كان لنا أن نرتاب فى وجاهتها. فى النهاية، حتى أكثر التغيرات السياسية خطراً تعد بمعنى ما "إصلاحاً".

يضرب لنا نورمان سولمون فى كتابه ***The Power of Babble*** مثالاً رائعًا على كيف يستخدم الساسة الناجحون لغة غامضة لإقناع الآخرين. لاحظ أنه يعرض الحدود الغامضة الرئيسة وفق ترتيب أبجدى [إنجليزى]:

> **ها هى أمريكا تعود، ثنائية الأحزاب- تتدبر أمرها عبر الروح التنافسية، الدبلوماسية، الكفاءة، التفعيل، لعب النهاية، والنزعة البيئية، صحبة الإيمان بالآباء المؤسسين، عطايا الحرية، الأسواق الحرة، والشعوب الحرة، وفوق ذلك كله، الله. لقد مهد تراثنا العظيم لحقوق الإنسان، المبادرات الفردية، العدالة، الأطفال، القيادة، الحرية، الولاء، القيم الأساسية، أماكن التسوق، الاستجابات المحددة، بواتق الانصهار، الطبقة الوسطى، الإصلاح العسكرى، المعتدلين، التحديث، المعايير الأخلاقية، الأمن القومى، والمجد القديم. الفرص تأتى من التفاؤل، الوطنية، السلام عبر القوة، الشعب، التعددية، ونقاط الضوء. النفعية وبركة الصلوات تعمل من أجل المبادئ؛ فيما يسهم القطاع الخاص فى حماية المصالح العامة. قد تعنى الواقعية التدوير، ضبط النفس، روح عام ٧٦، وقد تجلب الاستقرار والدفاع عن المصالح الاستراتيجية وفرض الضرائب الأساسية. لقد أصيب العم سام بالرعب منذ فالى فورج، حيث القيم موقرة من قبل المحاربين القدامى؛ الحرص، الرؤية، الروح التطوعية، والقيم الغربية (ص. ٣)**

حدود مسئوليتك عن توضيح الغموض

بعد أن تكون حاولت تحديد الغموض وتبديده، ما الذى تستطيع القيام إذا ظللت غير متأكد من معنى الأفكار الرئيسة؟ ما الخطوة الوجيهة التالية؟ نقترح أن تتغاضى عن أى مبرر يشتمل على غموض يحول دون الحكم على وجاهة المبرر. أنت مسئول بوصفك متعلماً فاعلاً عن طرح أسئلة توضح الغموض. غير أن مسئوليتك تنتهى هنا. الكاتب أو المتحدث هو الذى يحاول إقناعك بشىء ما. دوره مقنعًا يتطلب منه أن يستجيب لما يشغلك بخصوص الغموض الممكن.

لست مطالبًا بالاستجابة لأفكار ليست واضحة. إذا نصحك صديق بالتسجيل فى مقرر لأنه "مختلف حقيقة"، ولم يستطع أن يوضح لك كيف أنه مقرر مختلف، لن يكون لديك أساس للأخذ بنصيحته أو رفضها. لا حق لأحد فى أن يصدقه الآخرون إذا لم يؤمّن لهم صورة واضحة عن استدلاله.

الغموض وطريقتك فى الكتابة والمحادثة

على الرغم من أن معظم الفصول موجهة إليك قارئًا ومستمعًا ناقداً، فمن المهم أيضًا أن تحسن طريقتك فى الكتابة والتحدث. كتّاب النصوص ينشدون الوضوح. إنهم يراجعون ما يرغبون قوله عدة مرات، بحثًا عن جمل قد تكون غامضة.

ارجع ثانية إلى الجزء المعنون "موضعة الحدود والعبارات الرئيسة"، واستخدم التلميحات الواردة هناك للعثور على حالات الغموض المهمة كى يتسنى لك تنقيح محاولتك الاتصال. مثال ذلك، يمكن توضيح التجريدات الغامضة عبر توفير معايير محددة لاستخدام التجريد أو توضيحه بأمثلة عينية تبلّغ المعنى الذى أردت. انتبه خصوصًا لمبرراتك ونتائجك؛ حاول أن تخلصها من الغموض بصرف النظر عن هوية المتلقى. حين تشعر بغموض التعبير، احرص على تحديد ألفاظك حرصًا شديداً.

قد يعين التفكير فى خصائص المتلقين على تحديد المواضع التى يحتاج فيها الغموض إلى توضيح. قد يفهم المتلقى المتخصص بشكل مناسب العبارات الاصطلاحية والتجريدات الخاصة التى قد تغمض كثيرًا على غير المتخصص. تذكر أن المتلقى لن يمضى وقتًا طويلاً فى محاولة معرفة ما تقصد من معانى. إذا أربكت المتلقى، فمن المرجح أن تفقده بسرعة. إذا لم تستحوذ أصلاً على انتباهه، فقد فشلت فى مهمتك بوصفك مبلغ رسالة.

راجع نقاش الجزء السابق فيما يتعلق بمن تلحقه مسئولية توضيح الغموض. على الكاتب والمتحدث تحملها، كونه من يحاول إقناع الآخرين.

تلخيص

لن تستطيع تقويم أية مقالة إلى أن تعرف المعانى التى يحملها صاحبها على الحدود والعبارات الرئيسة، فضلاً عن المعانى البديلة التى قد تحملها تلك الحدود والعبارات فى سياق الحجة. قد تجد مفاتيح مهمة للغموض الممكن فى صياغة المسألة، وقد تستطيع تحديد مواضع الكلمات والعبارات الرئيسة فى المبررات والنتائج. لأن كثيرًا من المؤلفين لا يعرّفون ألفاظهم، ولأن الكثير من الحدود الرئيسة تحمل أكثر من معنى، يتوجب عليك البحث عن مواضع الغموض الممكنة، بأن تسأل "ما الذى يمكن أن يعنيه هذا؟" و"ما معنى الحدود الرئيسة؟". ما إن تنتهى من هذا البحث، حتى تكون عرفت أربعة من مكونات الاستدلال:

١ - الحدود والعبارات الرئيسة،

٢ - أيهما تم تعريفه تعريفًا مناسبًا،

٣ - أيهما يمكن تعريفه تعريفًا مغايرًا، على نحو يمكّن، حال الاستعاضة بالتعريف البديل، من تعديل استجابتك للاستدلال،

و ٤ – أى تلك الحدود والعبارات غامض ضمن سياق الحجة.

تمارين تطبيقية

سؤال نقدى: *ما الكلمات والعبارات الغامضة؟*

فى النصوص التالية، حدد أمثلة الغموض، وحاول أن توضح كيف أن الأمثلة تلحق الضرر بالاستدلال.

النص ١

نستهجن كلية النظرية، التى يتضح أن قاضى المحكمة يتبناها،

والتى تقر أن الأفلام الفاحشة الإباحية تكتسب حصانة دستورية من قوانين الدولة لمجرد أن عرضها يقتصر على الراشدين الراضين. لقد رفضت المحكمة العليا فى جورجيا هذا الموقف.. وعلى وجه الخصوص، نقر أن للدولة مصالح مشروعة نخاطر بها حال الفشل فى كبح رواج تجارة الفحش، حتى على افتراض أنه بالمقدور عمليًا فرض قوانين تحمى الأحداث والمارة من التعرض للمواد الإباحية. هناك أيضًا حقوق ومصالح مغايرة لحقوق ومصالح المدافعين، مثال مصلحة الناس فى نوعية جيدة من الحياة، البيئة الاجتماعية فى مجملها، أسلوب التجارة فى مراكز المدن الكبيرة، وربما الأمن العام نفسه...

وكما يقول القاضى ورن، "لدى الأمة والدولة حق الحفاظ على مجتمع محتشم ".. (*Jacobellis v. Ohio, 378, U.S. 84, ...199, 1964*)

تؤمّن خلاصة الخبرة، بما فيها خبرة العقدين الماضيين، أساسًا واثقًا للمشرعين لنتيجة مفادها أن الاستغلال التجارى للجنس يزعزع ويقوض علاقة حساسة أساسية فى الوجود البشرى، مركزية للحياة الأسرية، والرفاهة الاجتماعية، وتطور الشخصية الإنسانية.

ملاحظة: هذا النص مستل من افتتاحية القاضى ورن برجر لرد المحكمة العليا على مسألة دستورية قانون الفحش الذى أقرته ولاية جورجيا.

النص ٢

سوف تقضى الحبوب المحلاة (السريل) على كثير منا. علب ملونة بألوان فاتحة، تحتوى على خطمة ورز ملون؛ هذا ما يتناوله كثير منا على مائدة الإفطار. فى أغلب الأحيان، مكونات تلك العلب أقل تغذية من قطعة حلوى. ما هكذا يتوجب أن نبعث بأطفالنا إلى المدراس. يصعب على الطفل التركيز فى المدرسة حينما يتناول صحنًا من السكر والمواد الحافظة. لقد بينت الدراسات أن الطفل الذى يتناول إفطارًا صحيًا، عضويًا، يحصل على درجات أفضل فى المدرسة.

فضلاً على ذلك، يفيد الراشدين أنهم يكونون أكثر استعدادًا وفعالية فى العمل حين يتناولون إفطارًا صحيًا.

عينة من الأجوبة:

النص ١

المسألة: *هل لدى الأمة والدولة حق فى تقييد المواد الفاحشة؟*

النتيجة: نعم.

المبررات:

١ - ***لدى الأمة والدولة حق الحفاظ على مجتمع محتشم.***

٢ - ***تثبت الخبرة أن الاستغلال التجارى للجنس يزعزع ويقوض العلاقات الجنسية.***

تخبرنا المسألة والنتيجة أننا فى حاجة إلى معرفة ما يعنيه المؤلف من المواد الفاحشة قبل أن يتسنى لنا الاتفاق مع حجته. ولأن النص يفشل فى تحديد معنى "فاحشة"، يصعب علينا الاتفاق والاختلاف مع النتيجة. قد يحمل الفحش دلالات محتملة كثيرة. مثال ذلك، قد نستجيب لتعريف يؤكد العرى بطريقة تختلف عن استجابتنا لتعريف يؤكد الانحراف فى السلوك الجنسى. لذا فإن الفحش غموض مهم فى ذلك النص.

ثمة عبرات رئيسة عديدة فى حاجة إلى توضيح قبل أن نتمكن من تقويم الحجة. لا ريب أن "الحفاظ على مجتمع محتشم" قد تحمل أكثر من معنى، كما أن إشارة الكاتب إلى نوعية الحياة، بيئة المجتمع فى مجملها، أسلوب التجارة، والأمن العام ليست معينة بالقدر الذى نرغب فيه. بحسبان هذه اللغة، سوف نواجه صعوبة فى تحديد ما إذا كان عرض أفلام إباحية "يزعزع المجتمع". الحال أن البعض قد يجادل بأن تقييد حق عرض مثل هذه الأفلام هو الذى "يزعزع المجتمع" لأنه يقيد "الحرية".

نواجه مشكلة مماثلة فيما يتعلق بالمبرر الثانى. ما المقصود من زعزعة وتقويض علاقة أساسية حساسة؟ تحمل هذه العبارة فى تقديرنا دلالات متعددة، قد يتسق بعض منها مع تأثير المواد الإباحية، وقد لا يتسق بعض آخر منها مع مثل هذه المواد.

تلخيص السؤال النقدى:

لماذا يعد هذا السؤال مهمًا؟

أى الكلمات والعبارات يعانى من غموض؟

ما إن تحدد حجة المؤلف، حتى تحتاج إلى تحديد الكلمات والعبارات الرئيسة فى الاستدلال التى قد تحتمل دلالات بديلة. الأهم من ذلك، تحتاج إلى تحديد ما إذا كان المؤلف يستخدم صراحة أكثر من تعريف. إذا لم يكن ذلك كذلك، وكان أحد المعانى يؤثر فى قبولك النتيجة، فقد نجحت فى موضعة غموض مهم. تحديد الكلمات والعبارات الغامضة الخطوة المهمة التالية فى اختيار قبول النتيجة أو رفضها.

مختارات من أسئلة الموقع الخاص بالكتاب

حدد الكلمات أو العبارات الغامضة.

١ - جين، كنت أحسب أنك وطني، ولكن يبدو أنني كنت مخطئًا. لا أصدق أنك راغب في دعم جهود حكومة بوش في فرضها قيودًا على الخطب المناوئة للحرب.

٢ - يفيد تقرير مؤسسة كارنيج أن ٥١٪ من المدرسين قد تعرضوا للإساءة اللفظية، ١٦٪ تعرضوا للتهديد بالضرب، فيما قام الطلاب فعليًا بالهجوم على ٧٪ منهم. في المدارس، الهدف الأساسي تعليم الطلاب، وهذا هدف لا يتسق مع التهديد باستخدام العنف الذي نشهده دائمًا في قاعات الدرس. يجب على المدارس أن تتخذ إجراءات أمنية صارمة – من قبيل الحراس المسلحين وكاميرات المراقبة- إذا رغبت في حماية العملية التعليمية وتخريج طلاب أكفاء.

٣ - حال تجارة الألعاب الحاسوبية يزداد سوءًا هذه الأيام. كانت هناك تنويعة جيدة من الألعاب تنتج باستمرار، ولكن يبدو الآن أن واحدة من كل ثلاث ألعاب إما شخص يطلق النار أو لعبة حربية. بعض الشركات لا تعرض أية أفكار جديدة؛ بل تقتصر على إضافة حلقات إلى ألعاب سابقة وشحنها بالإعلانات إلى أن يصرخ المشترون في النهاية "هذا يكفي"، فتبحث عن وسيلة محدودة أخرى في الابتكار.

٤ - أيضًا تركز الألعاب الجديدة كثيرًا على الأشكال بدلاً من الألعاب والقصص. في كل إصدار جديد، تصبح المشهدية أطول وأكثر تفصيلاً، لكن تنوع الشخصيات والتحكم يصبحان أقل. في لعبة فضائية كنت ألعبها منذ أيام، تعرض أشكالاً

سينمائية لمدة ٢٤ ساعة، ولا تخصص سوى نصف ساعة للعب الفعلى. يجب أن يفهم القائمون على شركات ألعاب الحاسوب أن تحقيق الأرباح يتطلب ألعابًا أفضل.

٥ – وفق "مركز مايو الطبى"، تبين أن الأسبرين يقلل من مخاطر الأزمات القلبية. هكذا تبين الدراسات انخفاضًا قدره ٤٤٪ فى عدد الأزمات القلبية ضمن الذين يتناولون حبة أسبرين كل يوم.

الفصل الخامس

الخلافات القيمية والافتراضات



سوف يحاول كل راغب فى إقناعك بموقف بعينه فى عرض مبررات تتسق مع ذلك الموقف. وفق ذلك، سوف يبدو أول ولهة أن كل حججه "وجيهة". البنية المرئية سوف تبدو مقنعة. غير أن المبررات المرئية التى يتم إقرارها ليست الأفكار الوحيدة التى توظف فى دعم النتيجة. المعتقدات الخفية أو المضمرة لا تقل أهمية لفهم الحجج. دعونا نفحص أهمية هذه الأفكار المضمرة عبر اعتبار الحجة الموجزة التالية.

ينبغى على الحكومة أن تمنع صناعة السجائر وبيعها.

الشواهد على أن للسجائر آثارًا ضارة على صحة المدخنين وصحة من يتعرضون للتدخين تترى كل يوم.

يبدو – أول وهلة – أن المبرر يدعم النتيجة. إذا رغبت الحكومة فى منع منتج ما، من الوجيه أن تؤمّن شواهد على أنه منتوج سيىء. غير أنه يحتمل أيضًا أن يكون المبرر صحيحًا على الرغم من أنه لا يدعم النتيجة ضرورة. ماذا لو كنت تعتقد أن العناية بالرفاهة مسئولية فردية – وليست مسئولية جماعية تتكفل بها الحكومة؟ لو كان هذا رأيك، فإن المبرر لا يدعم النتيجة وفق منظورك. إن هذا الاستدلال لا يقنعك إلا إذا كنت تتفق مع أفكار مضمرة بعينها يسلّم بها المؤلف. فى هذه الحالة، من ضمن الأفكار المسلم بها فكرة مفادها أن المسئولية الجماعية، حال تعرُّض رفاهة الفرد للخطر، أهم من المسئولية الفردية.

فى كل الحجج، ثمة أفكار بعينها يسلم بها الكاتب. عادة ما تكون هذه الأفكار مضمرة يتوجب العثور عليها بين السطور. هذه الأفكار وصلات لا مرئية مهمة فى بنية الاستدلال؛ إنها الغراء الذى يمسك بالحجة بأسرها. ما لم تضف هذه الوصلات، لن يتسنى لك فهم الحجة.

إذا غفلت عن الوصلات الخفية، سوف تجد نفسك غالبًا تقر أمرًا ما كان لك أن تقبله لو أنك أمعنت النظر. تذكر: دائمًا تقريبًا يرفل المظهر المرئى بأزهى حلله، لأن الشخص الذى يعرض الحجة يأمل فى تشجيعك على تبنى الحجة. إن هذا الفصل مفيد بوجه خاص للمفكر الناقد لأنه يهيئه للنظر فى الحجة بأسرها، لا فى جوانبها الفاتنة فحسب.

مهمتك أشبه ما تكون بإعادة إنتاج حيلة سحرية دون رؤية الساحر يقوم بها. إنك ترى المنديل يدخل فى القبعة، والأرنب تخرج منها، لكنك تجهل مناورات الساحر الخفية. لفهم الحيلة، يتوجب عليك اكتشاف تلك المناورات. وعلى نحو مماثل، يتوجب عليك فى حالة الحجج اكتشاف المناورات، التى هى فى حقيقة الأمر عبارة عن أفكار مضمرة. سوف نسمى هذه الأفكار بالافتراضات. كى تفهم الحجة تمامًا، يتوجب عليك أن تحدد الافتراضات.

الافتراضات:

١ - خفية أو مضمرة (فى معظم الأحوال)،

٢ - مسلم بها،

٣ - مؤثرة فى تحديد النتيجة،

٤ - قادرة على الخداع.

سوف يبين لك هذا الفصل والفصل الذى يليه كيف تكتشف الافتراضات. سوف نركز هنا على نوع واحد من الافتراضات هو الافتراضات القيمية.

غير أن أهمية تحديد الافتراضات لا تقتصر على التأثير الإيجابى الذى تحدثه على الاستدلال. إن التفكير الناقد يقحم ضرورة أشخاصًا آخرين معنيين بالمسألة نفسها. حين تحدد الافتراضات وتجعلها صريحة فى استجابتك للآخرين، فإنك تسهم

إسهامًا عظيمًا فى وجاهة الاستدلال فى المجتمع. إنك بذلك تجعل آثار التفكير الناقد الإيجابية واضحة للعيان فى مجتمع ديمقراطى.

سؤال نقدى: ما النزعات القيمية وما الافتراضات؟

مرشد عام لتحديد الافتراضات

أين يتسنى لك العثور على الافتراضات؟ الكتب والمنقاشات والمقالات تعج بها، غير أنه لا يلزمك الاهتمام إلا بعدد قليل منها. فكما تذكر، تتكون البنية المرئية للحجة من المبررات والنتيجة. لذا فأنت معنى فحسب بالافتراضات التى تؤثر فى وجاهة هذه البنية، وبمقدورك قصر البحث عن الافتراضات على البنية التى سبق أن تعلمت كيفية العثور عليها.

وعلى وجه خاص، ثمة موضعان يتوجب البحث فيهما. ابحث عن الافتراضات اللازمة للمبررات كى يتسنى لها دعم النتيجة (الافتراضات التى توظف وصلات)، والافتراضات اللازمة لصحة المبررات. بداية سوف نعرّفك على الافتراضات المؤثرة بشكل حاسم فى الحجج المعيارية- الافتراضات القيمية. *ابحث عن الافتراضات القيمية فى النقلة من المبررات إلى النتيجة.*

لاحظ أن المبررات والنتيجة هى المواضع التى نبحث فيها عن الغموض المهم. ها نحن مرة أخرى نقدر تمامًا أهمية المبررات والنتيجة فيما يقال أو يكتب.

انتبه: الافتراض معتقد مضمر يدعم الاستدلال الصريح.

الخلافات القيمية والافتراضات

لماذا يلح بعض الذين يفكرون بطريقة عقلانية على أن الإجهاض جريمة، فيما يلحظ آخرون لا يقلون عقلانية على أنه عمل إنسانى؟ هل سبق لك أن تساءلت لماذا

يخوض كل رئيس للولايات المتحدة، مهما كانت معتقداته السياسية، فى جدل مع الصحافة حول نشر معلومات حكومية لا يفضل الكشف عنها؟ كيف يهاجم مراقبون لا تعوزهم الفطنة نشر المجلات الجنسية الفاضحة فيما يدافع آخرون عن نشرها باعتبار أن نشرها المحك الأخير "لميثاق الحقوق".

من بين الأسباب الأكثر أهمية لهذا التباين وجود *خلافات قيمية*، أو قيم متباينة نابعة من أطر مرجعية مختلفة. فى الحجج الأخلاقية والمعيارية، تؤثر قيم الفرد فى المبررات التى يؤمّنها، وتؤثر من ثم فى نتيجته. الحال أن المبررات لا تدعم النتيجة منطقيًا إلا حال إضافة *الافتراضات القيمية* إلى الاستدلال. الحجة الموجزة التالية توضح دور الافتراضات القيمية فى الحجة المعيارية.

ينبغى علينا ألا نجيز تناول المخدرات من أجل الترفيه. المخدرات غير القانونية تسبب الكثير من العنف الذى يحدث فى الشوارع، كما تسبب جرائم أخرى.

مبرر (المخدرات غير القانونية تسبب عنف الشوارع وجرائم أخرى) +

افتراض قيمى (الأمن العام أهم من حرية الاختيار) ←

نتيجة (ينبغى عدم تشريع تناول المخدرات من أجل الترفيه).

الافتراضات القيمية افتراضات غاية فى الأهمية فى مثل هذه الحجج لأنها توجه الاستدلال من خلف الكواليس. قد يعى الشخص الذى يحاول الاتصال بك هذه الافتراضات وقد لا يعيها. يتوجب أن تألف تحديد الافتراضات القيمية التى تؤسس عليها المبررات.

الافتراض القيمى معتقد مسلم به يتعلق باستحسان نسبى لقيم متنافسة بعينها. حين يتخذ المؤلف موقفا من قضية خلافية اجتماعية، فإنه يؤثر عادة قيمة على أخرى - أى أن لديه *أولويات أو تفضيلات*. سائر هذا الفصل مكرس لتعميق وعيك بدور

الخلافات والأولويات القيمية فى تحديد الآراء أو النتائج. سوف يعينك هذا الوعى على موضعة وتقويم هذا النوع المهم من الافتراضات.

اكتشاف القيم

قبل أن يتسنى اكتشاف دور القيم فى تشكيل النتائج، يتعين فهم ماهية القيم. *القيم*، وفق استخدامنا لهذا المصطلح، أفكار يقر البعض أنها جديرة بالاهتمام. سوف تجد أن الأهمية التى يعزوها المرء *للأفكار المجردة* الأكثر تأثيراً فى تخيراته ومسلكياته.

عادة ما نرغب فى الأشياء والخبرات والأفعال بسبب فكرة نقدرها. مثال لك، قد نختار القيام بسلوكيات تقربنا من الأشخاص المهمين. إننا نعزو قيمة إلى "الأشخاص المهمين" (فكرة عينية) لأننا نعزو قيمة إلى "المنزلة الاجتماعية" (فكرة مجردة). حين نستخدم كلمة قيمة فى هذا الفصل، فإننا نشير إلى فكرة (مجردة) تمثل ما يعتقد البعض أنه شىء مهم وخيّر.

انتبه: القيم أفكار مضمرة يعتقد الناس أنها جديرة بالاهتمام. إنها تشكل معايير سلوكية تقاس بها نوعية السلوك البشرى.

كى تألف القيم، اكتب بعضاً مما تعتبره قيمك الخاصة. حاول تجنب كتابة أسماء أشخاص، أشياء عينية، أو أفعال. قد تكون البيتزا ولعبة التنس أشياء مهمة عندك، غير أن الأهمية التى تعزو إلى أفكار مجردة هى التى تؤثر فى خياراتك وأفعالك المتعلقة بقضايا خلافية عامة. مثال ذلك، يرتبط استعدادك للدفاع عن عقوبة الإعدام أو

الهجوم عليها ارتباطًا وثيقًا بالأهمية التى تعزوها لقدسية الحياة الإنسانية- وهذه فكرة مجردة. قدسية الحياة الإنسانية قيمة تؤثر فى آرائك فى الحرب، الإجهاض، تعاطى المخدرات، وقتل المرحمة. حين تكتب قائمة بقيمك، ركز على القيم المهمة إلى حد أنها تؤثر فى آرائك وسلوكياتك بطرق متعددة.

هل واجهت صعوبة فى تشكيل القائمة؟ نقترح عليك التالى. أولا، تعريف آخر: القيم *معايير سلوكية* نصادق عليها ونتوقع التزام الآخرين بها. حين نتوقع ممن يمثلوننا سياسيًا "قول الحق"، فإننا نلفت انتباههم وانتباهنا إلى أن الصدق من بين أكثر قيمنا جدارة بالتبجيل. اسأل نفسك عما تتوقعه من أصدقائك. ما المعايير السلوكية التى ترغب فى التزام أبنائك بها؟ سوف تعينك الإجابة عن مثل هذه الأسئلة على تعميق فهمك للقيم.

دعنا الآن نساعدك على تحديد القيم بعرض قائمة لبعض القيم السائدة. قد تكون كل قيمة فى هذه القائمة ضمن قيمك. بعد أن تعاين قائمتنا، توقف لبرهة واختر القيم الأكثر أهمية عندك. سوف تكون القيم التى تختار القيم الأكثر تأثيرًا فى تشكيل آرائك وسلوكياتك.

القيم السائدة

المغامرة	المساواة فى الفرص	الوطنية
الطموح	الامتياز	السلام
الاستقلالية	المرونة	العقلانية
المسئولية الجماعية	حرية التعبير	الأمن
الراحة	الكرم	العقوبة
التنافس	التجانس	التسامح
التعاون	العدالة	التقاليد
الشجاعة	الجدة	التعلم
الإبداع	النظام	
المساواة فى الظروف		

من القيم إلى الافتراضات القيمية

لتحديد الافتراضات القيمية، يتوجب ألا نقتصر على إعداد قائمة بسيطة من القيم. ثمة آخرون يتشاركون معك فى قيمك. مثال ذلك، ألن يقر الجميع أن المرونة والتعاون والصدق أشياء مرغوب فيها؟

عاين ثانية التعريف، وسوف ترى مباشرة أن معظم القيم، بالتعريف، متضمنة فى قائمة كل شخص. ولأن هناك اتفاقًا على العديد من القيم، فإن القيم وحدها لا تعمق الفهم. ما يجعلك تجيب عن سؤال معيارى بطريقة تختلف عن إجابة شخص آخر، هو مدى تشبثك بقيم بعينها.

يستبان كوننا نتمسك بقيم بعينها وفق مستويات مختلفة من استجاباتنا للقضايا الخلافية حال تصادم القيم أو تعارضها. فى حين أن اكتشاف أن معظم الناس يعزون أهمية للتنافس والتعاون لا يفيدنا كثيرًا، فإننا نحصل على فهم أعمق لاختياراتهم المعيارية حين نعرف من يؤثر التنافس على التعاون حال تعارض هاتين القيمتين.

غالبًا ما يكون تفضيل كاتب لقيم بعينها مضمرًا، على الرغم من أن هذا التفضيل القيمى يؤثر تأثيرًا بالغًا فى نتيجته وفى كيفية دفاعه عنها. تقوم الإقرارات الضمنية المتعلقة بالتفضيلات القيمية بدور *الافتراضات القيمية*. البعض يسمى هذه الافتراضات *بالأحكام القيمية*. إدراك الدعم النسبى للقيم المتعارضة أو لمجموعات القيم يؤمّن لك فهمًا أفضل لما تقرأ وأساسًا لتقويمك النهائى للحجج المعيارية.

حين يتخذ المؤلف موقفًا من مسألة معيارية، فإنه يقلل عادة من أهمية قيمة سائدة ويتشبث بأخرى. مثال ذلك، حين يدافع المرء عن فرض شروط بعينها على الراغبين فى الإنجاب، فإنه يعتبر المسئولية الجماعية أهم من المسئولية الفردية. وفق ذلك، حين تبحث عن الافتراضات، ابحث عما يشير إلى *أولويات* قيمية. اسأل نفسك عن القيم التى يتمسك بها الموقف المعنى والقيم التى يقلل من شأن أهميتها.

انتبه: الافتراض القيمى تفضيل ضمنى لقيمة على أخرى فى سياق بعينه. التفضيلات القيمية، وفق استخدامنا، لا تختلف عن الأولويات القيمية.

حين تعرف تفضيلات شخص ما فى حجة بعينها، لا تتوقع تمسكه ضرورة بها فى نقاشه لمسألة خلافية أخرى. قد ترتهن أولويات المرء القيمية بالمسألة التى يناقشها. أيضاً يؤثر السياق والقضايا الواقعية المرتبطة بالمسألة الخلافية فى مدى تمسكنا بأى تفضيل قيمى. إننا نتمسك بتفضيلاتنا القيمية *إلى* حد بعينه. مثال ذلك، من يؤثر الحرية على رفاهة المجتمع فى معظم المواقف (مثال حرية ارتداء ملابس مرسوم عليها العلم) قد يعدل من تفضيله القيمى حين يجد أن ضرراً كبيراً يلحق برفاهة المجتمع (كما فى قضية حق المرء فى إلقاء خطبة عنصرية).

بكلمات أخر، الافتراضات القيمية سياقية إلى حد كبير؛ إنها تطبق على موقف بعينه، لكننا قد نقر تفضيلاً قيمياً مختلفاً تماماً حال تغير تفاصيل المسألة المعيارية. يقوم التفكير الناقد بدور أساسى فى التفكر فيما إذا كنا نرغب فى عزو أولوية لقيم بعينها فى الحالة المعنية.

الخلافات القيمية النمطية

إذا كنت تدرك الخلافات النمطية، سوف تكون أقدر على ملاحظة الافتراضات التى يصادر عليها الكاتب حين يخلص إلى نتيجة بعينها. لقد أتينا على ذكر قائمة من الخلافات القيمية السائدة التى تنشأ فى مسائل أخلاقية، وضربنا أمثلة على المسائل

الخلافية التى يرجح أن تتضح فيها الخلافات القيمية. نتوقع أن تستخدم تلك القائمة نقطة بدء فى محاولة تحديد الافتراضات القيمية المهمة.

حين تحدد الخلافات القيمية، سوف تكتشف غالبًا أن كثيرًا منها تبدو مهمة فى تشكيل نتائج مسائل خلافية بعينها. حين تنشأ مسألة خلافية، حاول العثور على عدة خلافات قيمية، كى تراجع نفسك. بعض المسائل الخلافية تقتصر على خلاف قيمى واحد؛ غير أن هناك مسائل خلافية تتضمن العديد من الخلافات القيمية.

خلافات قيمية نمطية وعينة على المسائل الخلافية

١ - الولاء - الصدق	١ - هل ينبغى عليك المرء إخبار والديه بأن شقيقته تتعاطى المخدرات ؟
٢ - التنافس - التعاون	٢ - هل تدعم نظارات الدرجات؟
٣ - حرية الصحافة - الأمن القومى	٣ - هل من الحكمة عقد مؤتمر صحفى رئاسى كل أسبوع؟
٤ - المساواة - الفردانية	٤ - هل نظام أنصبة التوظيف العنصرية منصف ؟
٥ - النظام - حرية التعبير	٥ - هل يتوجب سجن أصحاب الأفكار العنصرية ؟
٦ - الأمن - الإثارة	٦ - هل يتوجب على المرء اختيار وظيفة خطرة ؟
٧ - الكرم - النجاح المدى	٧ - هل ينبغى منح مساعدات مالية للمتسولين؟
٨ - العقلانية - العفوية	٨ - هل يتعين عليك معاينة الفرص قبل الرهان؟
٩ - التقاليد - الجدة	٩ - هل يتوجب أن يكون الطلاق ميسرا؟

راجع "٧" فى هذه القائمة. قد يؤثر خلاف قيمى مغاير لـ الكرم_النجاح المادى فى قرار منح مساعدات مالية لمتسولين. مثال ذلك، قد تؤثر الخلافات القيمية التالية فى استعداد المرء لمنح مثل تلك المساعدات:

١ - المسئولية الفردية - المسئولية الجماعية.

٢ - التنافس - التعاون.

٣ - الكفاءة - الاستقرار الاجتماعى.

بتحديد أكبر عدد ممكن من الافتراضات القيمية، تتعاظم فرص عدم إغفال أية أبعاد مهمة من الحجة. على ذلك، قد تظل عاجزاً عن معرفة الافتراضات القيمية الأكثر تأثيراً فى استدلال المؤلف.

خلفية المؤلف مفتاحاً للافتراضات القيمية

اقترحنا أنه من المفيد أن نبدأ فى العثور على الافتراضات القيمية بمراجعة خلفية المؤلف. تقصّ قدر الإمكان تفضيلاته القيمية. هل هو موظف تنفيذى فى إحدى الشركات، زعيم نقابى، موظف رسمى فى الحزب الجمهورى، طبيب، مستأجر لإحدى الشقق؟ ما المصالح التى ينزع إلى الدفاع عنها؟ لا تثريب على السعى وراء تحقيق المصالح الشخصية، لكنها تسهم عادة فى تحديد الافتراضات القيمية التى يبدى المرء استعداداً للتسامح معها. مثال ذلك، من غير المرجح أن يعزو رئيس شركة سيارات كبرى قيمة كبيرة إلى الكفاءة حين يؤدى تفضيله الكفاءة على الاستقرار إلى فقده وظيفته. وفق ذلك، تستطيع بوصفك مفكراً ناقداً أن تسرع فى اكتشاف تفضيلات المؤلف القيمية بالتفكير فى الافتراضات المحتمل أن يصادر عليها.

ولكن انتبه إلى ما يلى. كون الكاتب عضواً فى جماعة ما، لا يستلزم ضرورة تمسكه بافتراضاتها القيمية. نخطئ حين نفترض أن كل فرد ينتمى إلى جماعة يفكر

بالطريقة نفسها. نعلم جميعًا أن رجال الأعمال، والفلاحين، وعمال المطافئ، يختلفون فيما بينهم حين يناقشون مسائل خلافية. تقصى خلفية الكاتب مفتاح لافتراضاته القيمية مجرد مفتاح، وقد يسهم فى تضليلك، شأن كل المفاتيح، حين يستخدم دون إبداء الكثير من الحرص.

العواقب مفتاح للافتراضات القيمية

فى الحجج المعيارية، يفضى كل موقف من المسألة الخلافية إلى عواقب مختلفة. لكل عاقبة محتملة أرجحية بعينها، ولكل قدر بعينه من الاستحسان. مدى استحسان العاقبة إنما يرتهن بتفضيلات الكاتب أو القارئ القيمية الشخصية. استحسان النتيجة فى مثل هذه الحالات يحدده احتمال العواقب الممكنة والأهمية التى تعزى إليها. وفق هذا، من ضمن أهم سبل تحديد الافتراضات القيمية التى يصادر عليها المرء فحص المبررات التى يطرح لدعم نتيجته، ثم تحديد الأوليات القيمية التى تفضى إلى تلك المبررات حال الحكم بأفضليتها على مبررات كان بالمقدور طرحها فى الجانب الآخر من المسألة. دعونا نفحص مثالاً عينيًا.

ينبغى عدم تشييد تجهيزات نووية لأنها تلوث البيئة.

المبرر المطروح هنا عاقبة محتملة محددة لتشييد تجهيزات نووية. يستبان أن الكاتب يعتبر التلوث البيئى شيئًا بغيضًا. لماذا يعزو مثل هذه الأهمية لهذه العاقبة؟ ما القيم الأكثر عمومية التى يسهم حظر تلك التجهيزات فى تحقيقها؟ إننا نقتصر هنا على التخمين، ولكن ربما يعزو المؤلف قيمة أكبر للصحة أو الحفاظ على البيئة. قد يؤكد شخص آخر فى هذه الحجة عاقبة أخرى، مثال التأثير على توفير الطاقة للمستهلكين. لماذا؟ ربما لأنه يعزو قيمة كبيرة للكفاءة؟ لذا، فإن ذلك المبرر لا يدعم النتيجة إلا حال المصادرة على افتراض قيمى مفاده أن الحفاظ على البيئة أهم من الكفاءة.

لاحظ أن حجم العواقب قد يؤثر كثيراً على التفضيلات القيمية. قد لا يؤثر المرء الحفاظ على البيئة على الكفاءة إلا حين تلحق الكفاءة ضرراً "جسيماً" بالبيئة. قد يؤثر المرء قيمة للحرية الاقتصادية على الأمن الاقتصادى ما ظلت البطالة تحت معدل بعينه. يمكن للناس الخلاص إلى نتائج مختلفة، على الرغم من تمسكهم بافتراضات قيمية متماثلة، لأنهم يختلفون بخصوص أرجحية العواقب أو حجمها.

إذن، من ضمن سبل تحديد الافتراضات القيمية المهمة طرح السؤال "لماذا يستحسن المؤلف العواقب التى تعرضها المبررات؟".

تذكر: حين تحدد *الافتراضات القيمية*، حاول دوما صياغة *أولويات قيمية*. فى حالة المسائل الخلافية، صياغة الافتراضات القيمية بهذه الطريقة سوف تذكرك باستمرار بما *يتخلى* عنه الكاتب وما يكسبه. حاول مقاومة إغواء إنهاء تحليلك قبل الأوان عبر تحديد قيم المؤلف. تحديد هذه القيم مجرد خطوة على درب العثور على الافتراضات القيمية، لكنها لا تسهم بذاتها كثيراً فى فهم الحجة. القيم، بطبيعتها، متفق عليها.

المزيد من مفاتيح الافتراضات القيمية

ثمة أسلوب مفيد آخر فى إثارة الخلافات القيمية يتعين فى عكس *الأدوار*. اسأل: "ما الذى يهتم به من يتخذ موقفاً مخالفاً لموقف المؤلف؟" حين يجادل شخص بوجوب الإحجام عن استخدام القردة فى الأبحاث التجريبية، ينبغى أن تسأل نفسك "لو رغبت فى الدفاع عن استخدام القردة، ما الذى سوف أركز عليه؟" تذكر، حين يتخذ المرء موقفاً من مسألة خلافية، سوف يشى *بأولوية قيمية بعينها - تفضيل قيمة على أخرى*. درايتك بذلك التفضيل تعين على قرارك بالموافقة أو الاختلاف.

وأخيرا، تستطيع دوماً تقصى ما إذا كان الخلاف ناجماً عن خلاف قيمى بين حق الفرد فى السلوك على نحو بعينه ورفاهة الجماعة المتأثرة بهذا السلوك. يركن

كثير من الحجج ضمنيًا إلى موقف متخذ من هذا الخلاف القيمى المستديم، مثل خلافات قيمية سائدة أخرى. نستطيع تذكر العديد من الحالات التى يتطلب فيها تقدير أهمية تينك القيمتين وآثارهما. مثال ذلك، حين نتقصى مناقب اختبار المخدرات الإجبارى فى أماكن العمل، غالبًا ما نشرع فى تشكيل حججنا بالتفكير فى حق العمال فى الخصوصية *بالإضافة* إلى الضرر الذى قد يلحق المجتمع بسبب أحكام خاطئة ناجمة عن تعاطى المخدرات. هل حق المرء فى الخصوصية أجدر بالحماية من رفاهة المجتمع فى هذه الحالة؟ ما المسائل الأخرى التى تشتمل على هذا الخلاف القيمى؟ ماذا عن طلب "محلقى الرءوس" الاحتفال فى المناطق الإثنية؟

مفاتيح تحديد الافتراضات القيمية

١ - تقص خلفية المؤلف.

٢ - اسأل "لماذا تبدو عواقب موقف المؤلف مهمة عنده؟".

٣ - ابحث عن مسائل خلافية اجتماعية مشابهة كى تعثر على افتراضات قيمية مماثلة.

٤ - استخدم أسلوب عكس الأدوار. تبنَّ موقفًا مخالفًا لموقف المؤلف وحدد القيم المهمة لهذا الموقف المخالف.

٥ - ابحث عن خلافات قيمية سائدة، مثل المسئولية الفردية فى مقابل المسئولية الاجتماعية.

تجنب صعوبة نمطية إبان تحديد الافتراضات القيمية

ثمة صعوبة سائدة، تواجه من يشرع فى البحث عن الافتراضات القيمية، يمكن تجنبها. دعونا نوضح هذه الصعوبة باستخدام الحجة المعيارية الموجزة التالية.

المدن التى شيدت فى الصحراء، مثال فينكس ولاس فيجس، تعمل جاهدة على جذب السياح، حرصًا منها على ما ينشأ عن ذلك من وظائف. غير أن رفاهة السكان الحاليين الاقتصادية تتضرر كثيرًا من جعل تلك المدن أكثر جذبًا لأعمال جديدة.

لجذب المهن، غالبًا ما يكون سعر المياه فى المدن الصحراوية أرخص منه فى مناطق البلاد التى تتوافر فيها المياه. لذا فإنك تشاهد الكثير من المناطق الخضراء الجميلة فى تلك المواقع الصحراوية. إنضاب موارد المياه المحدودة أصلاً ومن ثم حرمان الأجيال القادمة من موارد مياه مناسبة خلل يتوجب إصلاحه.

هبك قرأت هذه الحجة ثم استنتجت أن صاحبها يعزو أهمية للمياه والمستقل. على مستوى ما، حددت ما يعتبره المؤلف مهمًا، فهو يشير إلى رغبته فى حصول الأجيال القادمة على موارد مياه مناسبة. غير أن هذه الاستجابة أكثر عينية من أن تفضى إلى تفكير معمق فى هذه المسألة المستقبلية. كى تسير فى اتجاه فهم أفضل للمسألة، انظر ثانية فى تعريف القيم، الذى يقترح الحاجة إلى وضع الأجيال القادمة والماء فى إطار أكثر تجريدًا. ما إن تستشعر هذه الحاجة، حتى تجد أن الإجابة تقر: يعزو المؤلف قيمة للحفاظ على البيئة والتعاطف مع الأجيال. ملاحظة هذا خطوة فى الاتجاه الصحيح. الحفاظ على البيئة والتعاطف مع الأجيال يقومان بدور مهم فى هذه الحجة. هاتان القيمتان مهمتان لعدد من المسائل المتعلقة بتلوث الهواء والأنواع المنقرضة. غير أننا لم نصل بعد إلى مستوى الافتراضات القيمية الأكثر إيحاء.

لأن القيم متنازعة، فإنا نغفل الكثير حين نقتصر على الاهتمام بقيم المؤلف. ترتيبها النسبى مقارنة بقيم أخرى، الذى يؤثر فى هذه الحجة، هو ما يعين على تحديد النتيجة. كون المؤلف يؤثر الحفاظ على البيئة على التطور الاقتصادى أو يفضل التعاطف مع الأجيال على الحرية الشخصية هو الدافع الأساسى لشجب تخفيض أسعار المياه فى المناطق الصحراوية.

لذا حاول جهدك العثور على الافتراضات القيمية، ولا تتوقف عند المستويات الأقل إيحاء.

اكتشاف المرء افتراضاته القيمية

دعونا نتقص مثالاً يعين على اكتشاف الافتراضات القيمية.

يحاول الكونجرس إصدار قانون يقلل من مستوى الاستغلال الإعلانى الراهن فى برامج التلفزة الخاصة بالأطفال. يدعو المقترح إلى فرض قيود على عدد ونوع الإعلانات المسموح بها أثناء عرض برامج الأطفال. واجه المقترح معارضة كبيرة ممن يرون أن الآباء لا المشرعين هم الذين يتوجب عليهم مراقبة مشاهدة التليفزيون.عندهم، الآباء وحدهم الذين يتوجب عليهم تحمل مسئولية ما يشاهده أبناؤهم.

غير أن أنصار هذا المقترح يشيرون إلى أن برامج الأطفال أصبحت مجرد إعلانات تستغرق ثلاثين دقيقة. إنهم يصرون على أن القيود الحكومية ضرورية لحماية الأطفال من استغلال الإعلانات الفج. إنهم يطالبون أن تحترم برامج الأطفال حاجات الصغار وعوزهم النسبى للنضج، عوضًا عن استغلال هذه الحاجات وهذا العوز فى تحقيق الأرباح.

بنية الموقفين كالتالى:

النتيجة: *لا يتوجب على الحكومة فرض قيود على برامج التلفزة الخاصة بالأطفال.*

المبرر: *الآباء هم الذين يتوجب عليهم مراقبة مشاهدة التليفزيون.*

النتيجة: يتوجب *على الحكومة ألا تنظم برامج التلفزة الخاصة بالأطفال.*

المبرر: *الأطفال عرضة على نحو خاص لاستغلال الراغبين فى تحقيق الأرباح من برامج التلفزة.*

لاحظ أن المعارضة تستهجن فرض قيود على مشاهدة برامج الأطفال لأنه يعنى التدخل فى مسئولية الآباء. إنها تعتقد وجوب ترك الأمر للفرد كى يقرر ما هو مرغوب فيه وما مرغوب عنه. هكذا تعتبر تنظيم الحكومة تدخلاً فى مسئولية الأفراد على مراقبة ما يحدث فى بيوتهم.

افتراض قيمى: *فى هذا السياق، المسئولية الفردية أهم من المسئولية الجماعية.*

من منحى آخر، يصر أشياع المقترح على أن مساعدة الحكومة ضرورية من أجل صالح الأطفال العام. إنهم يرون أن التقليل من استغلال الأطفال يبرر إلى حد تقليص المسئولية الفردية. عندهم الفعل الجماعى الذى تقوم به الحكومة أكثر فعالية فى الحد من الاستغلال الذى قد ينتج عن جهود فردية.

افتراض قيمى: *فى هذا السياق، المسئولية الجماعية أهم من المسئولية الفردية.*

الخلاف القيمى الأساسى إذن خلاف بين المسئولية الفردية والمسئولية الجماعية. يصادر نصير المقترح على الافتراض القيمى القائل إن المسئولية الجماعية التى تتخذ شكل تدخل حكومى أهم من المسئولية الفردية غير الخاضعة للمراجعة. هذا لا يعنى أنه لا يقيم وزنا للمسئولية الفردية، فقد يعتقد بأن القيمتين غاية فى الأهمية. غير أن

المسئولية الجماعية تحظى بالأولوية فى هذه القضية. وعلى وجه مماثل، لا يدافع خصوم المقترح عن استغلال الأطفال. إنهم يرون فى هذه القضية أن الحفاظ على المسئولية الفردية أهم من الفعل الجماعى.

تذكر أن الاستدلال فى المسائل المعيارية لا يكتمل إلا حال وجود مبررات وافتراضات قيمية.

مبررات + افتراضات قيمية ← نتيجة

دعونا نكمل معًا مثالاً آخر:

> **يتوجب على الطلبة الالتزام بقيود تفرض على مظهرهم، تشمل زيًا موحدًا، ضوابط خاصة بالأحذية، وطول الشعر. فى مثل هذا المناخ التربوى، يتسنى للمدرسين التعليم ويتسنى للطلبة التعلم. لن يهدر وقت وجهد ثمينان على المشاكل التأديبية الناشئة عن غياب قيود صارمة تفرض على المظهر.**

نحدد بداية بنية الحجة.

النتيجة: يتوجب *على الطلبة الالتزام* بقيود تفرض *على مظهرهم*.

المبرر: *سوف تقل المشاكل التأديبية* حال *الانصياع لمثل هذه القيود*.

ما الافتراضات القيمية الناتجة عن دعم القيود المقترحة؟ راجع الجدول السابق. هل يؤثر أى من الخلافات القيمية الواردة فى استجابة المرء لفرض تلك القيود واستخدام ذلك الاستدلال؟ حاول توضيح كيف أن تفضيل الامتياز التربوى على تعبير الفرد عن نفسه يؤثر فى استجابتك لهذه المسألة الخلافية.

تسهم القيود التى تفرض على المظهر فى تكثيف العملية التأديبية +

الامتياز التربوى يحظى بأولوية على التعبير الفردى عن الذات ←

يتوجب فرض قيود على المظهر.

توظيف هذا السؤال النقدى

حين تعثر على افتراض قيمى، ما الذى يتوجب عليك أن تفعل به؟ أولا، تذكر الغاية من كل سؤال نقدى س- توجيهك شطر تقويم الاستدلال. لأنك تعرف أن لدى الأشخاص الذين يفكرون بطريقة وجيهة افتراضات قيمية مختلفة، لك أن تتساءل عن علة التشبث بأى افتراض قيمى. هكذا ترغب، بوصفك مفكرًا ناقدًا، فى الإشارة إلى حاجة كل من يعرض حجة إلى تأمين تفسير لوجوب قبول الافتراض القيمى المعنى المتضمن فى الحجة.

القيم والنسبوية

لا نرغب فى إعطاء الانطباع فى هذا الفصل بأن التفضيلات القيمية تشبه الجيلاتى؛ أننى حين أختار نكهة العنبية، لا أساس لديك فى إقناعى أن نكهة ليمون الشيفون خيار أفضل. الجيلاتى مسألة تفضيل شخصى - وهذا كل ما هنالك.

غير أن التفضيلات القيمية تتطلب تفكرًا استدلاليًا. يمكن لمثل هذا التفكر، كأى تفكر آخر، أن يكون مستنيرًا، ومعمقًا، وحريصًا. لكنه قد يكون أيضًا أخرق ومنهمكًا فى شئونه الذاتية. وفق ذلك، تتطلب التفضيلات القيمية تسويغًا بمقدور المفكر الناقد اعتباره. يعرض الموقع المرتبط بهذا الكتاب (http://www.prenhall.com/browne) بعض السبل الكلاسيكية المستخدمة فى دعم الافتراضات القيمية. اعتبر تلك البدائل واستفسر من الذين يصادرون على أحكام قيمية عن أسس تفضيلاتهم.

تلخيص

الافتراضات أفكار مضمرة، مسلم بها فى الاستدلال. ضمن سياق المسائل الخلافية الاجتماعية، تكمن هذه الافتراضات فى إيثار قيمة على أخرى فى سياق

بعينه. خلفية المؤلف، الاستجابة لعواقب الفعل الممكنة وفق افتراض قيمى محدد، المسائل الخلافية المشابهة، وعكس الأدوار كلها مفاتيح تعين على العثور على افتراضات المرء القيمية فى أية مسألة خلافية.

تمارين تطبيقية

سؤال نقدى: ***ما المسائل الخلافية القيمية وما الافتراضات؟***

حدد المسائل الخلافية القيمية التى قد تفضى إلى الاختلاف مع وجهات النظر التالية، ثم حدد الأولويات القيمية المفترضة من قبل الكاتب.

النص ١

بودى أن أرى النساء يخضن المعارك. حين تقوم الحرب، كلنا يرغب فى أن يقتصر الدفاع عن الوطن على من هم أهل له. أخشى أن النساء لن يكن قادرات على التعامل مع الضغوطات العاطفية التى نواجهها أثناء القتال. مكمن قوتهن بشراً إنما تتعين فى الرعاية والتغذية. دعوهن إذن يقمن بما هن أهل للقيام به.

كى أبين أننى لست متحيزاً ضد النساء، بودى أن أشير إلى أن الرجال يصبحون جد ضعفاء حين يقاتلون فى حضور النساء. سوف يتشتت انتباههم بسبب الرغبة فى حماية رفاقهن من الإناث. الرجال ضعفاء فى هذا الخصوص. الخلاصة، حاجة الرجال والنساء وحاجة البلاد بوجه عام إنما تناهض السماح للنساء بالاشتراك فى المعارك.

النص ٢

نسبة إلى معظم الناس، الجامعة مضيعة للوقت والجهد. لا يحتاج المرء إلى الجامعة كى يتعلم. إذا ذهبت إلى الجامعة كى تتحسن فرصك فى كسب المال، فقد قضى عليك. أكثر من نصف الذين يبلغ دخلهم أكثر من ٣٥ ألف دولار لم يحصلوا على شهادات جامعية. ما تتعلمه من الجامعة نادرًا ما يكون مفيدًا فى العمل. معظمكم سوف يكونون أفضل حالاً لو أنهم وفروا جزءًا من دخلهم أثناء وجود أصدقائهم السذج فى الجامعة.

النص ٣

البرازيل إحدى الدول القلائل التى تمتلك غابات مطيرة غنية. غير أنها دولة فقيرة تعتمد على تدمير الغابات المطيرة كى تؤمّن معظم دخلها. يستخدم سكان البرازيل الغابات المطيرة فى صنع منتوجات تلبى رغبة الدول الصناعية فى العيش المريح والمنتوجات "الطبيعية".

يتوجب على الدول الصناعية رفع التعريفة المفروضة على منتوجات الغابات المطيرة المستوردة ليس فقط من البرازيل بل من كل البلدان التى تسهم فى تدمير هذا النوع من الغابات. يحتاج العالم بأسره إلى الوعى بالاضمحلال المتسارع الذى يعانى منه النظام البيئى، والتعريفة ناقوس الخطر يدق لتلك البلدان الاستوائية. سوف تجعل التعريفة إنتاج وبيع منتوجات الغابات المطيرة أغلى ثمنًا وترغّب رجال الأعمال تدريجيًا عن الاستثمار فى تلك النظم البيئية.

عينات من الأجوبة :

النص ١

النتيجة: ***يتوجب عدم السماح للنساء بالاشتراك فى المعارك.***

المبررات: ١ – ***يعوزهن التماسك العاطفى اللازم.***

٢ – ***مكمن قوتهن إنما يتعين فى مواضع أخرى، التغذية والرعاية.***

٣ – ***الرجال ضعفاء إلى حد أنهم سوف يكونون عاجزين عن القتال فى حضور النساء، إذ أنهم سوف يستشعرون الحاجة لحماية الجنديات.***

من بين الخلافات القيمية المرتبطة بهذه الحجة الخلاف بين التقاليد والمساواة فى الفرص. تقليدياً لم تكن النساء يشاركن فى المعارك فى بلادنا. على ذلك، نعرف أن بعض النساء يرغبن فى أن تتاح لهن هذه الفرصة. لقد حصل عليها الرجال، ولذا فإن المتقدمات من النساء يحتججن بشكل نقدرْه متسائلات: "وماذا عنا؟". يعرض المؤلف الحجج التقليدية ضد استخدام النساء فى المعارك: إنهن غير قادرات على القيام بمثل هذه المهمة؛ إنهن يقدمن خدمات جليلة فى البيوت، ويشتتن انتباه الجنود الذكور. ثمة إيثار قيمى للتقاليد على المساواة فى الفرص يربط بين المبررات والنتيجة.

كما هو الحال مع معظم الخلافات القيمية، ثمة أكثر من خلاف قيمي متضمن فى هذا المأزق. مثال ذلك، أنه يتطلب التفكير فى حقوق الأفراد فى مقابل رفاهة المجتمع، والنزاع بين الطموح والراحة.

النص ٢

النتيجة: *يتوجب على معظم الناس عدم الدراسة فى الجامعة.*

المبررات: ١ - *كثير ممن يحصلون على دخول عالية لم يدرسوا فى الجامعة.*

٢ - *لا تقوم الجامعة عادة بتدريس مهارات تتعلق بالعمل.*

ثمة افتراض قيمى هنا مفاده أن الإنجازات المادية أهم من التعلم. لاحظ أن العواقب التى يؤكدها الكاتب إنما تتعين فى تأثير الجامعة على الدخل فى المستقبل. بيد أنه يتغاضى عن المقاصد الأخرى التى تبرر الدراسة فى الجامعة. إذا كنت تعتبر التعلم أهم من جمع الأموال، فقد تنكر الاستدلال المقترح فى هذا النص.

تلخيص السؤال النقدى

مكمن أهمية هذا السؤال

ما المسائل الخلافية القيمية وما الافتراضات؟

عادة ما يؤمّن المؤلف مبررات صريحة لخلاصه إلى نتيجة بعينها، غير أنه يصادر أيضًا على افتراضات تفضى به إلى نتيجة محددة. بتحديد المسائل الخلافية القيمية، تعرف ما إذا كانت تفضيلات المؤلف القيمية تتسق مع تفضيلاتك القيمية. وفق ذلك، لديك وسيلة فى تحديد ما إذا كنت سوف تقبل نتيجة المؤلف أو ترفضها.

مختارات من أسئلة الموقع الخاص بالكتاب

حدد الافتراضات القيمية.

٢ - أشياع المعارضة الضميرية خونة لهذه البلاد ويتوجب إما اعتقالهم أو تسفيرهم إلى مكان يقبلهم. حين يتعرض الوطن لخطر هيمنة خارجية، لا يكون الوقت مناسبًا للجبن أو التأمل. إن حرية الموطن تتعرض للخطر فى زمن الحرب، ويتوجب على كل مواطن أن يسهم فى الدفاع عن الحرية. أشياع المعارضة الضميرية يعرضون الجميع للخطر ويتوجب عدم السماح لهم بالقيام بذلك دون عقاب.

٣ - فى كل عام، تذبح مئات الآلاف من الحيوانات فى الولايات المتحدة إرضاء لشهوة الأمريكيين. قبل قتلها - عادة باستخدام صعقات كهربية أو بقطع رءوسها- تعيش تلك الحيوانات فى ظروف مؤسية. الأبقار تحفظ فى أماكن تكاد تعوق حركتها؛ فيما يؤسر الدجاج فى أقفاص لا تسمح بالحركة؛ أما العجول فتمنع تمامًا من الحركة كى يكون لحمها غضًا. من أجل ماذا؟ كى يستمتع الناس بمنتجات لحوم لذيذة الطعم. إن هذه الأساليب ليست ضرورية للحصول على لحوم صالحة للأكل. بمقدور الناس تربية الحيوانات بالطريقة التقليدية- فى المزارع الغنية بالمراعى والحيوانات الطليقة- دون أن يؤثر ذلك فى إنتاج ما يكفى أمريكا من اللحوم. يتوجب تغيير أساليب تربية الحيوانات من القبيل سالف الذكر إذا كنا نعتبر أنفسنا كائنات أخلاقية. طالما ظللنا نسمح بمثل هذه المعاناة المروعة التى لا مدعاة لها، فإننا لا نستطيع اعتبار أنفسنا كائنات أخلاقية.

٤ – فى عامٍ ١٩٩٢، توفى ٢٨٢,٥ من كل مائة ألف أمريكى بسبب أمراض القلب، كما توفى ٢٠٤,٣ من كل مائة ألف أمريكى بسبب السرطان. تشكل هذه المعدلات أربعة أضعاف معدلات أقرب أسباب الموت (أمراض الدماغ)، وكلاهما تسببه تخيرات تتعلق بأساليب الحياة. ما نوع أساليب الحياة التى يعيش الأمريكيون وفقها وتسبب هذه النتائج؟ ٢٧,٥٪ يعانون من زيادة مفرطة فى الوزن (٢٠٪ أو يزيد أوزانهم فوق المتوسط)، ٥٩٪ لا يمارسون الرياضة بانتظام، و ٢٥,٥٪ يدخنون. نسبة من يبدون الحرص فى اختيار طعامهم لا تزيد على ٤٠٪ فى حالة الإناث، و٣٢٪ فى حالة الذكور. لقد ثبت أن الأمريكيين عاجزون على اتخاذ قرارات مسئولة فيما يتعلق بالصحة. يتضح أن ثمة حاجة إلى فرض قيود حكومية صارمة على الأطعمة والمخدرات لتقليل معدلات الأمراض التى يمكن الحول دونها. إذا عجز الناس عن اتخاذ قرارات مسئولة بأنفسهم، فإنه بمقدور الحكومة على أقل تقدير أن تمنع الشركات من إنتاج سلع تلحق الضرر بصحة الملايين.

الفصل السادس

الافتراضات الوصفية

يتوجب أن تكون قادراً الآن على تحديد الافتراضات القيمية - الوصلات المهمة المضمرة فى الحجج المعيارية. حين تجدها، تعرف تمامًا رؤية الكاتب أو المتحدث فى الكيفية التى يرغب أن يكون عليها العالم - المثل التى يعتبرها أكثر أهمية. ولكن هل تعرف ما يسلم به بخصوص وضع العالم الراهن. إن استدلاله فى صورته المرئية يعول على هذه الأفكار، قدر ما يعول على القيم. مثل هذه الأفكار المضمرة افتراضات وصفية، وهى أساساً وصلات مضمرة فى الحجة.

ترتهن الحجة الموجزة التالية بافتراضات وصفية. هل تستطيع العثور عليها؟

يتعلم المرء الكثير من الأستاذ ستار. كل الطلبة يثنون على محاضراته.

سؤال نقدى: ***ما الافتراضات الوصفية؟***

الافتراضات الوصفية معتقدات عن وضع العالم الراهن؛ الافتراضات المعيارية أو القيمية معتقدات عما يتوجب أن يكون عليه وضع العالم.

توضيح الافتراضات الوصفية

دعونا نتقص حجة الأستاذ ستار لتوضيح ما نعنيه بالافتراضات الوصفية.

بنية الحجة كالتالى:

النتيجة: *سوف تتعلم الكثير من الأستاذ ستار.*

المبرر: *يثنى جميع االطلبة على محاضراته.*

الاستدلال غير مكتمل. نعرف أن المبرر بذاته عاجز عن دعم النتيجة. يتعين أن يرتبط المبرر بالنتيجة عبر أفكار أخرى (غالبًا ما تكون مضمرة). هذه أفكار تسوغ، حال صحتها، اعتبار المبرر دعمًا للنتيجة. وفق هذا، فإن مسألة ما إذا كان المبرر يدعم النتيجة، أو يتعلق بها، إنما ترتهن بما إذا كنا نستطيع تحديد أفكار مضمرة تقيم علاقة منطقية بين المبرر والنتيجة. حين تكون مثل هذه الأفكار المضمرة وصفية، نسميها افتراضات وصفية. نعرض الآن افتراضين وصفيين تصادر عليهما تلك الحجة.

الافتراض ١: *ثناء الطلبة* مؤشر جيد على قدر ما يتعلمون من *المحاضرة*.

أولا، لاحظ أنه إذا كان المبرر صحيحًا، وكان الافتراض صحيحًا أيضًا، فإن المبرر يؤمّن دعمًا للنتيجة. ولكن إذا كان الطلبة يثنون على المحاضرات بسبب قيمتها الترفيهية لا بسبب إسهامها فى تعليمهم، فإن المبرر لا يشكل دعمًا للنتيجة. لاحظ أيضًا أن هذا الافتراض إقرار عن وضع الأمور الراهن، وليس إقرارًا عن الوضع الذى ينبغى أن تكون عليه. لذا *فإنه افتراض رابط وصفى*.

الافتراض ٢: *تعلم الكثير* يعنى تشرب مواد من *المحاضرة*.

(أسلوب الإسفنجة فى التفكير، أليس كذلك؟). إذا كنا نعرّف "تعلم الكثير" على أنه تنمية مهارات تفكيرية، قد يكون قدر ثناء الطلبة على المحاضرات أمرًا تعوزه الأهمية. لذا فإن المبرر لا يدعم النتيجة إلا حال افتراض تعريف بعينه للتعلم.

نستطيع اعتبار هذا النوع من الافتراضات الوصفية افتراضات تعريفية لأننا سلمنا بمعنى حد قد يحمل أكثر من معنى. لذا فإن من ضمن أنواع الافتراضات الوصفية المهمة التى يتوجب البحث عنها الافتراضات التعريفية – التسليم بمعنى حد يحتمل عدة معانى. دعونا نرى كيف تبدو هذه العملية فى صورة الحجة:

(يثنى جميع الطلبة على محاضرات ستار) (مبرر) +

(ثناء الطلبة مؤشر جيد على قدر ما يتم تعلمه من المحاضرة) (افتراض وصفى)+

(تعلم الكثير يعنى تشرب مواد من المحاضرة) (افتراض وصفى) ⟵

(سوف تتعلم الكثير من الأستاذ ستار)

ما إن حددت الافتراضات الرابطة، حتى تكون أجبت عن السؤال "على أى أساس يمكن اشتقاق النتيجة من المبرر؟". الخطوة المتوقعة التالية أن تسأل "هل ثمة أسس لقبول الافتراضات؟". إذا لم تكن هناك أية أسس، فإن المبرر يفشل فى دعم النتيجة. إذا كانت هناك أسس، فإن المبرر يشكل دعمًا منطقيًا للنتيجة. تستطيع أن تقر أن الاستدلال صحيح حين تحدد افتراضات رابطة ولديك مبرر وجيه لقبول تلك الافتراضات.

انتبه: الافتراض الوصفى معتقد مضمر عن وضع العالم الراهن أو المستقبلى.

لاحظ أن هناك افتراضات مضمرة أخرى فى تلك الحجة. مثال ذلك، ينبغى ألا تقتنع بهذا الاستدلال ما لم تعتقد أن مناقب المحاضرات عند الآخرين هى المناقب التى تبحث عنها. أيتوجب عليك أن تتناول الطعام فى مطعم لمجرد أن كثيرا من أصدقائك يتناولون الطعام فيه؟ ألا ترغب فى معرفة لماذا يثنى الطلبة على المحاضرات؟ تذكر: عادة ما يتضمن الاستدلال العديد من الافتراضات.

لاحظ أيضًا أنك بتحديد الافتراضات تحدد أفكارًا يحتاج المؤلف أن يسلم بها كى يشكل المبرر دعمًا للنتيجة. ولأن المؤلفين لا يعون فى أغلب الأحيان افتراضاتهم، قد تكون معتقداتهم الواعية مختلفة تمامًا عن الأفكار التى اعتبرتها افتراضات مضمرة. حين تجعل النسيج الرابط الخفى فى الحجة واضحًا للعيان، فإنك تسهم أيضًا فى فهمهم حجتهم وقد ترشدهم إلى معتقدات وقرارات أفضل.

استخدام السؤال النقدى

بعد العثور على الافتراضات الوصفية، يتوجب التفكير فيما إذا كان هناك أساس متين لقبولها. لك أن تتوقع أن يؤمّن صاحب الحجة تسويغًا لوجوب قبولك تلك الافتراضات. إذا لم يكن هناك دعم للافتراضات، وكنت ترتاب فى صحتها، فإنك تسلك سلوكًا مسئولاً حين تنكر الحجة. ليس مفاد إنكارك الاختلاف مع النتيجة، بل إقرار أنك لن تقبل النتيجة المؤسسة فحسب *على ما عرض عليك* من *مبررات*.

مفاتيح موضعة الافتراضات

الغاية من العثور على الافتراضات إعادة تشكيل الاستدلال عبر ملء الفجوات. إنك ترغب فى تأمين أفكار تجعل استدلال المؤلف "منطقيًا". ما إن تحصل على صورة للحجة بأسرها، بأجزائها المرئية وغير المرئية، حتى تكون فى وضع أفضل لتحديد مكامن قواها وضعفها.

كيف يتسنى العثور على الوصلات المهمة المفقودة؟ يتطلب الأمر جهداً وخيالاً وإبداعًا. العثور على الافتراضات الحاسمة مهمة صعبة.

طرحنا عليك نوعين من الافتراضات - الافتراضات القيمية والافتراضات الوصفية. فى الفصل السابق، عرضنا عليك تلميحات عديدة تعين على العثور على الافتراضات القيمية. فيما يلى تلميحات تعين على البحث عن الافتراضات الوصفية.

واصل التفكير فى الفجوات التى تفصل النتيجة عن المبررات. لماذا تبحث عن الافتراضات أصلاً؟ لأنك ترغب فى أن تكون قادرًا على الحكم على مدى دعم المبررات للنتائج. لذا ابحث عما كان يتوجب على المؤلف التسليم به كى يربط المبررات بالنتيجة. اسأل دائمًا "*كيف تصل من المبررات إلى النتيجة؟*" اسأل "*إذا كان المبرر صحيحًا، أى شىء آخر يتوجب أن يكون صحيحًا كى تلزم النتيجة؟*" ولكى تجيب عن هذين السؤال، من المفيد أن تسأل "*على افتراض صحة المبررات، هل يظل بالإمكان أن تكون النتيجة باطلة؟*"

البحث عن فجوات يعين فى آن على العثور على الافتراضات القيمية والافتراضات الوصفية.

ابحث عن الأفكار التى تدعم المبررات. أحيانًا يعرض المبرر دون دعم صريح؛ على ذلك فإن وجاهة المبرر إنما تتوقف على قابلية الأفكار المسلم بها للقبول. هذه الأفكار افتراضات وصفية. الحجة الموجزة التالية توضح هذا الأمر:

النتيجة: ***يجب زيادة ما ينفق على التوعية بمرض الإيدز.***

المبرر: ***لو فعلنا ذلك، لحدث انخفاض هائل فى عدد المصابين به.***

أية أفكار يتوجب التسليم بها كى نقبل المبرر؟ يجب أن نفترض:

١ - سوف تنفق الأموال بطريقة فعالة: أى أن حملات التوعية تصل إلى المهددين بالإيدز الذين لم يسبق لها أن وصلتهم.

٢ - سوف يتسنى لأولئك الاستجابة لرسالة التوعية.

هكذا فإن (١) و(٢) فكرتان تم التسليم بهما كى يكون المبرر مقبولاً وقادرًا من ثم على دعم النتيجة.

تقمص شخصية المؤلف. عادة ما يسهل تحديد افتراضات المرء بتخيل أنه قد طلب منك الدفاع عن نتيجته. إذا استطعت، تقمص شخصية من يرغب فى الوصول إلى تلك النتيجة. اكتشف الخلفية. بصرف النظر عما إذا كان الشخص الذى تقوم بتقويمه مديرًا تنفيذيًّا فى شركة، زعيمًا عماليًا، مروجًا للعبة الملاكمة، أو قاضيًا، حاول القيام بدوره وتخيل ما يفكر فيه إبان انتقاله إلى النتيجة. حين يجادل مديرًا تنفيذيًا فى شركة للفحم بأن تجريد المناجم لا يلحق ضررا جسيما بجمال البيئة الطبيعية، يرجح أنه بدأ بمعتقد مفاده أن تجريد المناجم مفيد للبلاد. هكذا قد يفترض تعريفًا للجمال يتسق مع حجته، فى حين أن تعاريف أخرى للجمال قد تفضى إلى إدانة تجريد المناجم.

حدد المعارضة. إذا عجزت عن تحديد الافتراضات عبر تبنى موقف المؤلف، حاول عكس الأدوار. اسأل نفسك لماذا قد يختلف أى شخص مع النتيجة. أى نوع من الاستدلال يحث المرء على الاختلاف مع النتيجة التى تقوم بتقويمها؟ إذا استطعت القيام بدور شخص يعترض على النتيجة، سوف يسهل عليك معرفة الافتراضات المتضمنة فى بنية الحجة الصريحة.

لاحظ إمكان وجود سبل أخرى للحصول على المناقب التى تشير إليها المبررات. فى أحيان كثيرة، تدعم النتيجة بمبررات تشير إلى مختلف مناقب تطبيق هذه النتيجة. حين توجد سبل كثيرة للحصول على المناقب نفسها، يكون من ضمن الافتراضات المهمة التى تربط المبررات بالنتيجة افتراض مفاده أن أفضل سبل الحصول على المناقب المعنية هى السبيل التى يدافع عنها المؤلف.

دعونا نطبق هذا الأسلوب على مثال مختصر. يجادل كثير من المستشارين بأنه يتوجب السماح لطلبة الجامعة فى السنة الأولى اختيار مقرراتهم دون فرض أية قيود من قبل الآباء أو القائمين على الجامعة، لأن ذلك يسهم فى تنمية شعورهم بالمسئولية الشخصية. ولكن أليست هناك سبل متعددة لتنمية المسئولية الشخصية؟ ألا يمكن أن يلحق بعضها أضراراً أقل خطراً من تلك التى قد تنجم حال قيام طلبة السنة الأولى بإصدار أحكام خاطئة على المقررات التى تعزز مصالحهم على المدى الطويل؟ مثال ذلك، اشتراط أن يسهم الطالب فى تدبير نفقات تعليمه ينمى شعوره بالمسئولية الشخصية. وفق ذلك، من يجادل بوجوب السماح لطلبة السنة الأولى باختيار مقرراتهم لأن هذه الفرصة تشجع على تحمل مثل هذه المسئولية إنما يفترض أنه ليست هناك بدائل أقل خطراً لتحقيق هدف مماثل.

تجنب اعتبار المبررات التى لم يكتمل تسويغها افتراضات. حين تحاول لأول مرة تحديد الافتراضات، قد تجد نفسك تحدد مبرراً، معتقداً أنه لم يتم تسويغه تسويغاً جيداً، وتقول "هذا مجرد افتراض. أنت لا تعرف أن هذا صحيح". وقد تقتصر على إعادة صياغة المبرر فى شكل افتراض. ربما تكون نجحت فى تبيان حاجة المؤلف إلى

دعم حجة مبررة. على الرغم من أن هذا التوضيح تبصر مهم من جانبك، فإنك لم تعثر على افتراض بالمعنى الذى عرّفنا وفقه الافتراضات فى هذين الفصلين. إنك إنما تقتصر على وصف مبرر على أنه "افتراض".

التالى مثال على اعتبار مبرر لم يتم تسويغه تسويغًا جيدًا افتراضًا.

المرتبات العالية تقوض الرياضة الاحترافية، ومن أسباب ذلك الرئيسة أن المرتبات العالية تفقد أنصار الفريق ولاءهم له.

الآن، تحدّ الحجة عبر تحديد الافتراض التالى:

يفترض الكاتب أن المرتبات العالية تفقد أنصار الفريق ولاءهم له.

ألا ترى أنك حين تقوم بذلك، فإن كل ما تقوم به إقرار أن مبرر المؤلف هو افتراضه – فى حين أن ما يرجح أنك تحاول القيام به توكيد أن مبرر المؤلف تعوزه الشواهد الكافية.

استخدام المفاتيح

دعونا نعاين حجة عن أثر موسيقى الروك كى نرى ما إذا كنا نستطيع تحديد الافتراضات الوصفية والمعيارية.

يؤثر افتتان طلبة الجامعة بموسيقى الروك تأثيرًا سلبيًا على دراستهم. لم تعد الكتب تنعم بالاهتمام الذى أصبح يوجه الآن إلى نجم الروك هذا الأسبوع. أنى لنا أن نتوقع من الطالب أن يناضل مع نص طويل لأفلاطون بعد أن اعتاد إثارة الحركة والنبض التى تحدثها موسيقى الروك. إن مثل هذه الموسيقى

توفر نشوة مبتسرة – مثل المخدر – نشوة فورية تعجز الكتب وقاعات الدرس عن توفيرها. فضلاً على ذلك، بشيوع مسجلات الأقراص المضغوطة المحمولة، يستطيع الطالب أن يستمع للموسيقى طول الوقت. يمثل هذا الوقت المخصص للموسيقى (ساعة الانتظار فى طابور الحفلة الموسيقية، الحفلة نفسها، ناهيك عن الوقت المخصص أصلاً للاستماع)، محتم أن تواجه الدراسة الكثير من الصعوبات.

لا تنافس موسيقى الروك فحسب على جذب انتباه طلبتنا، بل إنهم أضحوا يلجأون تدريجيًا إلى نجوم موسيقى الروك لحل مشاكل شخصية وعالمية. نجم الروك الذى يمتلك وعيًا اجتماعيًا هو البطل الجديد فى أعين الشباب. غير أن الحلول التى يطرحها إنما تسرف فى التبسيط. لا سبيل لحل مشاكل اليوم المعقدة بأغنية تستغرق خمس دقائق. على ذلك، فإن الطلبة يتشربون كلمات موسيقيين أثرياء بحماس يفوق حماسهم لدروسهم أو أساتذتهم.

النتيجة: *تؤثر موسيقى الروك تأثير سلبيًا على التعليم الجامعى.*

المبررات:

١ – *تتطلب الكتب جهدًا تأمليًّا مضنيًّا، ولذا فإنها عاجزة عن منافسة الرضا الفورى الذى توفره موسيقى الروك.*

٢ – *الانتباه الموجه لموسيقى الروك يشتت الانتباه الموجه للدراسة.*

٣ – *يتشرب الطلبة رسائل الموسيقى الممعنة فى التبسيط عوضًا عن تشرب الأفكار المركبة التى يتحدث عنها أساتذتهم.*

أولا، لاحظ أن المؤلف لا يؤمّن أى "إثبات" لمبرراته. قد يغويك هذا بقول "هذه المبررات مجرد افتراضات؛ إنه لا يعرف ذلك". خطأ. إنها ليست *افتراضات*. تذكر: تحديد مبررات لم تسوغ تمامًا، على الرغم من أنه مهم فإنه يختلف عن تحديد الافتراضات - التى هى أفكار مسلم بها جزءًا أساسيًّا من الحجة.

هل هناك افتراضات وصفية فى هذه الحجة؟ تذكر أن تسأل باستمرار عن الفجوة الفاصلة بين النتيجة والمبررات. أولا، اسأل نفسك "هل هناك أى أساس للاعتقاد فى صدق المبررات؟"؛ ثم اسأل "على افتراض صحة المبررات، هل يظل بالإمكان أن تكون النتيجة باطلة؟" حاول القيام بدور شخص مفتون بموسيقى الروك.

تفحص المبررين الأولين. كلاهما باطل، لو كانت إثارة العواطف وإثارة الذهن يعملان على نحو متجانس عوضًا عن النحو المتنافر. ربما يقلل الاستماع إلى موسيقى الروك من حدة التوتر، ما يسهم فى جعل الطلبة أقل عرضة لتشتت الانتباه حين يبذلون جهداً ذهنيًّا. لذا فإن أحد الافتراضات الوصفية يقر *أن الاستماع إلى موسيقا الروك لا يسبب الاسترخاء. أيضًا، كى يكون المبرر الثانى صحيحًا*، محتم *أن يكون الوقت المخصص لموسيقى الروك وقتًا كان يمكن تخصيصه لبذل جهد دراسى* (افتراض وصفى). ولكن، قد يكون الوقت المخصص لموسيقى الروك "وقتًا إضافيًا" عند الطلبة.

دعونا نفترض الآن صحة ذينك المبررين. ربما لا تحدث موسيقى الروك أثرًا سلبيًا على التعلم إذا كان دافع الطلبة للتعلم قويًّا إلى حد يجعلهم يبذلون جهداً فى التغلب على أية آثار سلبية محتملة. لذا ثمة افتراض يربط المبررين الأولين مفاده *أن الطلبة ليس لديهم دافع للتعلم من القوة* بحيث يمكنهم *من التغلب على العوائق الناجمة* عن جذب موسيقى *الروك*. أيضًا، ثمة افتراض رابط آخر مفاده *أن الذين يستمعون فى أغلب الأحيان لموسيقى الروك هم الطلبة أنفسهم الذى كان لهم أن يكون مهتمين بالأنشطة الدراسية*.

اعتبر المبرر الثالث. إنه لا يصح إلا إذا كان الطلبة يستوعبون رسائل موسيقى الروك بالطريقة التى يستوعبون وفقها الكتب ورسائل المحاضرات. ولكن قد تستوعب رسائل الموسيقى على أنها "ترفيه"، على نحو ما تستوعب تجربة ركوب قطار الملاهى. لذا ثمة افتراض مهم مؤداه *أن الطلبة يخفقون فى التمييز بين الرسائل التى توفرها موسيقى الروك والرسائل التى تؤمّنها قاعات الدرس*.

لاحظ أخيراً أن هذه المقالة تشتمل على بعد معيارى. وفق ذلك، ثمة افتراضات قيمية تؤسس الاستدلال. لماذا يهتم المؤلف بحماية النشء؟ جرّب عكس الأدوار. ما موضع اهتمام من يختلف مع النتيجة؟ ما فوائد استماع الشباب لموسيقى الروك؟ يتوجب أن تعينك إجابتك عن هذين السؤالين على معرفة تفضيلات النص القيمية. مثال ذلك، هل ترى كيف يمكن لتفضيل تنمية الذهن على إشباع الحواس أن يربط بين المبررات والنتيجة؟

تنكب تحليل الافتراضات التى تعوزها الأهمية

يسلم المؤلفون بأمور بدهية يفترض ألا نشغل بها أنفسنا. يجب أن تكرس جهدك لتقويم الافتراضات المهمة، ولذا فإننا نود تحذيرك من بعض الافتراضات التى تعوزها الأهمية.

تستطيع قارئًا أو مستمعًا أن تفترض أن المؤلف يعتقد فى صحة مبرراته. قد ترغب فى اعتبار أن المبررات ليست كافية، ولكن الإشارة إلى افتراض المؤلف صدق مبرراته إشارة تعوزها الأهمية.

ثمة نوع آخر من الافتراضات التى تعوزها الأهمية تتعلق ببنية الاستدلال. قد تغوى بإقرار أن الكاتب يعتقد أن هناك علاقة منطقية تربط بين المبررات والنتيجة. هذا صحيح - لكنه ليس مهمًا. المهم تبيان كيف أنها مرتبطة منطقيًا. أيضًا لا أهمية

للإشارة إلى أن الحجة تفترض أننا نستطيع فهم المنطق، وفهم المصطلحات، أو أن لدينا خلفية معرفية مناسبة.

تجنب هدر الوقت فى تحليل افتراضات تافهة. بحثك عن الافتراضات يكون أفيد ما يكون حين تحدد وصلات مضمرة خلافية.

الافتراضات وأسلوبك في الكتابة والتحدث

حين تحاول التواصل مع المتلقى، كتابة أو تحدثًا، سوف تصادر على الكثير من الافتراضات. التواصل يتطلب مثل هذه الافتراضات. ولكن لزام عليك، احترامًا لمتلقيك، أن تقر تلك الافتراضات، وأن تحاول أنَّى ما استطعت تسويغها.

منطق هذا النهج هو مساعدة المتلقى على قبول حجتك. إنك بذلك تكون مفتوحا تجاههم ومنصفًا لهم. سوف يقدر المتلقى رغبتك فى عرض حججك فى أكمل صورها.

تلخيص

الافتراضات أفكار تمكننا حال صحتها من زعم أن المبررات تؤمّن دعمًا للنتيجة.

مفاتيح اكتشاف الافتراضات الوصفية

١ - فكر دائمًا فى الفجوات الفاصلة بين النتيجة والمبررات.

٢ - ابحث عن أفكار تدعم المبررات.

٣ - حدد الموقف المعارض.

٤ - لاحظ إمكان وجود سبل أخرى للحصول على المناقب المشار إليها فى المبررات.

٥ - تعلم المزيد عن المسألة.

تمارين تطبيقية

سؤال نقدى: ***ما الافتراضات الوصفية؟***

حدد فى كل نص من النصوص الثلاثة الآتية الافتراضات المهمة التى يصادر عليها المؤلف. تذكر أن تقوم أولاً بتحديد النتيجة والمبررات.

النص ١

هل يتوجب السماح لمراسلى الصحافة والتلفزة رفض الإفصاح عن مصادرهم السرية؟ نعم. علاقة المراسل بمصدره شبيهة فى النهاية بعلاقة القسيس بالتائب، والمحامى بموكله، والطبيب بمريضه – وكلها تحوز وفق القانون درجة من الخصوصية. أيضًا، إذا لم تتم حماية هذه العلاقة، سوف تنضب موارد المعلومات التى يحتاجها الناس.

النص ٢

لن تنجح برامج التفكير الناقد. يتوجب تدريس مهارات التفكير الناقد كما تدرس المهارات البدنية، عبر التدريب، لا بالجمع بين المحاضرات والكتب الدراسية التى تزعم أنها تدرس مهارات تفكيرية خاصة. إننا لا ندرّس للأطباء والمحامين كيف يفكرون بطريقة نقدية عبر مقرر فى التفكير الناقد، بل نشترط عليهم

استـخدام مـهارات التـفكيـر الناقـد فى كل المقـررات التى يدرسونها. إننا نعلمهم بالتدريب، بتوفير الكثير من التمارين التطبيقية والتغذية الإرجاعية الإصلاحية.

التفكير ليس مهارة يمكن تدريسها بمعزل عن أفعال ذهنية أخرى وبمعزل عن محتوى تخصصاتنا. عوضًا عن تطوير برامج تفكير ناقد، يجب علينا التأكد من أن الطلبة يدربون على التفكير الناقـد فى كل المقـررات. لو أصـبح كل المدرسين مـدربين واشترطوا على طلبتهم التفكير فيما يدرسون، بدلاً من جعلهم يستظهرون المعلومات، لما كانت هناك حاجة لتدريس مقررات التفكير الناقد.

النص ٣

يجب ألا تدرّس القيم فى المدارس العامة. المدرسون ليسوا علماء لاهوت أكفاء، ومثل هذا التدريس إنما ينتج اتحادًا غير قانونى بين الكنيسة والدولة.

ثانيا، تدريس القيم يثير حساسية مفرطة لدى طلبة الأقليات الدينية. يتوجب أن تكون المدرسة مكانًا لتقصى أفكار جديدة وتقصى الحساسية إزاء تلك الأفكار.

ومهما يكن من أمر، المدرسون ليسوا ضرورة أفضل معلمى القيم. إنهم مجرد فتيان درسوا فى الجامعة ولم يحصلوا على أى تعليم أخلاقى خاص.

عينات من الأجوبة :

سوف نقتصر على عرض الافتراضات التى تصادر عليها تلك الحجج والتى نعتقد أنها الأكثر أهمية.

النص ١

النتيجة: يتوجب السماح لمراسلى الصحافة والتلفزة رفض الإفصاح عن مصادرهم السرية.

المبررات :

١ - علاقة المراسل بمصدره خاصة.

٢ - إذا لم تتم حماية هذه العلاقة، سوف تنضب موارد المعلومات التى يحتاجها الناس.

يقارن المؤلف علاقة المراسل بالمصدر بعلاقات أخرى. سوف يكون المبرر الأول أقل وجاهة إذا كانت مبررات خصوصية المحامى وموكله أو الطبيب ومريضه مختلفة تمامًا عنها فى حالة علاقة المراسل بمصدره. مثال ذلك، يعلن المراسلون عادة، خلافًا لأصحاب مهن أخرى، عن معلوماتهم للناس، ما يسبب عواقب اجتماعية عديدة نسبة لأفراد المجتمع.

ثمة افتراض أساسى يتعلق بوجاهة المبرر الثانى مفاده أن معظم المعلومات التى يركن إليها المراسلون مأتاها مصادر تخشى كثيرًا من خطر الكشف عن أسمائها إلى حد يجعلها ترفض الإدلاء بمعلوماتها. ولكن ربما يظل كثيرون يبدون استعدادهم لتوفير المعلومات لأنهم قادرون على مواجهة هذا الخطر.

النص ٢

النتيجة: ***لن تنجح برامج التفكير الناقد. بدلاً من ذلك، يتوجب التأكد من أن الطلبة يتدربون على التفكير الناقد في كل مقرراتهم.***

المبرر: ***تدرس مثل هذه المهارات بطريقة أفضل عبر تدريب الطلبة ضمن تخصصاتهم.***

(مبررات داعمة)

أ) يعلّم المحامون والأطباء عبر التدريب، وليس عبر مقررات التفكير الناقد.

ب) لا سبيل لتدريس التفكير الناقد بمعزل عن محتوى التخصص.

جرّب عكس الأدوار، تبنى دور شخص يدرس مقرراً في التفكر الناقد، ربما باستخدام ***Asking the Right Questions*** . ◦

كي يكون المبرر صحيحا، يتوجب أن تشتمل معظم المقررات التخصصية، أو يرجح أن تشتمل، على تدريب على مهارات التفكير الناقد بوصف ذلك جزءاً مهماً من تلك المقررات. قد يكون هذا نوعاً من التفكير التمنوى. تقترح الكثير من الدراسات أن معظم المقررات لا تدرب على مهارات التفكير الناقد، بل تعتمد على إلقاء المحاضرات وإعادة إنتاج المعارف، وأن معظم المدرسين يقاومون تغيير هذا الأسلوب.

هل يدعم المبرر الداعم الأول المبرر الأساسى؟ إنه يدعمه إذا كانت الإجراءات المستخدمة في تدريب المحامين والأطباء على التفكير ناجحة وكان تدريبهم نمطياً في تدريس كل التخصصات. ربما تفيد هذه المهن كثيراً من مقرر في التفكير الناقد يركز على مهارات أساسية.

ثمة رابط مهم بين المبرر والنتيجة مفاده افتراض أن التدريب اللاحق لا يفيد من تأسيس جيد فى المهارات الأساسية. ربما يكون التدريب أكثر نجاحًا بعد دراسة المتعلم المهارات الأساسية فى وقت سابق.

تلخيص السؤال النقدى

مكمن أهمية هذا السؤال

ما الافتراضات الوصفية؟

حين تحدد الافتراضات الوصفية، فإنك تحدد الرابط بين مبرر المؤلف ونتيجته. إذا كان هذا الرابط يعانى من خلل، فإن المبرر لا يدعم النتيجة ضرورة. وفق ذلك، يمكن تحديد الافتراضات الوصفية من تحديد ما إذا كانت مبررات المؤلف تفضى إلى نتيجته. سوف ترغب فى قبول النتيجة فقط حين تكون هناك مبررات وجيهة تفضى إلى النتيجة. لذا، حين تكتشف أن الرابط بين المبررات والنتيجة يعانى من خلل ما، سوف تتردد فى قبول نتيجة المؤلف.

مختارات من أسئلة الموقع الخاص بالكتاب

حدد الافتراضات الوصفية

٢ - لن يجد الرئيس الذى تعوزه الكفاءة صعوبة فى إعادة انتخابه. إنه ديمقراطى. من بين ١٤٠ مليون أمريكى يحق لهم التصويت، ٣٨٪ ديمقراطيون، ٣٢٪ جمهوريون. الباقى مستقلون. ينقسم المستقلون بالتساوى تقريبًا بين المرشحين الديمقراطيين والمرشحين الجمهوريين، وفق ما تبين الاستطلاعات. لن يفقد الرئيس وظيفته إلا إذا تصرف تصرفًا أحمق.

٣ - إن هذه البلاد [أمريكا] فى طريقها إلى مواجهة أزمة أخلاقية حادة. إذا فحصنا إحصائيات الزواج، فإن النهاية واضحة. فى الفترة بين عامى ١٩٢١ و ١٩٢٣، كانت هناك ١١٢ حالة زواج و١٠ حالات طلاق لكل ١٠٠ امرأة. منذ ذلك الوقت، انخفض ذلك المعدل تدريجيًا، حتى وصل فى الفترة بين عامى ١٩٩٢ و١٩٩٤ إلى ٦٥ حالة زواج...

٥ - يعانى كثير من ربات البيوت من ضغوط نفسية حادة. مطالب الأبناء، والزوج والمجتمع، تسبب *ضغوطات* على المرأة الحديثة. غالبًا ما يتطلب ذلك بعض العون الطبى. ما الخطأ فى تناول حبة فعالة تمنح الطاقة وتريح البال نسبيًا؟ لا ريب أن تناول النساء الإمفاتيمين أفضل من التعرض إلى انهيارات عصبية. ليست هناك شواهد قوية تقترح أن الإمفاتيمين، حال تناول جرعات متوسطة، يسبب الإدمان، كما أنه ليس باهظ الثمن. هكذا يبدو أن المرأة الحديثة لن تفقد الكثير بل ستجنى الكثير باستخدامه.

الفصل السابع
أغاليط الاستدلال

حتى الآن، كنت تتعامل مع المادة الأصلية التي يعرضها الكاتب أو المتحدث وتحاول تجميعها في بنية عامة تحوز على معنى. لقد تعلمت سبلاً في التخلص من الأجزاء غير المهمة وفي اكتشاف "الغراء اللامرئي" الذي يمسك بالأجزاء المرئية – أي الافتراضات. لقد أنجزت كل ذلك عبر طرح أسئلة نقدية. دعونا نراجع بإيجاز هذه الأسئلة:

١ – ما المسألة وما النتيجة؟

٢ – ما المبررات؟

٣ – أي الكلمات والعبارات يعاني من غموض؟

٤ – ما الخلافات القيمية وما الافتراضات القيمية؟

٥ – ما الافتراضات الوصفية؟

يتوجب أن يمكنك طرح هذه الأسئلة من فهم واضح لاستدلال المؤلف ويجعلك تستشعر مكامن قوة حجته ومكامن ضعفها. معظم فصول الكتاب التالية تركز على مدى تماسك البنية عقب تجميعها. السؤال الأساسي الآن هو "ما مدى وجاهة النتيجة في ضوء المبررات المتوافرة؟" أنت الآن مهيأ لجعل *التقويم* موضع اهتمامك. الغاية من القراءة والاستماع النقديين الحكم على وجاهة النتيجة أو جدارتها بالاهتمام.

في حين كانت الإجابة عن الأسئلة الخمسة الأولى نقطة بدء ضرورية للعملية التقويمية، ننتقل الآن إلى أسئلة تتطلب إصدار أحكام أكثر مباشرة وصراحة حول وجاهة الاستدلال أو جودته. تتعين مهمتنا الآن في فرز الذهب الخالص من الذهب

المزيف. إننا نرغب فى عزل أفضل المبررات – تلك التى نود التعامل معها بالقدر الأعظم من الجدية.

الخطوة الأولى فى هذه المرحلة من التقويم فحص بنية الاستدلال لتحديد ما إذا كان المؤلف صادر على افتراض مشكوك فى أمره أو مارس علينا بعض "الحيل"، إما عبر تمرير خطأ منطقى أو استدلال مضلل. لقد ركز الفصل السادس على العثور على الافتراضات ومن ثم التفكر فى وجاهتها. أما هذا الفصل فيركز على "الحيل" الاستدلالية التى نسميها كما يسميها الآخرون "بالأغاليط".

الحيل التالية حيل شائعة:

١ – *تأمين استدلال يشترط افتراضات خاطئة أو غير صحيحة.*

٢ – *تشتيت الانتباه عبر جعل المعلومات تبدو متعلقة بالنتيجة على الرغم من أنها ليست كذلك.*

٣ – *توفير دعم يفترض صحة النتيجة.*

موضعة هذه الحيل يحمينا من التأثر بها أكثر مما يجب. كيف تبدو الأغلوطة فى الاستدلال؟ اعتبر الاستدلال التالى.

> **عزيزى المحرر: لقد صدمت بدعم مقالتك لحجة عضو مجلس الشيوخ سبندال التى تدافع عن رفع الضرائب لتوفير المزيد من المبالغ الحكومية المخصصة لتحسين الطرق العامة. لا غرو أنه يدافع عن هذا الرفع. أى شيء آخر تتوقعه من أحد ليبراليى فرض الضرائب وإنفاقها!**

لاحظ أن هذه الرسالة تبدو أول وهلة كأنها تعرض "مبرراً" ضد مقترح رفع الضرائب، يستشهد بسمعة عضو مجلس الشيوخ الليبرالى السيئة. غير أن المبرر لا

يتعلق *بالنتيجة*. لقد أغفل كاتبها مبررات ذلك العضو ولم يؤمّن أية مبررات محددة ضد رفع الضرائب. عوضًا عن ذلك، قام بهجوم شخصى على عضو المجلس. فضلاً عن ذلك، استخدامه *التنابذ بالألقاب* "ليبراليي فرض الضرائب وإنفاقها" إن هو إلا *استدرار لعطف القارئ*، وتشتيت لانتباهه عن المسألة الأساسية. لقد ارتكب الكاتب أغلوطة فى الاستدلال – الأغلوطة الشخصية، وكما هو الحال فى العديد من الأغاليط، النبز بالألقاب استدرار غير مشروع لعواطف القراء.

سوف يدربك هذا الفصل على تحديد الأغاليط.

سؤال نقدى: ***ما أغاليط الاستدلال؟***

انتبه: الأغلوطة "حيلة" استدلالية قد يستخدمها المؤلف إبان محاولته إقناعك بقبول نتيجته.

نهج سؤالى فى العثور على أغاليط استدلالية

ثمة أغاليط استدلالية عديدة، يمكن تصنيفها بطرق مختلفة. كثير منها شائع إلى حد أوجب حظوتها بمسميات خاصة. بمقدورك العثور على قوائم طويلة كثيرة للأغاليط فى عديد الكتب ومواقع شبكة المعلومات. لحسن الحظ، لا مدعاة لدرايتك بكل الأغاليط الشائعة وبأسمائها كى تتمكن من تحديدها. إذا طرحت الأسئلة المناسبة، سوف تعثر على أغاليط استدلالية – حتى إن لم تتمكن من معرفة أسمائها.

بهذا نكون تبنينا نهج توكيد استراتيجيات مساءلة الذات، بدلاً من تذكر قائمة طويلة تشتمل على كل أنواع الأغاليط. غير أننا نرى أن معرفة أسماء أكثر الأغاليط

شيوعًا يجعلك أكثر حساسية للأغاليط ويشكل "طريقة لغوية مختصرة" فى الإفصاح عن استجابتك لاستدلالات خاطئة إلى آخرين يألفون تلك الأسماء. لذا سوف نشير إلى أسماء الأغاليط إبان تحديد العمليات الاستدلالية المضللة، ونشجعك على تعلم أسماء الأغاليط الشائعة الواردة فى نهاية هذا الفصل.

سبق أن حددنا فى الجزء السابق إحدى الأغاليط: الحجة الشخصية. يمكنك أن تبدأ قائمتك الخاصة بالأغاليط بهذه الأغلوطة، التى نعرفها على النحو التالى:

الأغلوطة الشخصية: *هجوم على الشخص بدلاً من التعامل مباشرة مع مبرراته.*

تقويم الافتراضات نقطة بدء

إذا تسنى لك موضعة الافتراضات (انظر الفصلين الخامس والسادس)، خصوصًا الافتراضات الوصفية، فقد تسنى لك اكتساب مهارة أساسية تعين على تحديد الافتراضات المشكوك فى أمرها واكتشاف الأغاليط. كلما كان الافتراض أكثر عرضة للارتياب، كان أقل أهمية للاستدلال. بعض "المبررات" غير متعلقة بالنتيجة إلى حد يستوجب المصادرة على افتراضات باطلة كى تؤمن رابطًا منطقيًّا. مثل هذا الاستدلال أغلوطة، ويتوجب عليك رفضه فوراً.

فى الجزء التالى، تمارين على اكتشاف أغاليط أخرى. نقترح أن تتخذ الخطوات التفكيرية التالية فى موضعة الأغاليط:

١ – حدد النتيجة والمبررات.

٢ – تذكر النتيجة دائمًا واعتبر المبررات التى تقدر أنها تتعلق بها؛ قارن بين هذه المبررات ومبررات المؤلف.

٣ – حدد ما إذا كانت المبررات تقر مناقب أو مثالب محددة و/أو عينية؛ إذا لم يكن ذلك كذلك، فينبغى أن يشغلك أنه لم يكن كذلك.

٤ – حدد الافتراضات الضرورية بأن تسأل نفسك "لو كان المبرر صحيحًا، ما الذى يتوجب على المرء اعتقاده كى يسهم ذلك المبرر فى دعم النتيجة، وهل محتم على المرء أن يعتقد فى صدق المبرر؟"

٥ – اسأل نفسك "هل الافتراضات وجيهة؟" إذا استبين أن ثمة افتراضًا خاطئًا قد صودر عليه، فقد اكتشفت أغلوطة فى الاستدلال ولك أن ترفض هذا الاستدلال.

٦ – راجع إمكان أن يشتت الانتباه عن المبررات المهمة عبر عبارات تستدر عواطفك.

لتطبيق هذه العملية التى يتوجب عليك القيام بها لتقويم الافتراضات ولتلحظ من ثم الكثير من الأغاليط، سوف نفحص وجاهة الاستدلال الوارد فى النص التالى. سوف نبدأ بتشكيل البنية.

المسألة المتضمنة فى هذا التشريع ليست حقيقة مسألة ما إذا كان تعاطى الخمور ضارًا أو غير ضار بالصحة، بل ما إذا كان الكونجرس راغبًا فى جعل "وكالة الإعلام الفيدرالية" تتخذ قرارًا عشوائيًا يحظر الإعلان عن الخمور فى الراديو والتليفزيون. لو سمحنا لهذه الوكالة بذلك فيما يتعلق بالخمور، ما الذى سوف يمنعها من أن تقرر السنة المقبلة أن الحلوى ضارة بالصحة العامة لأنها تسبب البدانة، وتسوس الأسنان، ومشاكل صحية أخرى؟ ماذا عن الحليب والبيض؟ إن بها كميات كبيرة من الدهن الحيوانى ولا ريب أنها تسبب الكولسترول فى الدم، وتسهم وفق تقدير الكثيرين من الأخصائيين فى أمراض القلب. هل نرغب فى أن تكون الوكالة قادرة على حظر الإعلانات عن الحليب والبيض والزبدة والجيلاتى فى التليفزيون؟

نعلم أيضًا أنه لا إجراء تتخذه الحكومة الفيدرالية، مهما كان متطرفًا، يمكن أن يؤدى أو سوف يؤدى إلى الإحجام عن تعاطى الخمور كلية. إذا رغب الناس فى تعاطى المشروبات الروحية، سوف يجدون السبيل إلى ذلك.

النتيجة: ***يتوجب عدم السماح لوكالة الإعلام الفيدرالية بحظر إعلانات الخمور فى الراديو والتليفزيون.***

المبررات: ***١ - إذا سمحنا لوكالة الإعلام الفيدرالية بحظر الإعلانات فى الراديو والتليفزيون، سوف تقوم قريبًا بحظر الكثير من أنواع الإعلانات الأخرى، لأن كثيرًا من المنتجات تشكل مخاطر على الصحة العامة.***

٢- لا إجراء تتخذه الحكومة الفيدرالية يمكن أن يؤدى أو سوف يؤدى إلى الإحجام عن تعاطى الخمور كلية.

أولا، يجب أن نلحظ أن المبررين يشيرأن إلى مناقب بعينها تنجم عن الحظر - وهذه بداية جيدة. غير أن وجاهة المبرر الأول تتوقف على افتراض مضمر مفاده أننا إذا سمحنا باتخاذ إجراءات وفق مناقب حالة ما، سوف يستحيل إيقاف اتخاذ الإجراءات نفسها فى حالات مماثلة. هذا فى تقديرنا افتراض باطل لأننا نعتقد أن هناك الكثير من البنود فى نظامنا القانونى قادرة على إيقاف مثل هذه الإجراءات إذا اتضح أنه لا مسوغ لها. وفق هذا فإننا نحكم بعدم وجاهة هذا المبرر. إن مثل هذا الاستدلال مثال على أغلوطة المنزلق الحدر.

أغلوطة المنزلق الحدر: افتراض أن خطوات مقترحة سوف تسبب سلسلة من الحوادث المستهجنة والخارجة عن نطاق السيطرة، على الرغم من وجود إجراءات تحول دون وقوع مثل هذه السلسلة من الحوادث.

أهمية المبرر الثانى موضع شك لأنه حتى لو كان صحيحًا، فإن الافتراض - الهدف الأساسى من حظر الإعلان عن الخمور فى الراديو والتليفزيون *الكف كلية* عن *تعاطى الخمور* - الذى يربط بين المبرر والنتيجة، افتراض باطل. الهدف الأكثر احتمالاً هو *التقليل* من *تعاطى الخمور*. وفق هذا ننكر هذا المبرر. تسمى هذه الأغلوطة بأغلوطة البحث عن حلول كاملة،وهى تتخذ الشكل التالى: الحل "س" لا يستحق دعمنا ما لم يتسن له الخلاص من المشكلة كلية. إذا حدث أن عثرنا على حل كامل، وجب علينا تبنيه. لكن كون جزء من المشكلة سوف يظل على حاله بعد تطبيق حل ما لا يعنى أن هذا الحل تعوزه الحكمة. قد يكون تبنى حل بعينه أفضل بكثير من عدم تطبيق أى حل، فقد يقربنا من حل المشكلة نهائيًّا.

إذا انتظرنا الحصول على حلول نهائية، سوف نجد أنفسنا فى أغلب الأحيان مشلولين، عاجزين عن اتخاذ أى إجراء. التالى مثال آخر على هذه الأغلوطة: لماذا نحاول منع الناس من الوصول إلى مراكز الإجهاض الطبية فى الولايات المتحدة؟ حتى لو نجحنا فى ذلك، تظل النساء الراغبات فى إجهاض أجنتهن قادرات على السفر إلى أوربا لإجهاضها.

أغلوطة الحلول الكاملة: افتراض باطل مفاده أنه يتوجب عدم تبنى أى حل يبقى على جزء من المشكلة.

اكتشاف أغاليط استدلالية شائعة أخرى

سوف تقوم الآن بتمرينات على اكتشاف المزيد من الأغاليط الشائعة. حاول إبان قيامك بهذه التمرينات أن تفيد من التلميحات الخاصة بالأغاليط السالف ذكرها. ما إن تطور عادة اكتشاف الأغاليط، حتى يسهل عليك اكتشافها. يعرض كل تمرين استدلالاً يتضمن بعض الأغاليط. سوف نوضح لماذا نعتقد أن الاستدلال أغلوطى، ثم نسمى ونعرّف الأغلوطة.

تمرين ١

آن الأوان لجعل المارجوانا خيارًا للذين يعانون من آلام مبرحة مزمنة. إننا نصادق على المخدرات حين يصل المجتمع إلى إجماع حول قيمتها، وهناك الآن كما يتضح إجماع على مثل هذه المصادقة. يفيد استطلاع أجرى مؤخرًا أن ٧٣٪ يعتقدون فى وجوب السماح باستخدام المارجوانا لأسباب طبية. فضلاص على ذلك، هناك جمعية فى كاليفورنيا لمعالجة ضحايا الأيدز تدعم تدخين المارجوانا بديلاً طبيًا لمرضى الأيدز. لا أحد من خصوم تشريع استخدام المارجوانا لأسباب طبية أمضى ساعات طوال مع شخص يصرخ من الألم ويفضل الموت عليه.

أول خطوة لتحليل الأغاليط، عرض مخطط الحجة.

النتيجة: يتوجب *أن* يكون تدخين *المارجوانا* بديلاً *طبيًا*.

المبررات: ١ - *إننا* نصادق على *المخدرات* حين *يصل المجتمع إلى إجماع* حول قيمتها *الطبية*، وهناك *استطلاع أجرى* مؤخرًا يبين وجود *إجماع* على *المصادقة* على *استخدام المارجوانا* طبيًا.

٢ - *هناك* جميعة فى *كاليفورنيا* تدعم *استخدام المارجوانا الطبى*.

٣ - *لا أحد* من خصوم تشريع *استخدام المارجوانا لأسباب طبية أمضى* ساعات طوال مع شخص يصرخ من *الألم*.

أولا، يجب أن نلحظ أنه لا مبرر من هذه المبررات يشير إلى فوائد خاصة يتميز بها استخدام المارجوانا طبيًا. لذا يتوجب علينا الحذر منذ البداية. ثانيًا، إن نظرة أكثر تفحصًا على صياغة المبرر الأول تبين تغيرًا فى معنى حد أساسى، وهذا تغير يمارس حيلة علينا. معنى كلمة إجماع يتغير بحيث يبدو كما لو أن المؤلف قدم حجة

مهمة بينما لم يفعل. عادة ما يعنى الإجماع على المصادقة على مخدر ما إجماع البحاث العلميين على فوائد استخدامه، وهذا يختلف تمامًا عن الإجماع الناجم عن اتفاق الشعب الأمريكي فى استطلاع للآراء. هذا إذن مبرر تعوزه الوجاهة، ويتوجب من ثم رفضه. نسمى هذا الخطأ فى الاستدلال أغلوطة الاشتراك. أنى ما تجد كلمة أساسية فى حجة تستخدم أكثر من مرة، تأكد مما إذا كان معناها قد تغير؛ إذا تغير، فكن حذرًا من أغلوطة الاشتراك.

أغلوطة الاشتراك: كلمة أساسية تستخدم فى حجة بمعنيين أو أكثر بحيث تفقد الحجة وجاهتها حال ملاحظة التغير فى المعنى.

ولكن، على الرغم من أن هناك استخدامًا مضللاً لكلمة *إجماع*، ألا تظل نتائج الاستطلاع نفسها قادرة على دعم النتيجة؟ فقط إذا قبلنا الافتراض القائل إنه عندما يكون الحكم رائجًا، يتوجب أن يكون وجيهًا - وهذا افتراض باطل. غالبًا ما يحدث ألا يقوم الناس بدراسة المشكلة على نحو يكفل لهم إصدار حكم وجيه. احذر من الركون إلى الأحكام السائدة، أو العواطف الرائجة. نسمى هذا الخطأ فى الاستدلال أغلوطة اللجوء إلى الشيوع.

أغلوطة الشيوع: محاولة تسويغ زعم بالركون إلى عواطف شائعة بين الناس؛ افتراض أغلوطى مفاده أن كل ما تفضله قطاعات كبيرة من الناس حسن.

افحص الآن مبرر المؤلف الثانى. ما الافتراضات التى صادر عليها؟ لإثبات أن استخدام الماريجوانا طبيًا أمر مرغوب فيه، يركن *إلى سلطات* مشكوك *فى أمرها* - جمعية فى *كاليفورنيا*. لا يكون الموقف وجيهًا لمجرد أن هناك سلطات تدعمه. الأمر المهم فى تحديد أهمية مثل هذا الاستدلال هو الشواهد التى تستخدمها تلك السلطات فى إصدار حكمها. ما لم نعرف أن لدى هذه السلطات دراية خاصة بالمسألة، يتوجب اعتبار هذا المبرر أغلوطة. تسمى هذه الأغلوطة بأغلوطة الاحتكام إلى سلطات مشبوهة.

أغلوطة الاحتكام إلى سلطات مشبوهة. دعم نتيجة بالاستشهاد بسلطة ليست لديها خبرة خاصة بالمسألة المعنية.

دعونا الآن نفحص بعض الحجج المتعلقة بمسألة خلافية أخرى. هل يتوجب على الكونجرس المصادقة على برنامج تنمية ممول فيدراليا خاص بالأطفال يوفر مراكز حضانة لهم؟

التمرين ٢

أعارض برنامج التنمية الحكومى الخاص بالأطفال. أولاً، أنا مهتم بحماية الأطفال فى هذه البلاد. إنهم فى حاجة إلى الحماية من المخططين الاجتماعيين *والأيديولوجيين الأبرار فى أعين أنفسهم* الذين يتدخلون فى مسار الحياة ويأخذون الأطفال من أحضان أمهاتهم وأسرهم كى يجعلوهم بيادق فى مخطط شامل مصمم لإنتاج سعادة لا حدود لها خلال عقدين من الزمان. يتوجب أن يتنشأ الأطفال مع أمهاتهم، وليس مع طائفة من المتعهدين ومساعدى الممرضات. المسألة هى ما إذا كان يتوجب على الآباء أن يستمروا فى امتلاك حق تشكيل شخصيات أطفالهم، فى مقابل منح الدولة بكل قواها الأدوات والأساليب اللازمة لتشكيل شخصيات الصغار.

نبدأ بمخطط الحجة.

النتيجة: ***أعارض برنامج التنمية الحكومى الخاص بالأطفال.***

المبررات: ١ - ***الأطفال فى حاجة إلى الحماية من المخططين الاجتماعيين والأيديولوجيين الأبرار فى أعين أنفسهم الذين***

يتدخلون في مسار الحياة ويأخذون الأطفال من أحضان أمهاتهم وأسرهم.

٢ - يتوجب أن يمتلك الآباء لا الدولة حق تشكيل شخصيات أطفالهم.

بوصفنا قراء ومستمعين نقاداً، يتوجب أن نبحث عن حقائق محددة تتعلق بالبرنامج. هل تجد أية حقائق محددة فى المبرر الأول؟ لا. إن المبرر يحشد بعموميات غير محددة مشحونة عاطفيًّا، طبعنا بعضًا منها بخط مائل. عادة ما تثير مثل هذه الحدود عواطف سلبية، يأمل الكاتب أو المتحدث أن يربطها القراء أو المستمعون بالموقف الذى يعاديه. مرة أخرى، ينهمك الكاتب فى عملية تنابذ بالألقاب واستدرار للعواطف. استخدام كلمات سلبية مشحونة بالعواطف إنما يشتت انتباه القراء والمستمعين للحقائق.

مارس الكاتب علينا حيلاً متعددة. إنه يقر أن البرنامج "يأخذ الأطفال من أحضان أمهاتهم وأسرهم" وأن الأطفال سوف يكونون "بيادق فى مخطط شامل". وبطبيعة الحال، لا أحد يرغب فى حدوث ذلك للأطفال. غير أن السؤال المهم ما إذا كان البرنامج المقترح سوف يسبب كل ذلك. فى تقديرنا أن هذا غير محتمل.

يمارس الكاتب علينا حيلتين شائعتين، فبعد أن يستدر عطفنا باختياره ألفاظه، يشكل موقفًا يقوم بالهجوم عليه على الرغم من أنه ليس موقفًا واقعيًّا، ما يسهّل عليه استدراجنا لنتيجته. لقد صور رؤية الخصم فى شكل موقف "يسهل الهجوم عليه". الافتراض الباطل هنا أن الموقف الذى يتعرض للهجوم هو الموقف الذى يتبناه المشرع فعلاً. الدرس نسبة إلى المفكر الناقد هو: حين يهاجم شخص جوانب من موقف ما، تأكد دائمًا من أنه يعرضه بطريقة منصفة. إذا لم يقم بذلك، فقد ارتكب أغلوطة رجل القش.

رجل القش ليس رجلاً حقيقيًا؛ إنه شخص يسهل ضربه بالقاضية - كما هو حال الموقف الذى يتعرض للهجوم حين يرتكب المرء أغلوطة رجل القش. أفضل سبيل للتأكد من مدى إنصاف عرض الموقف هو التأكد من الحقائق المتعلقة بكل المواقف.

أغلوطة رجل القش: تشويه موقف الخصم على نحو يسهل الهجوم عليه؛ بحيث تهاجم وجهة نظر لا وجود حقيقى لها.

دعونا الآن نتقص المبرر الثانى. يقر الكاتب أنه إما لدى الأبوين حق تشكيل شخصية أطفالهم، أو يتوجب على الدولة الحصول على الأدوات الحاسمة. كى تصدق مثل هذه الجمل، يتوجب افتراض وجود بديلين لا ثالث لهما. غير أن هناك بدائل أخر. لقد اختلق الكاتب *إحراجًا زائفًا*. أليس بالإمكان أن يوجد برنامج تنمية خاص بالأطفال وأن تظل الأسر تحدث تأثيرًا قويًّا على أطفالها؟ احذر دومًا من معاملة المسائل الخلافية على اعتبار وجود بديلين لا ثالث لهما؛ فغالبًا ما يكون هناك أكثر من ذلك. حين يمعن المؤلف فى تبسيط المسألة عبر الاقتصار على ذكر بديلين، يسمى هذا الخطأ بأغلوطة «إما / أو» أو أغلوطة الإحراج الزائف. كى تعثر على أغاليط إما_أو، انتبه للتعبيرات التالية:

إما ... أو

البديل الوحيد هو

البديلان هما

لأن س لم تنجح، وحدها ص التى سوف تنجح

وجود مثل هذه التعبيرات لا يستلزم ضرورة وجود أغلوطة. أحيانًا لا يوجد سوى بديلين. هذه العبارات إنما تلفت انتباهك كى تسأل: "ولكن هل هناك أكثر من بديلين فى هذه الحالة؟"

هل تستطيع رؤية أغلوطة الإحراج الزائف فى الحوار التالى الذى جرى بعد بضعة أسابيع من الهجوم الإرهابى الذى حدث يوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١؟

مواطن: أعتقد أن الهجوم الإرهابى أدى إلى اتخاذ إجراءات وضعت قيوداً كثيرة على حقنا فى الخصوصية.

سياسى: لماذا تكره أمريكا؟

أغلوطة إما – أو (الإحراج الزائف): افتراض وجود بديلين لا ثالث لهما حال وجود أكثر من بديلين.

تشتمل الحجة التالية على أغلوطة أخرى تتضمن افتراضًا باطلاً. حاول تحديد الافتراض.

التمرين ٣

أستاذ جونز، ليس من المناسب أن تجرى امتحانات مفاجئة لطلبتك. إن ذلك يفرض عليك أعباء إضافية ويصيب الطلبة بالتوتر. يتوجب ألا يحتاج الطلبة إلى امتحانات مفاجئة تحثهم على الاستعداد لكل محاضرة.

تركن النصيحة الموجهة للأستاذ جونز إلى افتراض باطل كى يكون بمقدورها دعم النتيجة. وجوب أن يكون الشىء صحيحًا – يتوجب ألا يحتاج الطلبة إلى امتحانات مفاجئة تحثهم على الاستعداد لكل محاضرة – لا يضمن كونه صحيحاً. غالبًا ما يكون الواقع أو "ما هو كائن" مغايراً لما "يجب أن يكون".

ثمة مثال شائع آخر على هذا الاستدلال الخاطئ يحدث حال نقاش مقترحات فرض قيود حكومية. مثال ذلك، قد يجادل المرء ضد فرض قيود على الإعلانات أثناء برامج الأطفال بقوله إنه يتوجب على الآباء تغيير المحطة أو قفل التليفزيون إذا كان

الإعلان مضللاً. ربما يسلك الآباء في عالم مثالى على هذا النحو، غير أن كثيراً منهم أكثر انشغالاً من أن يراقبوا برامج الأطفال.

حين يتطلب الاستدلال منا افتراض أن ما نحسب وجوب حدوثه يناظر ما هو *واقع بالفعل أو سوف يقع*، فإنه يرتكب أغلوطة التفكير التمنوى. نأمل أن يوجه الواجب حدوثه سلوكنا. غير أن ملاحظات كثيرة تقنعنا بأن وجوب ألا تقوم الإعلانات والساسة والمؤلفون بتضليلنا لا يحمينا بذاته من تضليلهم المستمر لنا. العالم من حولنا محاكاة مشوهة للعالم كما يجب أن يكون.

التالى مثال أخير على التفكير التمنوى قد يبدو مألوفًا لديك.

يستحيل أن يكون اليوم يوم الخميس؛ فأنا لم أكمل بحثى بعد.

أغلوطة التفكير التمنوى: المصادرة على افتراض باطل مفاده: نتمنى لو كانت س صحيحة؛ إذن س صحيحة فعلاً.

ثمة خلط آخر يسبب خطأ فى الاستدلال غالبًا ما نواجهه إبان البحث عن تفسيرات. يتطلب التفسير تحليلاً لعلة وقوع الحدث. التفسير عمل مضن وغالبًا ما يختبر حدود معارفنا. حين يطلب منا تفسيراً، نغوى تكراراً بإخفاء جهلنا عبر تسمية ما حدث. بعد ذلك نفترض أننا بمعرفة الاسم عرفنا السبب.

إننا نقوم بذلك لأن التسمية تجعلنا نتوهم أننا حددنا شيئًا لدى الشخص، أو يختص به الشخص، يجعله يسلك وفقه. مثال ذلك، عوضًا عن تحديد جملة العوامل الخارجية والداخلية المركبة التى جعلت شخصًا ما يعبر عن غضبه، من قبيل ممارسات تعزيزية يقوم بها أبواه، عدم نومه، ضغوطات الحياة، نقول إن لديه "مزاجًا سيئًا" أو "أنه شخص عدائى". إن مثل هذه التفسيرات تسرف فى التبسيط وتحول دون بحثنا عن فهم أعمق.

التالى أمثلة يتوجب أن تثير انتباهك لهذه الأغلوطة:

١- تستجيب فتاة لإدمان أبيها على شرب الخمر بسؤال أمها، "لماذا يسلك أبى على هذا النحو الغريب؟"، فتجيب أمها "إنه يعانى من أزمات منتصف العمر".

٢- يبكى المريض فى كل مرة يسأله مرشده عن طفولته. عقب ذهاب المريض، يتساءل متدرب يراقب جلسة الإرشاد، "لماذا يبكى حين تسأله عن سنين طفولته؟"، فيجيب المرشد "إنه يعانى من عصاب ذهنى".

تخفق هاتان الاستجابتان فى تفسير ما حدث. ربما تؤمّن مورثات الأب، ضغوطات العمل، المشاكل الزوجية، أو عادات التدريب أساسًا لتفسير الإدمان على الخمر. غير أن "أزمات منتصف العمر" ليست تفسيراً غير مناسب فحسب، بل مضلل. نتوهم أننا عرفنا علة الإدمان، لكننا لم نعرف.

انتبه لهذا الخطأ حين يزعم الناس أنهم اكتشفوا سبب السلوك بينما اقتصروا فحسب على تسميته.

أغلوطة التفسير بالتسمية: المصادرة على افتراض باطل مفاده أن تسمية الواقعة أو السلوك تكفل تفسيره تفسيراً مناسبًا.

البحث عن مشتتات الانتباه

إبان البحث عن الأغاليط، سوف تفيد من الاهتمام بشكل خاص من الاستدلال الذى يستخدمه المؤلف والذى يشتت *انتباهك* عن أهم المبررات. مثال ذلك، قد تضللك أغلوطة النبز بالألقاب والأغلوطة الشخصية عبر توجيه انتباهك إلى طبيعة الشخص وتشتيته عن المبررات المشروعة. فى هذا الجزء نعرض تمارين توضح أغاليط يرجح اكتشافها حال طرح السؤال: هل احتال علينا المؤلف بتشتيت انتباهنا.

التمرين ٤

خطبة سياسية: فى الانتخابات القادمة، سوف تتاح لكم فرصة التصويت لامرأة تمثل مستقبل هذه الأمة العظيمة، امرأة ناضلت من أجل الديمقراطية ودافعت عن العلم الأمريكى، امرأة حاسمة فى قراراتها، واثقة من الحلم الأمريكى وشجاعة فى السعى وراءه. هذه امرأة حريصة تدعم الأطفال والبيئة وتسهم فى توجه هذه البلاد شطر السلام والازدهار والحرية. إن الصوت الذى يذهب إلى السيدة جودهارت صوت للحق والرؤية والصالح العام.

تستطيع دون ما حاجة إلى عرض مخطط بنية الاستدلال أن ترى كيف أن الحجة تفشل فى تأمين أية معلومات محددة عن ماضى المرشحة، بل تعرض سلسلة من *الألفاظ القيمية* التى ترتبط بعواطف إيجابية مكرسة. نسمى هذه الألفاظ القيمية بـ "التعميمات البراقة" لأنها تحوز مثل هذه التداعيات الإيجابية وعامة إلى حد يجعلها تعنى للقارئ ما يريد لها أن تعنيه. تقودنا العموميات البراقة إلى قبول أو المصادقة على نتيجة دون تقصى المبررات المهمة، الشواهد، أو أية مناقب أو مثالب محددة. العموميات البراقة شبيهة بالنبز المعكوس، لأن الأخير يروم جعلنا نشكل حكمًا سلبيًا دون تقصى الشواهد. استخدام الألفاظ القيمية خدعة شائعة يستخدمها الساسة لأنها تشتت انتباه القارئ أو المستمع عن مسلكيات أو سياسات محددة، يسهل عليها إثارة الاختلاف.

العموميات البراقة: استخدام كلمات قيمية غامضة لكنها مغرية عاطفيًا تجعلنا ننزع إلى المصادقة على شىء دون فحص دقيق لمبرراته.

دعونا نفحص أداة تشتيتية شائعة أخرى.

التمرين ٥

لا أفهم كيف يستمر الناس فى الجدل بأن السيارات اليابانية أفضل من الأمريكية. يكفيك أن تقارن إنجازات الاقتصاد اليابانى بإنجازات الاقتصاد الأمريكى. لقد عانى اليابانيون ثلاثة أعوام من التردى الاقتصادى، فيما حظينا بثلاثة أعوام من الازدهار الاقتصادى.

ما المسألة الحقيقية؟ أيهما أفضل، السيارة اليابانية أو السيارة الأمريكية؟ ولكن، ما لم يكن القارئ حريصًا، سوف يخوض بدلاً من ذلك فى مسألة إنجازات الاقتصاد اليابانى والاقتصاد الأمريكى. إذا حدث ذلك، فقد نجح الكاتب فى تشتيت انتباه القارئ شطر مسألة أخرى. حين يشتت الكاتب أو المتحدث انتباهنا عن المسألة، نستطيع القول إنه صرف *الانتباه* عن مسار الحجة. كثير منا يقوم بذلك، كما فى المثال التالى:

الأم: لماذا تأخرت ساعة عن العشاء، فى حين طلبت منك أن تعودى فى الموعد؟

الابنة: أنت دائمًا تترصدين اللمم (الأخطاء البسيطة).

إذا نجحت الابنة فى مسعاها لتشتيت انتباه أمها، سوف تصبح المسألة ما إذا كانت الأم تترصد أخطاء ابنتها، وليس علة تأخر الابنة.

لن تجد فى العادة صعوبة فى موضعة أغلوطة صرف الانتباه طالما أبقيت المسألة الحقيقة ماثلة فى ذهنك، وكذا شأن الشواهد اللازمة لحسمها.

أغلوطة صرف الانتباه: يعرض موضوع غير متعلق بموضوع النقاش لتشتيت الانتباه عنه و"لكسب" الجدل بتغيير مسار الانتباه إلى مسألة أخرى. تتم خطوات الأغلوطة على النحو التالى: يناقش الموضوع س؛ يعرض ص على أنه متعلق بـ ص، على الرغم من أنه ليس كذلك؛ يتم التخلى عن س.

إن مثل هذا الضرب من الاستدلال أغلوطى لأن مجرد تغيير موضوع النقاش لا يشكل حجة ضد الزعم المعنى.

خفة اليد: المصادرة علي المطلوب

الحيلة الأخيرة التى سوف نقوم بتوضيحها حيلة مضللة بوجه خاص. أحيانًا يتم توظيف النتيجة فى دعم نفسها، بحيث لا يطول التغيير إلا الصياغة، وذلك فى محاولة لتضليل السذج. مثال ذلك، من يجادل بأن الانسحاب من الدراسة *أمر* غير مرغوب فيه لأنه سيئ، لا يجادل فى واقع الأمر بشىء. ذلك أن النتيجة إنما "تثبت" بالنتيجة نفسها (بعد أن أعيدت صياغتها). مثل هذه الحجج *تصادر على المطلوب*، ولا تجيب عن المسألة. دعونا نفحص مثالاً أقل وضوحاً.

يستبان أن كتب التعليم المبرمج الدراسية أفضل من الكتب الدراسية التقليدية من حيث كفاءة التعلم، لأن للاحتياز على مواد تعرض بطريقة الخطوة - خطوة فوائد جمة.

مرة أخرى، المبرر الذى يدعم النتيجة إنما يعبر عنها بكلمات مختلفة. بالتعريف، التعلم المبرمج إجراء خطوة - خطوة. إن الكاتب يجادل بأن هذا الإجراء جيد لأنه جيد. قد يشير المبرر الوجيه إلى فوائد محددة يتسم بها التعليم المبرمج، من قبيل تأمين قدرة أعظم على الاحتفاظ بالمعلومات التى يتم تعلمها.

أنَّى ما *افترضت* النتيجة فى الاستدلال، فيما توجب إثباتها، تقع مصادرة على المطلوب. حين تحدد بنية الحجة، افحص المبررات للتأكد من أنها لا تقتصر على إعادة صياغة النتيجة ومن أن النتيجة لا تستخدم فى إثبات المبررات. إذا اختلط عليك الأمر، فقد تفيد من المثالين التاليين، حيث يصادر على المطلوب فى أحدهما ولا يصادر عليه فى الآخر.

١ – السماح للصحافة بالاحتفاظ بسرية مصادرها أمر مفيد كثيراً للبلاد لأنه يشجع الأفراد على الإدلاء بشهادات ضد أصحاب النفوذ.

٢– السماح للصحافة بالاحتفاظ بسرية مصادرها أمر مفيد كثيرا للبلاد لأن تمتع الأفراد بامتياز تأمين معلومات للصحافة دون الإعلان عن أسمائهم يعزز مصالح المجتمع الأكبر.

الفقرة الثانية تصادر على المطلوب عبر تكرار النتيجة. إنها تفشل فى تحديد المناقب وتقتصر على تكرار أن سرية المصادر مفيد للمجتمع.

أغلوطة المصادرة على المطلوب: حجة تفترض فيها النتيجة فى المبررات.

استخدام السؤال النقدى

حين تعثر على أغلوطة، فقد عثرت على أساس لرفض الحجة. ولكنك ترغب، انسجامًا مع روح التفكير الناقد البناء، فى مواصلة نقاش المسألة. لسوء الحظ، مؤلف الكتاب أو المقالة ليس ماثلاً أمامك كى يكمل النقاش. فى حالة ارتكاب الأغلوطة فى حجة شفوية، أفضل طريقة لاستمرار المحادثة أن تسأل مرتكب الأغلوطة ما إذا كان لديه مبرر أفضل لدعم النتيجة. مثال ذلك، إذا ارتكب أغلوطة صرف الانتباه، اسأله إذا كان بمقدوره الرجوع إلى المسألة الأصلية.

تلخيص أخطاء الاستدلال

استخدمنا عدة تمارين فى توضيح عدة سبل يمكن أن يخطئ الاستدلال وفقها. لم نأت على ذكر كل السبل، لكننا عرضنا ما يكفى لبداية جيدة. لقد احتفظنا بأغاليط أخرى لفصول لاحقة لأنه يرجح أن تعثر عليها حين تركز على السؤال المحدد فى كل فصل. حين تواجه أغلوطة جديدة، تأكد من تضمينها فى القائمة.

للعثور على أغاليط الاستدلال، تذكر دائمًا أنواع المبررات التي تعد وجيهة – أي الشواهد والمبادئ الأخلاقية المتعلقة بالمسألة. يتوجب رفض الاستدلال حال اكتشاف افتراضات خاطئة، تشتيت الانتباه، أو دعم نتيجة يفترض صدقها. ينبغي مقاربة الاستدلال بحرص حال ركونه إلى مواقف تصادق عليها جماعة أو سلطة ما. يتوجب أن تسأل دومًا "هل ثمة مبررات وجيهة لاعتبار مثل هذا الركون شاهدًا مقنعًا؟" هناك تنبيه مهم آخر: لا ترفض الاستدلال تلقائيًّا لمجرد أنه يركن إلى سلطة أو موقف تصادق عليها جماعة ما. قوّم بحرص مثل هذا الاستدلال. مثال ذلك، إذا قرر معظم أطباء البلاد القيام بتمارين بدنية، فإن هذه المعلومة مفيدة في إقرار ما إذا كانت التمارين البدنية مفيدة. بعض السلطات تحوز بالفعل معلومات قيمة. بسبب أهميتها مصدرًا للشواهد، سوف نناقش بالتفصيل الركون إلى السلطة في الفصل التالي.

مفاتيح موضعة أغاليط الاستدلال وتقويمها

يتوجب عليك رفض الاستدلال إذا كان المؤلف:

١ - يهاجم شخصًا أو يهاجم خلفيته، عوضًا عن أفكاره.

٢ - يستخدم استدلال المنحدر الزلق.

٣ - يشي بالبحث عن حلول كاملة.

٤ - يرتكب أغلوطة الاشتراك.

٥ - يركن بطريقة غير مناسبة إلى آراء سائدة.

٦ - يركن إلى سلطات مشبوهة.

٧ - يعرض إحراجا زائفا.

٨ - يفكر بطريقة تمنوية.

٩ - يفسر بالتسمية.

١٠- يشتت الانتباه عن المسألة.

١١ - يصرف الانتباه عبر عموميات براقة.

١٢ - يصادر على المطلوب.

تعميق الدراية بالأغاليط

ننصح بمراجعة كتب دراسية ومواقع على شبكة المعلومات لتعميق وعيك وفهمك للأغاليط الاستدلالية. كتاب دامر ***Attacking (Damer) Faulty Reasoning*** مصدر مفيد في جعلك تكون أكثر ألفة بالأغاليط الاستدلالية. عشرات من قوائم الأغاليط توجد في الشبكة، تختلف كثيراً من حيث قيمتها. المواقع القليلة التالية توفر أوصافًا وأمثلة على العديد من الأغاليط.

The Nizkor Project: Fallacies

http://www.nizkor.org/features/fallacies/

The Fallacy Zoo by Brian Yoder (list of basic fallacies with examples)

http://www.primenet.com/~byoder/fallazoo.htm

The Fallacy by Gary Curtis

http://gncurtis.home.texas.net/index.html

Stephen's Guide to the Logical Fallacies

http://www.datanataion.com/fallacies/

الأغاليط وأسلوبك فى الكتابة والتحدث

حين تكتب أو تتحدث، فإنك تخوض فى عمليات استدلالية. إذا كان هدفك عرض حجة وجيهة، لا ترغب فيها فى ممارسة أية حيل على القارئ كى يتفق معك، يتوجب عليك تجنب ارتكاب أية أغاليط استدلالية. الوعى بالأخطاء التى يمكن أن يقع فيها الكتّاب توضح لك المحاذير التى يتوجب عليك الانتباه إليها حين تشكل حججك. يمكنك تجنب الأغاليط بمراجعة افتراضاتك بحرص شديد، وتذكر أن معظم المسائل الخلافية تشترط عرض مناقب ومثالب محددة، مع الاحتفاظ بقائمة مرجعية للأغاليط الاستدلالية الممكنة.

تمارين تطبيقية

سؤال نقدى: ***هل هناك أية أغاليط فى الاستدلال؟***

حاول تحديد أغاليط الاستدلال فى كل من النصوص الثلاثة التالية.

النص ١

تجاوز كبير الأطباء اختصاصاته حين أوصى بتدريس الثقافة الجنسية فى المستوى الثالث من التعليم الابتدائى. يستبان أنه

ضحية أخرى لهستيريا الأيدز التى تنتاب الأمة. لسوء الحظ، أن إعلانه المتأثر بالإعلام بث الروح فى أشياع الثقافة الجنسية - على الرغم من أنه يلحق الضرر بأطفال الأمة.

كانت الثقافة الجنسية حكرًا على الأسرة، فلم تفرض على الصغار إلا مؤخرًا. غير أن توصية كبير الأطباء تلغى دور الأسرة كلية. يتوجب أن يقوم الآباء بشرح الجنس لأبنائهم على نحو يناسبهم. الثقافة الجنسية، حين لا تشرف عليها الأسرة، تصبح مجردة من القيم وأى حس بالأخلاق، ولذا يتوجب تثبيطها. لسنوات اضطلعت الأسر بمسئولية الثقافة الجنسية، ويتوجب أن تستمر بذلك.

الثقافة الجنسية تشجع التجريب. لدى الصغار فضول، وتعرضهم لأسرار الجنس فى سن مبكرة يشجع على الاتصالات الجنسية غير المشروعة. النقاش الصريح للجنس يحرج الأطفال، ويقوض حياء الإناث الفطرى.

النص ٢

ساندرا: لا أفهم لماذا تعارض السماح ببيع الجعة فى منتدى الطلبة الجامعى. كل استطلاعات آراء الطلبة تبين أن ٨٠٪ يناصرون هذا المقترح.

جو: متوقع منك أن تناصرى بيع كل أنواع المشروبات الروحية فى كل وقت وفى كل مكان، فأنت من أكبر مدمنى الكحوليات فى الجامعة.

النص ٣

بل: يجب اعتبار الدول التى تؤوى الإرهابيين الراغبين فى تدمير الولايات المتحدة أعداء للولايات المتحدة. كل دولة لا تسلم الإرهابيين لنظام العدالة الأمريكى إنما تقف فى صفهم. هذا يعنى أن قادة هذه الدول لا يرغبون فى القصاص من الإرهابيين ويكرسون جهودهم للتستر على القتلة، المغتصبين، اللصوص، والمعادين للديمقراطية.

تايلور: هذا هو نوع الحجة الذى أتوقعه من شخص لديه أقارب يعملون فى وكالة المخابرات الأمريكية. يبدو لى أنه ما إن تبدأ فى وصف الدول التى لا توافق على سياسية أمريكا بالأعداء، حتى تنتهى باعتبار كل الدول تقريبًا أعداء لها، بحيث نبقى دون حلفاء.

بل: إذا كان ذلك كذلك، فهذا وضع سيىء. أمريكا تدافع عن الحرية، والديمقراطية، والحقيقة، ولذا فإن لها أن تعادى العالم. فضلاً على ذلك، يتوجب أن تكون الولايات المتحدة قادرة على إقناع الدول المعادية لها بخطأ مسلكها لأن معتقداتنا تنهض على أسس دينية راسخة.

تايلور: هل تعتقد حقيقة أن معظم المتدينين يناصرون الحرب؟ لقد بين استفتاء أجرته جالوب أن ٧٥٪ من المتدينين لا يعتقدون فى وجوب شن حرب على الدول التى تؤوى الإرهابيين.

بل: أعتقد أن فى هذا مبالغة. كم عدد الذين استطلعت آراؤهم؟

تايلور: لست متأكدًا. ولكن دعنا نعد إلى المسألة الأصلية. أكبر

مشكلة تواجه اتخاذ موقف صارم من الدول التى تؤوى الإرهابيين إنما تتعين فى أن مثل هذه السياسة لن تقضى على الإرهاب فى العالم.

بل: لماذا تستمر فى دعم الإرهابيين؟ لقد كنت أحسب أنك وطنى. ثم إن هذه دولة ديمقراطية، ومعظم الأمريكيين يتفقون معى.

عينات من الأجوبة:

النص ١

النتيجة: يجب عدم تدريس *الثقافة الجنسية فى المدارس.*

المبررات: ١ - *يشى تقرير كبير الأطباء بأنه أصيب بنوبة هستيريا.*

٢- هذه مسئولية الآباء.

٣ - الثقافة الجنسية تشجع على الاتصالات الجنسية.

يبدأ المؤلف حجته بالهجوم على كبير الأطباء بدلاً من نقاش المسألة. إنه يزعم أن التوصية نتاج مصاحب لهستيريا الأيدز وليست نتاج بحث مكثف. اقتراح المؤلف أن كبير الأطباء يصدر تقارير تستجيب لمواضيع إعلامية ساخنة اقتراح يقوض مصداقيته ويشوه سمعته، ولذا فإن المؤلف يرتكب الأغلوطة *الشخصية.*

مبرره الثانى يخلط بين "ما هو كائن" بـ "ما ينبغى أن يكون". وجوب أن يكون الآباء مسئولين عن الثقافة الجنسية لا يستلزم أنهم يؤمّنون بالفعل هذه الثقافة.

المبرر الثالث يعرض إحراجًا زائفًا - إما الإبقاء على الثقافة الجنسية خارج المدارس أو مواجهة أطفال منحلين أخلاقيًّا لا يلتزمون بالقيم. ولكن أليس بالإمكان أن يكون الأطفال منحلين أخلاقيًّا حتى حال اضطلاع الآباء بمسئولية تثقيفهم جنسيًّا؟ أليس بالإمكان أن تقوم المدرسة والبيت معًا بدور فى التثقيف الجنسى؟ أليس بالإمكان أن تنتج الثقافة الجنسية أطفالاً مهيئين للتعامل مع مسألة الجنس فى حياتهم عوضًا عن جانحين قاصرين أخلاقيًّا؟

النص ٢

نتيجة ساندرا: *يتوجب السماح ببيع الجعة فى منتدى الطلبة.*

مبرر ساندرا: *معظم الطلبة يناصرون الفكرة.*

نتيجة جو: *ينبغى عدم السماح ببيع الجعة فى منتدى الطلبة (نتيجة مضمرة)*

مبرر جو: *يجب عدم الاستماع لحجة ساندرا لأنها مدمنة على الخمر.*

يرتكب كل من ساندرا وجو أغاليط فى حجتيهما. تؤسس ساندرا حجتها على رأى أغلبية الطلبة الذى يقر وجوب بيع الجعة فى المنتدى الطلابى. إنها تصادر على افتراض باطل مفاده أن المسلك يكون مناسبًا حين يحظى بموافقة الأغلبية. قد يكون الطلبة أنصارًا للمقترح، لكنهم ربما لم يهتموا كثيرًا بمناقب ومثالب جعل الجعة ميسرة.

يرتكب جو أغلوطتين فى حجته الموجزة. أولا، يشن هجومًا شخصيًّا على ساندرا، عوضًا عن التعامل مع استدلالها. إدمان ساندرا المزعوم ليس محل النقاش. إنها تؤمّن مبررًا لبيع الجعة فى المنتدى؛ لكن جو يتغاضى عن هذا المبرر ويقوم عوضًا

عن ذلك بالهجوم عليها. ثانيًا، يرد جو على رجل قش حين يهاجم موقفًا متطرفًا لم تتبناه. إن ساندرا لم تقم إطلاقًا بالدفاع عن شرب الكحول دون قيود.

ملخص السؤال الناقد

مكمن أهمية هذا السؤال

هل هناك أية أغاليط فى الاستدلال؟

بعد أن تعين المبررات، حدد ما إذا كان المؤلف قد استخدم أية حيل استدلالية. إذا عثرت على أغلوطة فى الاستدلال، فإن هذا المبرر يفشل فى توفير دعم مناسب للنتيجة. وفق ذلك، لا تقبل نتيجة المؤلف تأسيسًا على ذلك المبرر. إذا لم يؤمّن المؤلف مبررات وجيهة، لا تقبل نتيجته. لذا فإن البحث عن أغاليط خطوة مهمة أخرى فى تحديد ما إذا كنت سوف تقبل نتيجة المؤلف.

مختارات من أسئلة الموقع الخاص بالكتاب

هدد الأغاليط.

١ - الموقع الذى أعمل به ردىء نسبة إلى مواقع أخرى. لماذا؟ أولاً، رئيسى فى العمل معتوه. إنه غبى حقًا، وليست لديه أية فكرة عن إدارة المحل. أيضا، فإن طبيعة العمل نفسه سيئة. يتوجب علينا مسح الأرض، إعادة تنظيم الأرفف، وغسل النوافذ كل يوم، ولمدة ثمان ساعات يوميًا. يستحيل أن تقوم المحلات الأخرى بشىء من هذا القبيل. فضلاً على ذلك، يحظى بعض العمال بمعاملة خاصة. أعرف أن أنجيلا تحصل على أجر أكبر بكثير من أجى، ولعلها تقدم خدمات إضافية لرئيس العمل.

٥ - كلما زادت نفقات التعليم، تحسنت نوعيته. المدارس التى توصف بأنها متفوقة لأنها تدرس كتبًا ترقى إلى المستوى الجامعى هى المدارس الأغلى ثمنًا. وفق ذلك، عليك أن تدفع أكثر أو تحصل على تعليم أدنى. نفقات التعليم الأغلى تسمح بدفع مرتبات أعلى للأساتذة. إذا لم يرض الأستاذ عن مرتبه، سوف يتدنى مستوى التعليم. يشير "اتحاد المدرسين الأمريكية" إلى أن عضو هيئة التدريس الذى يشعر بالرضا يحصل عادة على تقدير امتياز من قبل المشرفين عليه. مفاد الأمر أن دفع نفقات تعليم أعلى فى صالح الطالب. الطلبة الذين يعترضون على ذلك تنقصهم بعض المعلومات. نعلم جميعًا أنه بقدر ما تدفع بقدر ما تجنى نفعًا.

٦ - سوف تفيد الرياضة الاحترافية كثيراً من اشتراط قيام الحكام بدراسة إعادة عرض فورية للتحركات الخلافية. إن استخدام هذه التقنية سوف يحسن مستوى الألعاب لأنه سوف يسعد عدداً أكبر من الجمهور. إنهم يطالبون باستحداث هذا التعديل. فضلاً على ذلك، سوف يقل عدد الشكاوى فى حال استخدام إعادة العرض الفورية. وأخيراً، فإن ذلك يجعل الرياضة أكثر احترافية.

الفصل الثامن

وجاهة الشواهد: الحدس، الخبرة، الشهادة الشخصية، واللجوء إلى السلطة



تسنى لكم فى الفصل السابق إحراز خطوة كبيرة نحو عملية تقويم الحجاج المقنع بمعرفة كيفية الكشف عن بعض مغالطات الاستدلال. من هنا سيتمحور اهتمامنا فى الفصول القادمة بعملية التقويم من خلال معرفة طرح الأسئلة الناقدة التى تتعلق بجزء بعينه من بنية الاستدلال: المزاعم المتعلقة "بالوقائع". *لننظر فى مثال على مثل هذه المزاعم:*

- *تناول خبز الشعير يقلل مخاطر السرطان.*
- *عقوبة الإعدام تردع الجريمة.*
- *لم يعد الحرم الجامعى آمنًا، فقد نشرت مجلة التايم تقريرًا مفاده زيادة حالات الاعتداء فى الحرم الجامعى بنسبة ١٠٪ خلال الأعوام الثلاثة الماضية.*

ماذا عسانا نصنع بهذه المزاعم الثلاثة؟ أتراها مشروعة؟ تتضمن معظم الاستدلالات مزاعم من هذا القبيل.

فى الفصل الراهن، سنبدأ عملية تقويم مثل هذا النمط من الاستدلالات.

سؤال نقدى: ***ما قدر وجاهة الشواهد: الحدس، الخبرة الشخصية، الشهادة، واللجوء إلى السلطة؟***

الحاجة إلى الشواهد

تتضمن معظم الاستدلالات التى نعرض لها اعتقادات تتعلق بالحالة التى كان أو يكون أو سوف يكون عليها العالم، ويرغب صاحب المقال منا أن نقبل "الوقائع". وقد

تتمثل تلك الاعتقادات فى صورة نتائج، أو استدلالات، أو افتراضات. يمكن أن نطلق على هذه المعتقدات اسم المزاعم الوقائعية.

السؤال الأول الذى يجب عليك أن تطرحه بخصوص المزاعم الوقائعية هو: "ما الذى يحملنى على تصديقها؟".

السؤال الثانى الذى يتعين عليك طرحه هو: "هل يحتاج ذلك الزعم المتضمن إلى شاهد مساند؟" إذا لم يكن هناك شاهد، فإن الزعم يكون مجرد زعم، وهنا يتعين علينا أن نرتاب بقوة فى موثوقية الأحكام التى لا تشكل سوى مزاعم.

أما إذا تضمن الاستدلال شاهداً، فسؤالك التالى سيكون: "ما قدر وجاهة ذلك الشاهد؟"

ولكى نقوّم شاهداً بعينه، يتعين علينا أن نتذكر أن المزاعم الوقائعية تتفاوت من حيث درجة قبولها. مثال ذلك، قد تشعر بأنك متيقن تماماً من صدق الزعم القائل: "معظم أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكى من الرجال"، لكنك أقل يقيناً من صدق الزعم القائل "تناول الخبز المصنوع من الشعير يقلل خطر الإصابة بالنوبات القلبية".

وحيث إنه من العسير جداً، إن لم يكن من المستحيل، إثبات الصدق أو الكذب *المطلق* لمعظم المزاعم، فإننا عوضاً عن السؤال عن مصداقيتها، من الأفضل أن نسأل ما إذا كانت جديرة *بالثقة*. إننا نرغب أساساً فى أن نسأل "هل يمكننا أن نعتمد على هذه الاعتقادات؟"، وكلما زاد كيف وكم الشواهد المساندة للزعم، تضاعف إمكان اعتمادنا عليه، وزادت درجة إمكان أن نطلق على هذا الزعم "واقعة".

على سبيل المثال، تتوافر لدينا شواهد كثيرة على أن هناك إرهابيين اختطفوا الطائرات التى اصطدمت بمركز التجارة العالمى فى الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ من هنا نستطيع أن نطلق على المزاعم السابقة اسم "واقعة". من ناحية أخرى، تتوافر لدينا شواهد متعارضة على الاعتقاد بأن "الجنسية المثلية سلوك مكتسب"، ولذا فإننا لا نستطيع أن نعد هذا الاعتقاد واقعة. ويكمن الاختلاف الجوهرى بين المزاعم التى

تتكون من مجرد آراء وتلك التى توسم بالوقائع فى توفر الشواهد المناسبة. فكلما زاد عدد الشواهد المساندة للاعتقاد، ارتفعت درجة اعتباره "وقائعيًّا".

وقبل أن نحكم على درجة إقناع مقال معين، فإننا نرغب فى معرفة أى المزاعم الوقائعية أكثر موثوقية. ولكن كيف نحدد الموثوقية؟ تتمثل الإجابة فى طرح أسئلة من قبيل:

ما الإثبات؟ كيف تعرف أنه صحيح؟

أين الشواهد؟ لماذا تعتقد ذلك؟

هل أنت متيقن من صدقها؟ هل تستطيع إثباتها؟

سوف تصبح على الطريق الصحيح ضمن أفضل المفكرين الناقدين عندما تنمى عادة طرح مثل هذه الأسئلة بصورة منتظمة. تتطلب هذه الأسئلة من مقدمى الحجج أن يكونوا على قدر من المسئولية وذلك بالكشف عن الأسس التى ترتكن إليها حججهم. وعلى صاحب أى حجة ألا يتردد فى الإجابة عن الأسئلة التى تطرحها عليه. إن أصحاب الحجج يعرفون أن لديهم دعمًا قويًا لمزاعمهم، ويرغبون من ثم فى أن يشاركوا الآخرين فى التعرف على شواهدهم أملاً فى أن يشاركوهم التسليم بنتائجهم. وعند طرح هذه الأسئلة بصورة منتظمة، سنلاحظ أن العديد من الاعتقادات تعوزها الشواهد الكافية التى تؤيدها أو تفندها بصورة جلية. فعلى سبيل المثال، هناك العديد من الشواهد التى تؤيد الزعم بأن تعاطى حبة أسبرين يومًا بعد يوم يقلل من خطر الإصابة بالنوبات القلبية، غير أن ثمة شواهد أخرى تعارض ذلك الزعم. فى مثل هذه الحالات، نحتاج إلى إصدار أحكام تتعلق برجحان شاهد على آخر حتى نقرر مدى موثوقية الزعم الوقائعى.

يتطلب القيام بمثل هذا الحكم أن نطرح السؤال المهم، "ما قدر جودة الشواهد؟" تركز الفصول الثلاثة القادمة على الأسئلة التى يجب أن نطرحها لكى نقرر مدى تأييد

أصحاب المقالات لمزاعمهم الوقائعية. وكلما ازدادت موثوقية المزاعم الوقائعية، توجب أن تزداد درجة اقناع الاستدلالات.

تحديد المزاعم الوقائعية

نصادف المزاعم الوقائعية فى صورة (أ) نتائج وصفية، (ب) مبررات تؤيد تلك النتائج الوصفية أو الفرضية، أو (ج) افتراضات وصفية. دعونا نفحص مثالاً متضمنًا فى إطار حجج قصيرة يوضح الحالات السابقة.

(أ) قد تساهم الحمية الغذائية فى نمو الاضطرابات الغذائية. لقد اكتشف باحثون قاموا بدراسة تاريخ الحمية الغذائية وشدة فترات النهم فى التهام الطعام لدى ١١١ امرأة انخرطن فى برنامج علاجى خاص بالاضطرابات الغذائية، أن ٦٠٪ منهن قررن أن أول مرة تناولن الطعام بنهم كانت عقب بدء محاولاتهن القيام بالحمية الغذائية.

لاحظ أن فرضية "الحمية الغذائية قد تسهم فى نمو الاضطرابات الغذائية" زعم وقائعى يتخذ صورة نتيجة وصفية مدعومة بالشواهد البحثية. فى هذه الحالة، نرغب فى أن نسأل "هل تبرر الشواهد تلك النتيجة (الزعم الوقائعى)؟".

(ب) يجب علينا أن نخفض أعداد الطلبة فى الفصول الدراسية فى جامعاتنا، فالفصول الكبيرة، وفق إحصاءات حكومية حديثة، تؤدى إلى اغتراب أكبر لدى الطلبة.

لاحظ أن الزعم الوقائعى هنا هو التعميم بأن "الفصول الدراسية الكبيرة تؤدى إلى اغتراب أكبر لدى الطلاب"، حيث يقدم هذا الزعم تبريرًا للنتيجة الوصفية السابقة. فى مثل هذه الحالات، علينا أن نسأل، "هل ذلك التبرير (الزعم الوقائعى) مؤيد من قبل الشواهد؟

(ت) لا يمكننا السماح بالمزيد من المهاجرين فى هذا البلد. إن العدد الأكبر من المهاجرين – أكثر من ستة ونصف مليون – استوطنوا كاليفورنيا ويكلفونها وحدها ما يقدر بثلاثة ملايين دولار سنويًّا فى صورة نفقات صحية، وتعليمية، وخدمات عامة أخرى. (نحن أمام افتراض غير محدد يربط التبرير بالنتيجة: *فالتأثير الإيجابى للمهاجرين على الاقتصاد*، من *خلال خلقه منافع أخرى كإيجاد فرص عمل جديدة* ودفع *الضرائب، أقل* بدرجة كبيرة من *التكلفة*).

لاحظ أن هذا الزعم الوقائعى يمثل افتراضًا وصفيًّا، قد يكون أو لا يكون جديراً بالثقة. وقبل أن نعتقد فى صدق الافتراض، ومن ثم التبرير، ينبغى أن نسأل، "هل تؤيد الشواهد الافتراض تأييداً قويًا؟" سوف تكتشف أنه فى الوقت الذى يدرك بعض أصحاب المقالات أهمية دعم تبريراتهم بالشواهد، فإنهم لا يدركون الحاجة لجعل افتراضاتهم صريحة واضحة. من هنا، فنادراً ما يقدمون شواهد على افتراضاتهم، على الرغم من أنه فى الكثير من الحالات تكون تلك الشواهد مفيدة تمامًا فى الحكم على جودة الحجة.

مصادر الشواهد

متى يجب أن نقرر أن زعمًا وقائعيًّا جديرا بالثقة به؟ هناك ثلاث حالات نكون فيها أكثر ميلاً للموافقة على الزعم الوقائعى:

١ – عندما يتمثل ذلك الزعم فى صورة معرفة عامة غير متنازع عليها، كالزعم بأن "رفع الأثقال يزيد من قوة العضلات."

٢ – عندما ينتج الزعم عن حجة مؤسسة تأسيسًا جيداً.

٣ – عندما يتم تأييد الزعم بشواهد وجيهة موثوق بها متضمنة فى نفس الاستدلال أو يؤيد بشواهد أخرى نكون على معرفة بها.

ينصب اهتمامنا فى الفصل الراهن على الحالة الثالثة. إن تحديد دقة شاهد معين يتطلب منا أن نسأل "ما قدر وجاهة الشاهد؟". وللإجابة عن هذا السؤال يتعين علينا أن نسأل أولاً "ما الذى نعنيه بكلمة شواهد؟".

انتبه: الشواهد معلومات صريحة يعرضها صاحب المقال ليدعم أو يبرر موثوقية زعم وقائعى معين (انظر الفصل الثالث). فى الحجج المعيارية، نحتاج إلى شواهد لدعم مبررات المزاعم الوقائعية؛ أما فى الحجج الوصفية، فنحتاج إلى شواهد نعضد بها بصورة مباشرة نتيجة وصفية بعينها.

تتوقف جودة الشاهد على نمط ذلك الشاهد. هكذا، إذا أردنا أن نقّيم شاهداً معينًا، يتعين أن نسأل فى البداية "ما نوع ذلك الشاهد؟"؛ فمعرفة نوع الشاهد تقودنا إلى نوع السؤال الذى يتعين علينا طرحه.

تتضمن الأنواع الأساسية من الشواهد:

- الحدس
- الخبرة الذاتية
- الشهادة الشخصية
- اللجوء إلى السلطة
- الملاحظات الشخصية
- الأمثلة
- الدراسات البحثية
- المماثلة

كل نوع من هذه الشواهد، إذا ما استخدم بصورة مناسبة، يعد "شاهداً جيداً"، لأنه يمكن أن يؤيد زعم المؤلف. وكمنقب الذهب الذى يفحص بدقة بالغة الحصى فى الإناء طمعًا فى العثور على المعدن النفيس، ينبغى أن نفحص بدقة الشواهد لتحديد جودتها. إننا نود أن نعرف، "هل يقدم شاهد المؤلف دعمًا موثوقًا لزعمه؟" من هنا، نبدأ بتقويم الشواهد بطرح السؤال، "ما قدر جودة الشواهد؟"

فى الفصل الراهن والفصل التالى، سنفحص نوع الأسئلة التى يمكن أن تشمل كل أنواع الشواهد التى تساعدنا فى الحكم عليها. وسنبدأ فى الفصل الراهن بفحص الحدس، السلطة، والشهادة الشخصية.

الحدس شاهداً

عندما نستخدم الحدس لتأييد زعم معين، فإننا نعتمد على "الحس المشترك" أو على "مشاعرنا الذاتية"، أو أحاسيسنا الداخلية. عندما يؤيد صاحب المقال زعمًا معينًا بالقول إن "الحس المشترك يخبرنا بذلك"، أو بالقول "أعلم فحسب أنه صادق"، فإنه بذلك يستخدم الحدس شاهداً.

تكمن المشكلة الجوهرية فى الحدس فى كونه يتعلق بخبرة ذاتية خاصة، لا سبيل للآخرين أن يحكموا على موثوقيتها. هكذا، عندما تتعارض الاعتقادات الحدسية، وهو أمر كثير الحدوث، لا يكون لدينا أساس متين للحكم على صدقها. فضلاً عن ذلك، فإن الحدس يعتمد فى معظمه على عمليات عقلية غير واعية، غالبًا ما تتجاهل الشواهد المناسبة بل وتعكس تحيزات قوية. من هنا، يجب الاحتراز من المزاعم التى تعتمد فقط على الحدس.

من ناحية ثانية، قد يعتمد "الحدس" على نوع آخر من الشواهد، من قبيل الخبرات الشخصية والقراءات الملائمة المتعمقة. فعلى سبيل المثال، عندما يحدس الطيار المتمرس أن طائرته ليست على ما يرام عند الإقلاع، فإننا نؤيد بقوة طلبه

إجراء فحوصات إضافية قبل الإقلاع. إن أحاسيسنا الداخلية لا تكون أحيانًا مجرد خبط عشوائى. غير أننا نرغب، باعتبارنا مفكرين ناقدين، أن نعرف ما إذا كانت المزاعم المستندة إلى الحدس تستند إلى أية شواهد أخرى مؤيدة.

مخاطر اللجوء إلي شواهد الخبرة الذاتية

تستند الحجة التالية إلى نوع معين من الشواهد لتعضيد زعم وقائعى:

- عندما كنت طفلاً صغيراً تم ايداعى دار حضانة معينة، ولم أتعرض لأذى بسبب تلك الخبرة. من هنا، لا اعتقد أن وضع الأطفال فى دور الحضانة يسبب أية مشكلات."

- "لقد تعاطيت دواءً مضاداً للاكتئاب الذى ينتابنى، غير أن الوضع تفاقم سوءاً. من هنا اعتقد أننا نبالغ فى تعاطى العقاقير علاجًا للأمراض العقلية".

تلجأ الحجتان السابقتان إلى الاستعانة بشواهد تستند إلى الخبرات الشخصية. يجب أن تسترعى عبارات من قبيل "أعرف شخصاً..." ، "من خلال خبرتى الشخصية، اكتشفت أن..." انتباهك لمثل هذا النمط من الشواهد. وحيث إن الخبرات الشخصية تكون حية حاضرة فى ذاكرتنا، كثيراً ما نلجأ إليها شواهد لدعم اعتقادات بعينها. فعلى سبيل المثال، قد تتكون لديك خبرة غير سارة مع محام ما بسبب مبالغته فى قيمة أتعابه، مما يجعلك تعتقد أن كل المحامين يبالغون فى تقدير أتعابهم. وبينما قد يصدق أو يبطل التعميم فى مثل حالة هذا المحامى، فإن الاعتماد على مثل هذه الخبرات لتبرير التعميم مسلك غير صحيح! وحيث إن الخبرة الشخصية المفردة، أو حتى تراكمات الخبرة الشخصية، لا تكفى لتزويدنا بعينة ممثلة للخبرات المشتركة،

فإنها كثيراً ما تؤدى إلى الوقوع فى أغلوطة التعميم المتعجل. ويمكن أن نستدل من الخبرة الشخصية البارزة المفردة أو الخبرات الشخصية المتعددة حدوث نتيجة معينة. فعلى سبيل المثال، قد تصادف أشخاصًا يدخنون ثلاث علب سجائر فى اليوم ويظلون على قيد الحياة حتى سن التسعين. غير أن مثل هذه الخبرات لا تبرهن على أن مثل هذه النتائج محتملة أو نمطية.

- **أغلوطة التعميم المتعجل:** استدلال نتيجة تتعلق بمجموعة كبيرة وفقًا لخبرات تتعلق بأعضاء محدودين فى تلك المجموعة.

سوف نعود إلى الحديث عن هذه الأغلوطة فى الفصل التاسع عندما نناقش شواهد الأبحاث وموضوع العينات.

الشهادة الشخصية شاهدًا

– "يجب أن يقوم الدكتور "ناجح" بإجراء عمليتك الجراحية. لم لا وقد نجح نجاحًا باهرًا فى معالجة الألم الذى ألمّ بكتفى."

– " لقد أصبت بالسرطان وأخبرنى الطبيب أننى سأعيش شهرًا واحدًا، ولكن بعد زيارة واحدة لتلك المعالجة الروحانية، اختفى السرطان. يجب عليك أن توقف العلاج الإشعاعى وتزور تلك السيدة."

– "خلال ستة أسابيع فقط، فقدت عشرة كيلوجرامات باستخدام جهاز التخسيس. أنصحك بقوة أن تستخدم ذلك الجهاز."

– "أنظر إلىَّ، إننى مرهق دائمًا، كل مفاصلى تؤلمنى وأعانى من طفح جلدى، ولا أستطيع تذكر أى شىء منذ أن عدت من الحرب. لا تقل لى إنه لا يوجد ما يسمى متلازمة أعراض حرب الخليج."

الإعلانات التليفزيونية، وإعلانات الأفلام، والتوصيات على الأغلفة الخلفية للكتب، و"البراهين" التى تثبت وجود أمور خارقة للطبيعة أو أحداث ومخلوقات متنازع على وجودها، كثيراً ما تحاول إقناعنا باللجوء إلى نوع معين من الخبرة الشخصية، تتمثل فى الاستشهاد بآراء أشخاص يحكمون على جودة فكرة أو منتج معين، أو يزعمون أن الأحداث الخارقة للعادة وقعت بالفعل، استناداً إلى خبراتهم الشخصية. مثل هذه الاقتباسات تستخدم *كشهادات شخصية*.

ما قدر جدوى هذه الشواهد؟ عادة، لا فائدة ترجى من ورائها إطلاقًا، ففى معظم الأحوال لا ينبغى أن نعطى قيمة كبيرة للشهادة الشخصية ما لم تتوافر لنا تفاصيل عن الخبرات، والاهتمامات، والقيم، والتحيزات التى تكمن وراءها. وعلى وجه الخصوص يجب أن نكون على وعى بالمشكلات التالية التى تتعلق بالشهادة الشخصية:

• الانتقائية

تتفاوت خبرات البشر تفاوتًا كبيراً. الذين يحاولون إقناعنا عادة ما يقومون بانتقاء شهاداتهم.من هنا يجب دائمًا أن نطرح السؤال، "ما خبرات أولئك الذين لم نستمع إلى شهادتهم؟". بالإضافة إلى ذلك، يجب أن ندرك أن الذين يدلون بشهاداتهم كثيراً ما يختارون ما يثير اهتمامهم، إذ نجدهم يولون اهتماماً خاصًا بما يتوافق مع اعتقاداتهم، متجاهلين ما يخالفها. كثيراً ما يصح القول إن الرؤية تبرر المعتقد. إن توقعاتنا تؤثر بقوة فى طريقة خبرتنا بالأحداث. إذا اعتقدنا فى وجود الكائن الضخم صاحب الأقدام العملاقة، أو أن الملائكة تترك آثاراً تدل على وجودها، فمن المرجح أن نرى خيالات غامضة لذلك الكائن الضخم أو لآثار تلك الملائكة.

◦◦ المصالح الشخصية

تصدر العديد من الشهادات الشخصية، من قبيل تلك المستخدمة فى الكتب، والأفلام، والمنتجات التى يروج لها التليفزيون من قبل أشخاص يطمحون لتحقيق كسب معين من وراء شهاداتهم. فعلى سبيل المثال، يقرظ بعض المؤلفين كتباً معينة، أملاً فى الحصول على تقويم إيجابى لكتبهم عند مراجعتها. هذا يجعلنا فى حاجة لأن نطرح السؤال، "هل ثمة علاقة تربط بين مقدم الشهادة وبين ما يروج له، بحيث نتوقع منه تحيزاً واضحاً فى شهادته؟"

◦ المعلومات المستبعدة

نادراً ما تقدم الشهادات الشخصية معلومات كافية حول الأسس التى تقوم عليها. فعلى سبيل المثال، عندما يطنب أحد أصدقائك فى مدح أستاذ معين، عليك أن تسأله عن سبب افتتانه بذلك الأستاذ. ذلك أن معايير حكمنا قد تختلف عن معايير مقدم الشهادة. وكثيراً ما تعوزنا المعلومات للحكم على تلك المزاعم.

◦ العامل الإنسانى

يكمن أحد أسباب إقناع الشهادة الشخصية فى صدورها عن بشر مثلنا. كما أنها تكون حيّة حافلة بالتفاصيل، فى مقابل الإحصاءات والرسوم التى تكون عالية التجريد. أيضاً فإنها كثيراً ما تصدر عن أشخاص مفرطى الحماسة، يبدون موضع ثقة، حسنى النية، وصادقين. مثل هؤلاء الأشخاص يحملوننا على الرغبة فى تصديقهم.

اللجوء إلى السلطة شاهداً

يزعم متحدث ما أن سيارات فورد أفضل من سيارات جنرال موتورز، وعندما نسأله كيف عرف ذلك، يجيب، "إن مجلة **Consumer Reports** تقول ذلك، فضلاً عن مقال آخر قرأته الأسبوع الماضى فى جريدة النيويورك تايمز يزعم أن فورد تصنع سيارات أفضل".

لقد دافع المتحدث عن زعمه باللجوء إلى سلطة – والمقصود بها مصدر يفترض فيه أنه يعرف أكثر مما نعرف عن موضوع معين – تتمثل فيمن نطلق عليهم الخبراء. وعندما يلجأ المتجادلون إلى السلطة أو الخبراء، فإنهم يلجأون إلى أشخاص يرون أنهم فى وضع يسمح لهم بالحصول على وقائع معينة ويمتلكون مواصفات خاصة تمكّنهم من استخلاص النتائج من الوقائع.وتعج حياتنا اليومية بألوان مختلفة من حالات اللجوء إلى السلطة:

نقاد الأفلام: "هذا الفيلم واحد من أفضل عشرة أفلام هذا العام" وفقًا لمجلة "مراجعات الأفلام"

مؤسسات: "تؤيد الجمعية الطبية الأمريكية **AMA** هذا الرأى"

باحثون: "تبين الأبحاث..."

أقارب: "يقول جدى..."

دين: "ورد فى القرآن..."

مجلات: "وفقًا لما ورد فى مجلة النيوزويك ...."

أساتذة جامعيون: " يقر التأويل الصحيح لأفلاطون أن..."

شهود خبراء: "اعتقد أن المدعى عليه..."

يمكنك بسهولة إضافة المزيد إلى القائمة السابقة. ولكن يجب أن يكون واضحًا لديك أننا نعتمد ببعض الشواهد التى تستند إلى اللجوء إلى السلطة دون البعض الآخر. لماذا؟

السبب يرجع إلى أن بعض السلطات تكون أكثر حرصًا وتدقيقًا عند الإدلاء برأيها. على سبيل المثال، تحرص مجلتا النيوزويك والتايم على التقويم الدقيق للشواهد المتاحة قبل إقرار وجهة نظر معينة بدرجة تفوق حرص مجلة National In- quirer (وهى من مجلات الإثارة).

ومن المرجح أن المقالات المنشورة عن الاكتئاب فى الموقع الالكترونى الخاص بالمعهد الوطنى للصحة العقلية National Institute of Mental Health تتأسس على شواهد يتم اختيارها بعناية تفوق تلك التى يتم نشرها على الموقع الالكترونى الخاص بشخص معين. من المرجح أيضًا أن أقاربنا أقل موضوعية عند تقويم مرشح سياسى معين من محررى الصحف الكبرى.

يجب أن تتذكر أن السلطة، لأسباب عديدة، كثيرًا ما تخطىء. كما أن أحكامها كثيرًا ما تتعارض. ولعل المثال الآتى المأخوذ عن مجلة The Experts Speak، يذكرنا بوضوح بلا معصومية آراء الخبراء.

(Christopher Cerf and Victor Navasky, 1998, Revised Edition., Villard Books, New York).

- الأمر فى غاية الوضوح... الأرض فى منتصف العالم وكل الأجسام تتجه نحوها." بطليموس (عالم فلك وجغرافى سكندرى)، المجسطى، القرن الثانى الميلادى، ص ٥

- "لقد شاءت الطبيعة أن تكون النساء إماءً لنا... إنهن ملك لنا، تمامًا كما تكون ثمار الشجرة ملكًا لصاحب الحديقة. إن طلب المرأة المساواة ليس سوى فكرة جنونية ...! النساء لسن سوى آلات لإنجاب الأطفال." نابليون بونابرت (١٧٦٩ - ١٨٢١)، ص ٣٢.

• " لن يستمر تواجد جهاز الفيديو فى أى سوق يغزوها أكثر من ستة أشهر؛ سوف يمل الناس التحديق فى صندوق خشب كل مساء"، (Darry L Fzanuck (رئيس شركة استوديوهات فوكس للقرن العشرين)، ١٩٤٦ (صفحة ٤١).

• "إذا كان التدخين المفرط يقوم بالفعل بدور فى الإصابة بسرطان الرئة، فهو يقوم على ما يبدو بدور ضئيل". (Dr. W.C. Heuper (المعهد الوطنى للسرطان NCI)؛ مقتبس من النيويورك تايمز، إبريل ١٩٥٤ (ص ٢٢٨).

تذكرنا مثل هذه الاقتباسات بأهمية طرح أسئلة ناقدة عندما يلجأ المتجادلون إلى السلطة. يتعين أن نسأل "ما الذى يحملنا على تصديق هذه السلطة؟"؛ أو بشكل أكثر تحديداً، عليك أن تطرح الأسئلة الآتية:

ما قدر الخبرة أو التدريب الذى تمتلكه السلطة حول الموضوع الذى تتحدث عنه؟ هل درس الشخص، مثلاً، الموضوع المطروح لفترة طويلة كافية؟ أو، هل يمتلك خبرة متعمقة تتعلق بالموضوع؟

هل كان الشخص (مصدر السلطة) فى وضع يسمح له بأن يكون مطلعًا على الوقائع ذات الصلة بالموضوع؟ هل كان مثلاً شاهد عيان على الأحداث التى يزعمها؟ أم أن مراسلاً صحفيًا، فى واقع الأمر مثلاً، هو الذى شاهد الحدث، أو أنه اعتمد فقط على تقارير الآخرين؟ إذا لم يكن مصدر السلطة شاهد عيان، فإلى أى المصادر استند؟ وأية مزاعم يكرر؟ ولم يتوجب علينا الاعتماد على تلك المزاعم؟ يجب عليك على وجه العموم، أن تعتد بالمصادر المباشرة – أو شهود العيان – أكثر من اعتدادك بالمصادر الثانوية، أى أولئك الذين يعتمدون على الآخرين فى شهادتهم. التايم والنيوزويك، مثلاً، مصادر ثانوية فيما يختص بالقضايا الطبية، بينما دوريات من قبيل "دورية الجمعية الطبية الأمريكية" تعد مصدراً أوليًا.

هل هناك أسباب قوية تدعونا للاعتقاد فى أن السلطة لا تخلو نسبيًا من مؤثرات مشوهة؟ ثمة عوامل يمكن أن تؤثر فى طريقة نقل الشواهد من قبيل الحاجة

الشخصية، التوقعات المسبقة، الاعتقادات العامة، التوجهات، القيم، النظريات أو الأيديولوجيات. إن مثل هذه العوامل تؤثر بطريقة مقصودة أو لا واعية فى طريقة عرض الشواهد. فعلى سبيل المثال، إذا سألت جنرالاً فى الجيش عما إذا كان خفض النفقات العسكرية يضر بالجيش، فقد يجيب "بنعم" ويقدم لك عدداً من الشواهد المحكمة. هنا قد يكون رأى الجنرال غير متحيز للموقف. ولكن، نظراً لمكانته، يجب أن نكون على حذر من احتمال أنه حاول خلق أسباب تبرر تحيزه.

نقصد بالتحيز والتحامل امتلاك شعور شخصى قوى حول خيرية أو سوء أمر معين، بحيث يتداخل ذلك مع قدرتنا على التقويم النزيه. ونظراً لوجود عوامل كثيرة تدفعنا إلى التحيز فى جل أحكامنا تقريباً، فإننا لا نتوقع أن تكون السلطة نزيهة تماماً. على ذلك، يمكننا توقع تحيز أقل من سلطة ما مقارنة بسلطة أخرى، ونحاول تحديد هذا التحيز من خلال جمع معلومات حول المصلحة الشخصية التى قد تكون لسلطة معينة إزاء موضوع النقاش. فمثلاً، يجب أن نكون على حذر عند احتمال أن تتربح السلطة ماليًّا بسبب دفاعها عن موقف معين.

وحيث إنه من المحتمل أن يكون للسلطة مصلحة شخصية فى موضوع معين وعلى الرغم من ذلك تقدم مزاعم ذات مصداقية، ينبغى ألا نرفض زعمًا ما لمجرد ارتيابنا فى احتمال تداخل مصلحة السلطة الشخصية مع نزاهتها.

تكمن إحدى الخطوات التى قد تساعدنا فى جلاء هذا الأمر فى معرفة ما إذا كانت السلطات المختلفة ذات التوجهات، والتوقعات، والقيم، والمصالح المتباينة توافق على الزعم المطروح. هكذا، نكون فى حاجة لطرح السؤال الآتى:

"*هل اكتسبت السلطة سمعة طيبة متواترة فى تقديم مزاعم موثوق بها؟ هل استطعنا الاعتماد على هذه السلطة فى الماضى؟*"

يجب أن تكون على وجه الخصوص مهتمًا بنوعية السلطة عند مواجهة مزاعم وقائعية على شبكة الإنترنت، كل شخص على الشبكة يتحول تقريباً إلى "سلطة"، ولعل

مرجع ذلك يكمن فى أن الأفراد أحرار فى زعم ما يشاءون، فضلاً عن عدم وجود آلية متاحة لتقويم مثل هذه المزاعم. من الواضح أننا فى مثل هذا الموقف ينبغى أن نكون فى غاية الحذر!

استخدام السؤال الناقد

عندما تحدد مشكلة معينة باستخدام الحدس، أو الخبرة الشخصية، أو شهادة الآخرين، أو اللجوء إلى السلطة كشاهد، قد يتوافر لديك أساس قوى يجعلك تتردد فى قبول النتيجة القائمة على أساس ذلك الشاهد. إن معرفة تلك المشكلات تحصنك ضد الحجاج الزائف. لكنك على الرغم من ذلك ترغب فى العمل الجاد لكى تكون منصفًا للحجج التى يقدمها لك الآخرون لتحكم عليها. من هنا فمن المناسب أن تطلب من أولئك الذين لم يقدموا إليك شواهد وجيهة أن يقدموا شواهد أفضل. قدم كل الفرص الممكنة التى تستحقها الحجج.

تلخيص

مفاتيح لتقويم الشواهد

استخدم الأسئلة التالية لتساعدك فى تقويم الأنماط المختلفة للشواهد.

الحدس

هل للحدس أية شواهد أخرى تعضده؟

ما قدر خبرة أو تدريب السلطة فيما يتعلق بالموضوع المطروح؟

هل السلطة فى وضع يسمح لها بالاطلاع على الوقائع ذات الصلة بالموضوع؟

هل يوجد سبب مقنع للاعتقاد بأن السلطة بعيدة نسبيًّا عن التأثيرات المشوهة؟

هل اكتسبت السلطة سمعة طيبة فى تكرار إصدار مزاعم موثوق بها؟

الشهادة الشخصية

ما التحيزات أو المصالح التى قد تؤثر فى شهادة شخص معين؟

هل لدى الشخص أية خبرة تساعده فى الحكم؟

كيف يقوم الشخص الافتراضات التى تؤثر فى شهادته؟

أى الشهادات الشخصية الأخرى قد تساعد فى تقويم شهادة هذا الشخص؟

ما المعلومات المفتقدة فى شهادة هذا الشخص؟

لقد انصب اهتمامنا فى الفصل الراهن على تقويم أنواع متعددة من الشواهد المستخدمة لتعضيد المزاعم الوقائعية: الحدس، والخبرة الشخصية، والشهادة الشخصية، واللجوء إلى السلطة. مثل هذه الشواهد يجب الاعتماد عليها بدرجة من الحذر والحيطة.

لقد قدمنا إليكم بعض الأسئلة التى يجب أن تطرحوها لتحددوا درجة إحكام الشواهد. فى الفصل القادم، سنناقش أنماطًا أخرى من الشواهد، بينما نستمر فى طرح السؤال "ما قدر جودة الشواهد".

تمارين تطبيقية

سؤال نقدى: *ما قدر جودة الشواهد: الحدس، الخبرة الشخصية، الشهادة، واللجوء إلى السلطة؟*

قوّم الشواهد فى التمارين الآتية.

النص ١

فى الوقت الذى ارتفعت تكاليف التعليم ارتفاعًا هائلاً، أضحى الطلاب يتلقون الأقل والأقل مقابل ما يدفعونه. فهم يدفعون عشرين ألف دولار فى العام مقابل تعليمهم، لكنهم لا يتلقون التعليم الذى يعتقدون أنهم دفعوا ما يقابله. الأساتذة يكرسون وقتهم وجهدهم للبحث العلمى، وليس للتدريس. لنتأمل التعليقات الآتية لطلبة إحدى الجامعات البحثية الكبرى:

ساندرا دبليو، طالبة فى المستوى الثانى فى تخصص اللغة الإنجليزية: "يجلس الواحد منا محشوراً وسط صف يحوى

ثلاثمائة طالب وطالبة مستمعًا إلى الأستاذ الذى هو طالب دراسات عليا لا يجيد حتى التحدث بالإنجليزية".

لورى ل، طالبة فى الفرقة الثالثة تخصص علم نفس: "لقد مضى على فى الكلية أكثر من ثلاث سنوات، ولم تتح لى حتى الآن فرصة مقابلة أى أستاذ وجهًا لوجه."

جون م، طالب فى الفرقة الأولى تخصص فلسفة: "من المستحيل أن تعثر على الأساتذة عندما تريدهم. إن أحد أساتذتى لا يأتى إلى الجامعة إلا مرة واحدة أسبوعيًّا".

النص ٢

تنتاب معظم الشباب فى إحدى لحظات حياتهم فكرة أن يصبحوا محامين، و تظل تلك الفكرة تلح على تفكيرهم حتى بعد أن يلتحق معظمهم بكلياتهم. إن هذا البلد (أمريكا) يعج لسبب ما بالمحامين، الذين لا يجد الكثير منهم عملاً. يقول دكتور شارب، أستاذ القانون، "إن فصول القانون التى أقوم بتدريسها مليئة تمامًا بالطلبة، فكل المقاعد مشغولة".

ورد فى تقرير لصحيفة التايم أن عدد طلاب القانون يفوق ثلاثة أضعاف عدد المحامين فى أمريكا. وفضلاًعن هذا، فإن نحو ٦٠٪ من طلبة القانون لن يجدوا وظائف تلائم تخصصاتهم.

لماذا تتسم هذه الوظيفة بكل تلك الجاذبية؟ يرجع الأمر فى الغالب إلى بريق المال. يقول تقرير صادر عن دراسة أجرتها جامعة هارفارد على مجموعة عشوائية من دارسى القانون الجدد أن نحو ٧٠٪ منهم ذكروا أن الراتب المرتفع سبب الجاذبية الأساسى. بيد أن واقع الأمر، على الرغم من ذلك، يبين أن معظم المحامين لا يربحون

الكثير على الإطلاق. يقول ميرون نيكل، الذى عمل بالمحاماة خمسة عشر عامًا، "لم أكسب أبدًا أكثر من ٤٥ ألف دولار فى العام." التصور السائد عن ثراء المحامين أصحاب النفوذ فى نيويورك ليس سوى انعكاس للصورة الساحرة الجذابة فى أجهزة التليفزيون والأفلام السينمائية.

عينات من الأجوبة:

النص ١

النتيجة: ***طلاب الجامعات البحثية الكبرى لا يحصلون على مقابل ما يدفعونه.***

المبرر: ***أبدى ثلاثة طلاب عدم رضاهم عما يتلقونه من تعليم.***

على الرغم من أن النتيجة السابقة قد تكون أو لا تكون دقيقة، لا ينبغى أن نعتمد على مثل هذه الشهادات بوصفها إثباتات محكمة. توضح التمارين السابقة بجلاء ضعف الشهادة الشخصية كشاهد أو دليل. تأمل كيف تبدو مثل هذه "الروايات المرعبة" نمطية؟ هل قام الطلبة الآخرون بإطراء أساتذتهم؟ كيف جرت عملية المقابلات الشخصية؟ هل كان اختيار المؤلف لتعليقات المقابلات متحيزاً؟ هل كان أولئك الطلبة على دراية بالأمر الذى يرغب القائمون على المقابلة إثباته ومن ثم يحاولون إرضاءهم؟ قبل أن نستنتج أن الطلاب كانوا مخدوعين فيما يخص تعليمهم، فإننا نرغب فى الحصول على شهادة أكثر مصداقية من القليل الذى تقوله الشهادة الشخصية. إن كل ما تخبره بنا تلك الشهادة، على أية حال، أنه من المحتمل أن يكون للطلاب خبرات رديئة مع الأساتذة فى الجامعة.

مختارات من أسئلة الموقع الخاص بالكتاب

حدد أنواع الحدس، واللجوء إلى السلطة، والشهادة الشخصية فى كل من الأمثلة الآتية:

١ - جرب معجون الأسنان الجديد "المبيض"، فهو معجون جديد غنى بالفلورايد يبيض الأسنان وينظفها. إن أربعة أشخاص من بين كل خمسة يستخدمون معجون "المبيض" فى منازلهم، ولا يقتصر الأمر على هذا فقط، بل إن الأطباء أيضًا ينصحون باستخدام معجون "المبيض". يجمع الخبراء على أنك إذا أردت الحصول على أسنان بيضاء، نظيفة، صحية، لامعة؛ فليس أمامك سوى "المبيض".

٢ - سوف أسجل الفصل القادم فى المقرر الذى يطرحه الدكتور "بديع" لأن كل الشواهد تؤكد أنه سيكون مقررًا رائعًا. لقد درست صديقة أختى مقررًا مختلفًا العام الماضى مع الدكتور "بديع" وأكدت استمتاعها بالمقرر، وهى تحث كل من تقابله على أن يلتحق بمقررات الدكتور "بديع".

٣ - ليس من شك فى أن التاريخ سيذكر أن كلينتون كان أفضل رؤساء الولايات المتحدة. يكفى أن آل جور نائب الرئيس خلال فترة حكم كلينتون والذى يعتد برأيه فى مثل هذه الأمور، ذكر أن التاريخ سيتذكر أن كلينتون "أعظم رئيس عرفته الولايات المتحدة".



الفصل التاسع

وجاهة الشواهد: الملاحظة الشخصية، الدراسات البحثية، الأمثلة العينية، والمماثلة



نواصل فى الفصل الراهن تقويم موضوع الشواهد. سوف ينصب تركيزنا على أربعة أنواع من الشواهد : الملاحظة الشخصية، الدراسات البحثية، الأمثلة، والمماثلة. سوف نناقش كل واحد من هذه الأنماط كلما صادفناها تستخدم شواهد.

سؤال نقدى: ***ما قدر وجاهة الشواهد: الملاحظة الشخصية، الدراسات البحثية، أمثلة الحالات، والمماثلة؟***

الملاحظة الشخصية

تعد الملاحظة الشخصية واحدة من أنماط الشواهد التى لها قيمتها الجوهرية للكثير من الأبحاث العلمية. فنحن، على سبيل المثال، نشعر بالثقة تجاه ما نشاهده بأعيننا بالفعل، ولذا فإننا نثمن بقوة روايات شهود العيان. على ذلك، فإن إحدى الصعوبات التى تواجه الملاحظة الشخصية تكمن فى نزوعنا نحو رؤية وسماع ما نرغب فى سماعه أو مشاهدته، ومن ثم اختيار وتذكر جوانب الخبرة التى تتوافق تماماً مع خبراتنا وخلفيتنا السابقة.

والملاحظ ليس كالمرآة، فهو لا يقدم لنا ملاحظات "نقية خالصة". إن ما نراه وننقله إلى الآخرين يمر خلال مجموعة من القيم، والتحيزات، والاتجاهات والتوقعات. وبسبب مثل هذه التأثيرات، كثيراً ما يختلف الملاحظون حول حقيقة ما يشاهدون. هكذا، يجب أن نكون على حذر من الاعتماد على الملاحظة التى يقوم بها ملاحظ واحد فى مواقف نتوقع أن تتم من قبل ملاحظين مختلفين.

سوف تساعدك الأمثلة الثلاثة الآتية على إدراك مخاطر الاعتماد على الملاحظة الشخصية كشاهد.

- ما يراه الحكم فى لعبة كرة القدم هدفاً، يراه لاعبو الفريق المهزوم تسللاً.

- تقع سرقة فى محل صغير. يزعم أحد الشهود أنه شاهد السارق يحمل مسدساً كبيراً، بينما يقسم شاهد آخر أن اللص كان يلوّح فى الهواء بلعبة تشبه المسدس.

- يذهب أحد أصدقائك إلى أن ملاحظاتك ذات مغزى مهم، بينما يعتبرها شخص آخر عدوانية، فى الوقت الذى يلاحظ فيه صديق ثالث أن ملاحظاتك حازمة بصورة تثير الإعجاب.

وإذا كنا نقر بأن الملاحظة الشخصية كثيراً ما تكون مصدراً قيماً للشواهد، غير أنه يتعين علينا أن ندرك أنها ليست "مرايا غير متحيزة تعكس صورة الواقع"! إذ عند استخدام مثل هذه الملاحظات لتعضيد نتائج خلافية، يجب أن نسعى نحو التحقق منها بواسطة ملاحظينِ آخرين، كما يتعين علينا أيضاً أن نستعين بشواهد متنوعة لدعم النتيجة. فإذا زعم شخص ما، مثلاً، أنه شاهد أستاذاً يتصرف بطريقة موحية جنسيّاً نحو طالبة معينة، فإن شهادته تكتسب المزيد من المصداقية إذا ما أكد طلاب آخرون تلك الملاحظة. لاحظ أيضاً أن تقارير الملاحظات تغدو إشكالية كلما اتسعت الفترة الزمنية الفاصلة بين الملاحظة وتقريرها.

عند استخدام تقارير الملاحظات كشواهد فى الصحف، والمجلات، والكتب، والتليفزيون، والإنترنت، يجب أن تكون هناك مبررات قوية تخول الاعتماد عليها. إن أفضل التقارير مصداقية هى تلك التى تتأسس على ملاحظات حديثة، يقوم بها ملاحظون تتوافر لديهم أفضل ظروف محيطة، شريطة ألا يكون محتملاً أن تكون لديهم توقعات قوية مسبقة أو تحيزات نحو موضوع الملاحظة.

الدراسات البحثية شواهد

"تظهر الدراسات أن ..."

"اكتشف الباحثون في تقرير حديث أن ..."

"يشير تقرير في **New England Journal of Medicine** إلى أن ..."

تعد الدراسات البحثية أحد أنماط السلطة الذى يعتمد كثيراً على الملاحظة ويحمل وزناً وقيمة، وتتمثل الدراسات البحثية عادة فى مجموعة منظمة من الملاحظات يقوم بها باحثون متمرسون على القيام بالأبحاث العلمية. ما قدر موثوقية نتائج الأبحاث؟ كما هو الأمر عند اللجوء إلى سلطة ما، لا نستطيع أن نقرر موثوقية نتائج أى بحث قبل أن نطرح العديد من الأسئلة.

وبسبب التعقيد البالغ الذى تتسم به الأحداث فى عالمنا، ولأن البشر غير معصومين من الخطأ فى ملاحظاتهم ونظرياتهم المتعلقة بتلك الأحداث، تبنى المجتمع فكرة الاعتماد على المنهج العلمى مرشداً مهماً لتحديد الوقائع. يحاول المنهج العلمى أن يتجنب الكثير من التحيزات المحايثة لملاحظاتنا عن العالم ولحدسنا وحسنا المشترك.

ما وجه التميز فى المنهج العلمى؟ يسعى المنهج العلمى إلى الوصول إلى معلومات تنتظم فى صورة معطيات *قابلة للتحقق من قبل الجميع* – أى معطيات يتم الحصول عليها فى ظل شروط تسمح للباحثين الآخرين المؤهلين أن يقوموا بملاحظات مماثلة لمعرفة ما إذا كانت تقود إلى نفس النتائج. هكذا، إذا قرر باحث معين، مثلاً، أن علاجاً إشعاعياً جديداً يقضى على خلايا السرطان، ستكون لدينا ثقة متزايدة فى ذلك العلاج إذا كرر باحثون آخرون التجربة وحصلوا على نفس النتيجة.

السمة الأساسية الثانية التى تميز المنهج العلمى هى الضبط، أى استخدام إجراءات خاصة لتقليص الخطأ فى الملاحظات وفى تأويل نتائج الأبحاث. فإذا كان

التحيز فى رصد الملاحظات، مثلاً، يعد مشكلة كبرى، فقد يحاول الباحثون التحكم فى هذا النوع من الأخطاء باللجوء إلى ملاحظين مختلفين لمعرفة مدى اتفاق كل واحد مع الآخر. كثيراً ما يمعن الفيزيائيون فى عملية التحكم من خلال دراسة المشكلات فى المعمل حتى يتمكنوا من التقليل من العوامل الخارجية العارضة. والتحكم، لسوء الحظ، عادة ما يكون أكثر صعوبة فى مجال العالم الاجتماعى منه فى العالم الفيزيائى، ولذا فإنه فمن العسير تطبيق المنهج العلمى بنجاح على مشكلات عديدة تتعلق بالسلوك الإنسانى المعقد.

والمكون الثالث للمنهج العلمى هو *الدقة فى استخدام اللغة*. كثيراً ما تأتى تصوراتنا مشوشة، مبهمة، ولذا يحاول المنهج العلمى أن يكون دقيقًا ومتسقًا فى استخدامه للغة.

ويتضمن العلم عناصر عديدة لا يسمح المجال هنا بمناقشها، بيد أننا نريد منك أن تضع فى الحسبان أن البحث العلمى، إذا ما تم بصورة صحيحة، يعد أحد أفضل مصادر الشواهد لأنه يؤكد على التحقق، والتحكم، والدقة.

مشكلات تعانى منها نتائج الأبحاث

لا يعنى تطبيق البحث العلمى على دراسة مشكلة معينة أن شواهد البحث تصبح آليًّا ذات موثوقية أو أن تأويل معنى الشواهد يصبح دقيقًا. فكما هو شأن اللجوء إلى أى مصدر، يجب مقاربة اللجوء إلى شواهد الأبحاث بشىء من الحذر. وحيث إن الإجابة عن بعض الأسئلة، خاصة تلك التى تتعلق بالسلوك الإنسانى، يمكن أن يتم حتى حال وجود أفضل الشواهد بصورة احتمالية، ثمة عدد من الأسئلة المهمة التى يجب طرحها حول الدراسات البحثية قبل أن نقرر مقدار النتائج الذى يجب أن نعتمد عليه.

عندما يلجأ كاتب المقال إلى البحث العلمى كمصدر يستمد منه الشواهد، يجب عليك أن تتذكر الآتى:

١ - تتباين الأبحاث العلمية تباينًا كبيرًا من حيث جودتها، من هنا يجب أن يزداد اعتمادنا على بعض الأبحاث دون البعض الآخر. ثمة أبحاث تجرى بعناية وأخرى تتم بصورة غير مرضية، ومن ثم يجب أن نعتمد على النوع الأول. ولأن عملية البحث معقدة جدًا وعرضة للعديد من المؤثرات الخارجية، حتى المتمرسين على القيام بالبحث العلمى يجرون أحيانًا أبحاثًا تتضمن عيوبًا خطيرة، كما أن النشر فى دوريات علمية لا يضمن أن تأتى دراسة بحثية معينة خالية من الكثير من الأخطاء.

٢ - كثيرًا ما تتناقض نتائج الأبحاث. من هنا، فإن دراسة بحثية مفردة منزوعة خارج سياق مجموعة من الدراسات البحثية التى تعالج مشكلة معينة كثيرًا ما تقود إلى نتائج مضللة. إن خلاصة الأبحاث التى يجدر أن تحظى باهتمامنا هى تلك التى تتكرر بواسطة أكثر من باحث أو مجموعة من الباحثين. يجب دائمًا أن نطرح السؤال: "هل تحقق باحثون آخرون من هذه النتائج؟"

٣ - لا تبرهن نتائج الأبحاث على نتائج الحجج، فهى، فى أفضل الأحوال، تؤيد تلك النتائج. إن معطيات الأبحاث لا تتحدث عن نفسها! وعلى الباحثين دائمًا تأويل معانى معطياتهم، كما أن المعطيات يمكن أن تفسر بأكثر من طريقة. هكذا، لا يجب أن نعتد بالنتائج التى يتوصل إليها الباحثون كما لو أنها "حقائق" مبرهنة. عندما تقابلك عبارة من قبيل "معطيات البحث تبين أن..."، يجب عليك أن تترجمها إلى "يؤول الباحثون معطيات أبحاثهم على أنها تبين أن..."

٤ - للباحثين، شأنهم شأن كل واحد فينا، توقعاتهم، وقيمهم، وحاجاتهم التى تؤدى إلى تحيز الأسئلة التى يطرحونها، والطريقة التى يجرون بها أبحاثهم، والطرق التى يؤولون بها معطيات أبحاثهم. والعلم، على الرغم من جهوده الرائعة لتجنب التحيز، ليس محايدًا، وليس خلوًا من القيمة، كما أنه ليس نشاطًا موضوعيًا خالصًا.

كثيراً ما يتكون لدى العلماء مثلاً ميل عاطفى نحو فرض معين. وشأن سائر المخلوقات الإنسانية الأخرى اللامعصومة من الوقوع فى الخطأ، قد يجد العلماء صعوبة فى المعالجة الموضوعية للمعطيات التى تتعارض مع ذلك الفرض. إن إحدى دعائم قوة البحث العلمى تكمن فى محاولة جعل إجراءاته ونتائجه متاحة للجميع حتى يتمكن الباحثون الآخرون من الحكم على قيمة البحث ومن ثم محاولة تكراره. وعلى الرغم من هذا، وعلى الرغم من المظهر الموضوعى الذى قد يبدو عليه تقرير علمى معين، فإنه دائمًا ما يتضمن عناصر ذاتية مهمة.

٥ - كثيراً ما يشوه الكتاب والمتكلمون نتائج العلم أو يفرطوا فى تبسيطها. وهنا قد يقع تضارب كبير بين النتيجة التى يستلزمها البحث الأصلى واستخدام الشواهد التى تدعم معتقدات صاحب المقال. فعلى سبيل المثال، قد يؤيد الباحثون بدقة النتائج المتضمنة فى تقارير أبحاثهم الأصلية، بيد أن الآخرين يستخدمون تلك النتائج دون الاستناد إلى المؤهلات التى قادت إليها.

٦ - بمرور الوقت تتغير "وقائع" الأبحاث، خاصة تلك التى تتعلق بالسلوك الإنسانى. فعلى سبيل المثال، كل "الوقائع" البحثية التالية تؤكدها مصادر علمية محترمة، على الرغم من أن الشواهد البحثية الحديثة تفندها:

- يموت الأعسر فى سن أصغر من السن الذى يموت فيه مستخدم يمناه.
- تستفيد النساء الأقل من خمسين عاماً من اختبارات فحص الثدى.
- تم اكتشاف المورثة التى تسبب اضطرابات الاكتئاب.
- يساعد الطعام المحتوى على ألياف على منع سرطان القولون.
- تتراكم الآثار المدمرة للطلاق على الأطفال عبر مختلف مراحل حياتهم.

٧ - تتنوع الأبحاث فى اصطناعيتها. فلكى يتم إنجاز هدف التحكم، يفقد البحث غالبا جزءاً من خصائصه الطبيعية. وكلما زادت اصطناعية البحث العلمى، زادت

صعوبة التعميم من الدراسات البحثية إلى العالم الخارجي. وتتبدى مشكلة اصطناعية الأبحاث العلمية بوضوح عند دراسة ظواهر السلوك الاجتماعي المعقدة. فإذا أراد الباحثون، على سبيل المثال، دراسة الآثار المترتبة على العنف التليفزيوني، فقد يلجأون إلى تعريض الأطفال إلى مشاهدة أفلام الكارتون التي تتضمن مشاهد عنيفة، ثم يلاحظون بعد ذلك عدوانية الأطفال تجاه الدمى. هنا يجب أن نطرح السؤال "هل كان سلوك الأطفال العدواني تجاه الدمى مفرطًا في اصطناعيته لدرجة لا تجعله يخبرنا بالكثير عن السلوك العدواني في مواقف أخرى؟"

٨ - يمكن للحاجة المادية، والوضع الاجتماعي، والأمن، والعوامل الأخرى أن تؤثر في نتائج الأبحاث؛ فالباحثون في نهاية الأمر بشر وليسوا آلات، ولذا فإنه يتعذر عليهم أن يكونوا موضوعيين بصورة مطلقة. مثال ذلك، قد يكون اكتشاف الباحثين الذين يحصلون على تمويل مباشر من شركات الأدوية الكبرى لنتائج إيجابية لأدوية تلك الشركات أكثر تكرارًا من اكتشاف مماثل يقوم به الباحثون الذين لا تربطهم علاقات شخصية مع تلك الشركات. كما أن ضغوط الترقي والتثبيت في الوظائف، والرغبة في الحصول على منح مالية هائلة، ومغريات الشهرة، قد تؤثر جميعها في نتائج الأبحاث.

وكما ترى، على الرغم من الجوانب الإيجابية العديدة لشواهد الأبحاث، فإننا نرغب في تجنب تبني نتائج الأبحاث بصورة مبتسرة.

مفاتيح لتقويم الدراسات البحثية

طبق الأسئلة التالية على نتائج الأبحاث لتحدد ما إذا كانت تصلح شواهد يعتد بها:

١ - *ما قدر جودة مصدر التقرير؟* إن أكثر التقارير مصداقية هي تلك التي يتم نشرها عادة في دوريات علمية محكمة، وتلك التي لا تقبل أي دراسة إلا بعد أن

يراجعها عدد من الخبراء المختصين، وعادة، وإن لم يكن دائمًا، كلما كان المصدر ذا سمعة عالية، جاءت الدراسة جيدة، ومن هنا حاول جاهداً أن تعرف كل ما تستطيع عن مكانة مصدر الدراسة.

٢ - إضافة إلى جودة المصدر، هل هناك مفاتيح أخرى متضمنة فى اقتراحات صاحب المقال تفيد أن البحث تم إعداده جيداً؟ مثال ذلك، *هل يشير التقرير إلى تفاصيل عن مواضع القوة فى البحث؟*

٣ - *هل تم تكرار إجراء الدراسة نفسها؟* هل توصلت أكثر من دراسة إلى النتيجة نفسها؟ فالنتائج حتى إذا كانت ذات "مغزى إحصائى" يمكن أن تنشأ بالمصادفة الخالصة. فعلى سبيل المثال، عند العثور على ارتباط معين يتكرر بصورة منتظمة متسقة فى دراسات معدة إعداداً جيداً، كالعلاقة بين التدخين والإصابة بالسرطان، يتوافر لدينا مبرر لتصديقها، على الأقل حتى يقدم من يختلفون معها شواهد مقنعة تبرر آراءهم.

٤ - *إلى أى حد كان صاحب المقال انتقائيًّا فى اختيار دراساته؟* هل تم مثلاً استبعاد دراسات مناسبة تتناقض نتائجها مع دراسة صاحب المقال، وهل اكتفى الباحث باختيار الدراسات التى تعضد موقفه؟

٥ - *هل هناك أى شاهد على وجود تفكير ناقد مكثف؟* هل أظهر المتحدث أو الكاتب اتجاهًا ناقدًا نحو الدراسات السابقة التى تؤيد وجهة نظره؟

٦ - *هل توجد أسباب تدعو أى باحث لتحريف نتائج البحث؟* يجب أن نكون على حذر من المواقف التى يسعى فيها الباحثون للحصول على نتائج بعينها.

٧ - *هل شروط البحث مصطنعة بحيث تؤدى إلى تشويه البحث؟* اطرح دائمًا السؤال "ما مدى تشابه الشروط التى تم البحث فى ظلها مع المواقف التى يرغب الباحث فى تعميمها؟"

٨ - *إلى أى مدى يستطيع الباحث تعميم عينات البحث؟* سوف نناقش هذا السؤال بالتفصيل فى الجزء التالى.

٩ - *هل هناك أى تحيز أو تشويه فى المسوح الإحصائية أو الاستبيانات، أو المعدلات، أو أى أدوات قياس يستخدمها الباحث؟* لابد أن نتأكد من أن الباحث قام بقياس ما يريد بدقة. وحيث إن مشكلة تحيز الإحصاءات والاستبيانات تمثل أحد المشكلات المهمة التى تتداخل مع نسيج الأبحاث، سوف نناقشها بالتفصيل فى جزء لاحق.

التعميم من عينات الأبحاث

يستخدم المتحدثون والمؤلفون عادة تقارير الأبحاث لتدعيم التعميمات، أى المزاعم المتعلقة بالأحداث بصفة عامة. فعلى سبيل المثال، القول "كان الطلاق ضاراً بأطفال عائلة جون" لا يعد تعميماً، ولكن القول: "الطلاق ضار بالأطفال" يعتبر كذلك. وتعتمد القدرة على التعميم من نتائج الأبحاث على كم، وتنوع، واتساع، وعشوائية اختيار عينة المبحوثين أو أحداث الدراسة. ويطلق على عملية اختيار أحداث أو أفراد الدراسة اسم اختيار العينة.

ونظراً لأن الباحثين لا يستطيعون دراسة كل الأحداث أو كل الأفراد الذين سيتم التعميم من خلالهم، يتعين عليهم تبنى طريقة لاختيار العينة؛ وثمة طرق يتم تفضيلها. من هنا يجب أن تضع فى حسبانك بعض الاعتبارات المهمة عند تقويم عينات الأبحاث:

١ - يجب أن تكون العينة كبيرة بدرجة تبرر التعميم أو النتيجة. وفى معظم الحالات، كلما زاد عدد الأبحاث أو عدد الملاحظين، زادت مصداقية النتائج. فإذا أردنا صياغة تعميم حول مرات تلقى طلبة الجامعة العون من الآخرين عند إعداد *تقاريرهم الدراسية*، فمن الأفضل أن نختار للدراسة ١٠٠ طالب وطالبة عوضاً عن عشرة.

٢ – يجب أن تكون العينة *واسعة*، أو متنوعة، بما يتوافق مع نوع الأحداث التى يجب الوصول إلى نتائج بصددها. فإذا أراد الباحثون مثلاً الوصول إلى تعميم يتعلق بعادة تعاطى الخمور بصفة عامة لدى طلبة الجامعة، فينبغى أن تكون شواهدهم مؤسسة على اختيار عينات من طلبة كليات مختلفة وينتمون إلى مراحل دراسية مختلفة. فقد تختلف عادات تعاطى الخمر فى كلية خاصة صغيرة فى الغرب الأوسط الأمريكى عن تلك الخاصة بطلبة جامعة حكومية كبرى فى الساحل الغربى. هكذا، فإن الدراسة التى تجرى على طلبة ينتمون إلى كلية واحدة تفتقد عنصر العينة الواسعة.

٣ – من الأفضل أن تكون العينة *عشوائية*. عندما يختار الباحثون عيناتهم عشوائيًّا، فإنهم يحاولون التأكد من أن الأحداث التى يرغبون فى تعميمها متساوية فى فرص اختيارها كعينات، ومن ثم فإنهم يحاولون تجنب العينات المتحيزة، وتحاول مراكز استطلاع الرأى الكبرى مثل مركز **Gallop** على سبيل المثال، دائمًا أن تختار العينات بصورة عشوائية، لأن ذلك يجنبها استخدام مجموعات من الأحداث أو الأفراد ذات خصائص متحيزة. هل تستطيع أن تحدد السمات المتحيزة فى كل من العينات الآتية؟

...

(أ) الأفراد المتواجدون فى منازلهم الساعة الثانية والنصف مساءً للرد على هواتفهم.

(ب) قراء المجلات النسائية المعروفة الذين يتابعون ويجيبون عن استطلاعات الرأى فى تلك المجلات.

هكذا، يجب أن تطرح على كل الدراسات البحثية السؤال " كم عدد الوقائع والأفراد الذين تشملهم العينة؟ وما مقدار اتساع العينة وما مقدار عشوائيتها؟".

تكمن إحدى المشكلات الشائعة التى تنشأ عن عدم الإدراك الكافى بمحدودية عملية اختيار العينات فى مبالغة أصحاب المقالات فى تعميم نتائج أبحاثهم، فهم يقرون تعميمات أوسع من التى يتضمنها البحث. لقد أطلقنا فى الفصل السابع على مثل هذه التعميمات المبالغ فيها اسم أغلوطة التعميم المتعجل. دعونا نلق نظرة فاحصة على المبالغة فى تعميم البحث.

ينتشر السب باستخدام الألفاظ النابية بين أساتذة جامعاتنا، فلقد أظهرت دراسة حديثة أجريت على ثلاثمائة طالبة فى كلية برايسفيل أن أكثر من ٢٠٪ منهن ذكرن تعرضهن لمثل هذا السلوك من قبل أستاذ واحد على الأقل.

إن إجراءات اختيار العينات تمنع الوصول إلى مثل هذا التعميم المسهب. فتقرير البحث السابق يتضمن إمكانية تعميم النتيجة على أى جامعة، فى حين أن البحث أجرى على جامعة واحدة فقط.

إننا لا نثق حتى فى إمكانية تطبيق النتيجة على ذات الجامعة التى أجرى فيها البحث، لأننا لا نعرف مقدار العشوائية التى أختار الباحثون بها العينة. إن تقرير البحث يعد معيباً لمبالغته المفرطة فى التعميم.

تذكر: لا نستطيع التعميم إلا على أفراد وأحداث تماثل تلك التى درسناها فى البحث!

انتبه لاحتمال المبالغة فى التعميم! فهو نزوع إنسانى قوى متغلغل فى النفوس يجب مجابهته باستمرار.

المسوح الإحصائية المتحيزة

المساء ما زال فى أوله، وقد انتهيت لتوك من تناول وجبة الغداء؛ يرن جرس الهاتف لتستمع إلى من يقول لك "نحن نقوم باستطلاع رأى الجمهور". هل

يمكنك الإجابة على بعض الأسئلة؟ إذا أجبت "نعم" ستكون ضمن الآلاف الذين يشاركون كل عام فى استطلاعات الرأى - هذا مثال لإحدى طرائق البحث التى ستتكرر أمامك كثيراً. فكر فى عدد المرات التى سمعت فيها العبارة "وفقًا لاستطلاع حديث للرأى ...".

يستخدم المسح الإحصائى عادة لقياس ميول واعتقادات الأفراد؛ ولكن ما درجة جداره بالثقة؟ يتوقف الأمر على أمور كثيرة! فاستجابات الأفراد للمسح الإحصائى تخضع لمؤثرات عديدة، من هنا ينبغى أن نكون فى غاية الحذر عند تأويل ما يتضمنه من معان. دعنا نفحص بعض هذه المؤثرات.

أولا، كى تكتسب استجابات المسح الإحصائى مصداقية، يتعين الإجابة بأمانة على الأسئلة المطروحة، كما يجب أن تعكس التقارير اللفظية المعتقدات والاتجاهات الفعلية. ولكن الناس، لأسباب عديدة، كثيراً ما يحجبون الحقيقة. فهم قد يتطوعون مثلاً بتقديم إجابات ظنًا منهم أنهم مطالبون بتقديمها، عوضًا عن تقديم إجابات تعكس اعتقاداتهم الحقيقية، وقد يظهرون عداء تجاه المسوح أو الأسئلة المطروحة عليهم، وربما يولون تلك الأسئلة اهتماماً ضئيلاً. إذا حدث وكنت وشاركت فى مسح إحصائى فقد تستطيع التفكير فى مؤثرات أخرى خلاف التى ذكرناها.

تذكر: *ليس بمقدورك أن تسلم بأن التقارير اللفظية تعكس بدقة اتجاهات صادقة.*

ثانيًا، كثيراً ما يكتنف الغموض عملية صياغة الأسئلة؛ من ثم تصبح عرضة لتأويلات متعددة. كما أن استجابة الأفراد على الأسئلة المطروحة تتباين تباينًا كبيراً. تخيل، مثلاً، التأويلات المختلفة الممكنة للسؤال المسح الآتى: هل سعدت بزواجك؟ كلما زاد غموض كلمات المسح قلت ثقتك فى مصداقية نتيجته. يجب دائمًا أن تطرح السؤال "كيف تمت صياغة أسئلة المسح؟" فى العادة كلما تمت صياغة السؤال صياغة دقيقة، زاد احتمال تفسيره بصورة متشابهة لدى مختلف الأفراد.

ثالثًا، يتضمن المسح الإحصائى العديد من التحيزات المبيتة التى تجعلها أكثر عرضة لإثارة الشكوك. وتعد الصياغات المتحيزة والسياقات المتحيزة أهم تلك الأنواع، كما تعد صياغة الأسئلة بصورة متحيزة إحدى المشكلات الشائعة؛ فتغيير طفيف فى طريقة طرح السؤال يمكن أن يكون لها أثر كبير فى طريقة الإجابة عن ذلك السؤال. دعنا نفحص نتيجة مؤسسة على استطلاع حديث ومن ثم ننظر فى مشكلة المسوح الإحصائية:

أرسل عضو كونجرس أمريكى استبيانًا إلى أعضاء دائرته الانتخابية ثم تلقى منهم الاستجابة التالية: ٩٢٪ صوتوا ضد مراكز رعاية الأطفال التى تدعمها الحكومة.

دعونا الآن نتفحص بعناية السؤال الذى ضمنه عضو الكونجرس المسح السابق: "هل تعتقد أنه يتعين على الحكومة الفيدرالية أن تقيم مراكز رعاية للأطفال كى تساعد الآباء فى تنشئة أطفالهم؟" تأمل جيداً هذا السؤال. هل تلاحظ التحيز المبيت المتضمن فى الكلمات الرئيسية "تساعد الآباء على تنشئة أطفالهم". ألا تعتقد أن الاستجابة للسؤال كانت لتختلف لو أنه صيغ على النحو التالى: "هل تعتقد أنه يتعين على الحكومة الفيدرالية أن تقيم مراكز رعاية للأطفال لتساعد الآباء غير القادرين على إيجاد بدائل لرعاية أطفالهم أثناء عملهم؟". هكذا، فإن الاستجابات التى تم الحصول عليها على السؤال السابق لا تعد مؤشراً دقيقًا يقيس اتجاهات الناس نحو مراكز رعاية الأطفال.

يجب باستمرار فحص أسئلة المسوح والاستبيانات لاحتمال تضمنها على تحيزات. كما يجب عليك أن تنتبه جيداً إلى الطريقة التى تصاغ بها الأسئلة! هذا مثال آخر: لقد ميزنا لك الكلمة التى تدل على التحيز باللون الأسود الداكن.

سؤال: هل تعتقد أنه ينبغى أن يسمح لشخص يعانى من اضطرابات الجنسية المثلية أن يضطلع بمهمة تعليم أطفالك الأبرياء.

نتيجة: ٧٥٪ من الناس لا يرغبون أن يعلِّم الجنسيون المثليون أطفالهم.

أما تأثير *السياق* على إجابة سؤال معين فمن الممكن أيضًا أن يكون قويًا. حتى الإجابات المقدمة عن الأسئلة عينها قد تختلف من استطلاع رأى إلى آخر، حيث يتوقف الأمر على طريقة عرض الاستبيان وكيفية وضع السؤال فى المسح. تأمل السؤال الآتى المتضمن فى مسحين إحصائيين حديثين: "هل تعتقد أنه يجب أن يسمح للمرأة الحامل بالحصول على حق الإجهاض إذا كانت متزوجة ولا ترغب فى المزيد من الأطفال؟". لقد سبق هذا السؤال فى أحد المسحين سؤال آخر هو: "هل يجب أن يسمح للمرأة بالإجهاض إذا توافر لها دليل على أن الجنين مشوه؟"؛ بينما فى المسح الثانى لم يسبق السؤال أى سؤال آخر. من هنا فليس من المستغرب أن تختلف نتائج المسحين. هل أدركت كيف أن السياق قد يؤثر فى استجابات الأفراد.

يعد *طول* الاستبانة عاملاً آخر مهمًا يتعلق بموضوع السياق. ففى المسوح المطولة، قد تختلف استجابات الأفراد عن الأسئلة التى تكون فى بداية المسح عن تلك التى تأتى فى نهايته، ويعزى ذلك ببساطة إلى إصابتهم بالإجهاد. كن منتبهًا لتأثير عناصر السياق عند تقويم نتائج المسح.

إذا كانت طريقة استجابة الأفراد للمسح تتأثر بعوامل عديدة غير معروفة لنا، كالرغبة فى إرضاء الباحثين، أو طريقة تأويل السؤال، فهل لنا أن نعتبر شواهد المسوح شواهد جيدة؟ ثمة جدل حاد يدور حول هذا الموضوع، غير أن إجابتنا هى "نعم" طالما كنا حذرين ولا نعمم أكثر مما تضمنه الأدلة. بعض المسوح أفضل سمعة من البعض الآخر. كلما زادت درجة جودة المسح، كان أجدر بك أن تتأثر بنتائجه، وإن كنا ننصحك بالفحص الدقيق لإجراءات المسح قبل التسليم بنتائجه. وعندما تتيقن من سلامة الإجراءات، يمكنك أن تمضى فى استدلال تعميمك المؤسس – ويجب عند التعميم أن تضع فى الحسبان أى تحيز قد تصادفه. فعلى سبيل المثال، إذا انتهيت من مسح استعنت فيه بمشتركى مجلة ذات توجه أيديولوجى معين، يتعين عليك أن تقصر أى تعميم تتوصل إليه على مشتركى تلك المجلة. وعليك أن تدرك أنه حتى

المسوح المتحيزة قد تكون ذات فائدة. من هنا فأنت فى حاجة لأن تتعرف على ماهية التحيزات حتى لا تتأثر سلبًا بما تسفر عنه النتائج.

التقويم الناقد للحجج المؤسسة على الأبحاث

لنشرع الآن فى استخدام تساؤلاتنا المتعلقة بالأبحاث فى تقويم الحجة الآتية التى تمت فيها الاستعانة بشواهد الأبحاث لتوضيح نتيجة معينة:

> **وفق دراسة حديثة، الآباء الذين يحاولون أن يحولوا بين أطفالهم وبين البدانة قد ينتهى بهم الأمر إلى تنشئة أطفال لا يعرفون متى يتوقفون عن التهام الطعام بعد أن يحصلوا على كفايتهم. فقد اكتشفت الدراسة التى أجريت على ٧٧ طفلاً بين الثالثة والخامسة من العمر أن الأطفال الأكثر وزنًا هم من تكون "أمهاتهم" أكثر تحكمًا فيما يختص بكميات الطعام التى تسمح لهم بتناولها. فكلما أقرت الأم بزيادة تحكمها فى كميات الطعام التى يتناولها الطفل كشف ذلك عن انضباط ذاتى متدن لدى ذلك الطفل كما ذكر كل من جونسون وليان ل. برتش فى عدد نوفمبر من دورية طب الأطفال Pediatrics. لقد أجريت تلك الدراسة فى مدرسة تمهيدية لمرحلة ما قبل المدرسة تابعة لجامعة إلينوى فى تشامبين أربانا. انتهت الدراسة إلى أن الأطفال الذين تدعهم أمهاتهم يتناولون الطعام بتلقائية أكثر وتسمح لهم بتناول الطعام عندما يشعرون بالجوع، والذين لا يلتهمون بالضرورة كل ما يقدم لهم من طعام، يظهرون استعدادًا طبيعيًا لتنظيم سعراتهم الحرارية. "وقد يفضى اضطراب هذه الأنظمة الداخلية إلى الإفراط فى تناول الطعام فى مرحلة الطفولة المتأخرة، مما**

قد يتسبب فى بدانة الطفل" وفقًا لرأى أحد خبراء تغذية الأطفال فى المركز الطبى لجامعة ستانفورد.

تم عرض البحث فى السياق السابق فى صورة غير نقدية، فنحن لا نلحظ أى صدى لتفكير ناقد فعال. إن المقال يقبل بطريقة غير ناقدة محصلات البحث. لقد تم نشر الدراسة الأصلية فى دورية ذائعة الصيت، بما يوحى بأنها دراسة متميزة. لكن التقرير لا يشير إلى مواضع القوة أو الضعف فى الدراسة، وإن كان يقدم بعض التفاصيل حول إجراءات البحث حتى نتمكن من الحكم على قيمته كأساس للتعميم. ليس ثمة ما يفيد أن البحث تم تكراره. أيضًا لا نعلم الأسس التى اختار صاحب المقال دراساته وفقًا لها، ولا كيفية انسجام هذا البحث مع الأبحاث الأخرى المتعلقة بأسباب البدانة، كما لا نعرف المنافع الشخصية التى عادت على الباحثين، وإن كنا نستطيع أن نقول إن نشر مثل هذا البحث قد يساعدهم فى الحصول على منح أو ترقيات، مما قد يجعلهم أقل حذرًا فى تأويل ما تسفر عنه أبحاثهم.

هل أفرط الباحثون أصحاب الفقرة السابقة فى التعميم؟ العينة المختارة صغيرة – ٧٧ طفلاً – فضلاً عن عوزها العشوائية والتنوع. إننا نرغب فى طرح عدة أسئلة تتعلق بطرق اختيار العينة: كيف تم اختيار هؤلاء الأطفال؟ وكيف تم عرض فكرة الدراسة على الآباء؟ هل هناك شبهة تحيز فى اختيار الآباء الراغبين فى المساهمة فى مثل هذا النوع من الدراسة؟ هل كنا لنحصل على نتائج مماثلة لو اخترنا عائلات أخرى مغايرة عشوائيًا يذهب أبناؤها إلى عدد أكبر من المدارس من مختلف مناطق الدولة؟ يعد الاقتباس السابق مثالاً جليًا على موضوع الإفراط فى التعميم!

هل الاستبيانات متحيزة؟ تخيل أنك أب طلب منه أن يستكمل استبيانًا معينًا يتعلق بمقدار التحكم فى أطفالك. ألا تعتقد أنه بإمكاننا أن نثير شكوكًا حول دقة الاستجابات المقدمة لمثل هذه الاستبيانات؟ إن المعلومات المتاحة حول صياغة لغة الاستبيان أو حول ترتيب موضوعاته من الضآلة بحيث لا تسمح بالحكم على غموض صياغة الموضوعات واحتمال تحيز الصياغة وتحيز السياق.

لقد أثرنا شكوكًا حول الفقرة السابقة تكفى لزعزعة الثقة فى المزاعم الوقائعية التى تقررها. من هنا يجب أن نستعين ببحوث أخرى قبل أن نقرر مصداقية تلك المزاعم.

والآن لننتقل إلى نوع آخر مختلف تمامًا من الشواهد.

شواهد الأمثلة العينية

> **يتحدث مرشح الرئاسة قائلاً: لقد قدم برنامج حزبنا المعجزات إلى المرأة فى بلادنا. فى واقع الأمر توجد بين الحضور أليس جودكيس، وهى سيدة فى السبعين من عمرها تجشمت عناء الطيران من بلدة صغيرة فى جنوب إلينوى لتكون بيننا اليوم. وبفضل برنامجنا التنشيطى الجديد الخاص بتوظيف كبار السن، فإن أليس تعمل فى وظيفة بدوام كامل فى أحد المستشفيات. أليس، ألا تفضلت بالوقوف؟**

إن أحد أنواع الشواهد المتكررة التى تتعارض تعارضًا واضحًا مع نمط الدراسات البحثية الذى وصفناه آنفًا، والتى ذكرنا أنه يعتمد على دراسة عينات ضخمة ممثله، يتمثل فى الوصف المفصل لشخص أو عدة أشخاص أو أحداث لتدعيم نتيجة معينة. تتأسس مثل هذا الأوصاف عادة على ملاحظات أو مقابلات تتراوح من حيث العمق والدقة والتسطيح. نطلق على مثل هذه الأوصاف أمثلة عينية.

كثيرًا ما يبدأ أصحاب المقالات عروضهم لإقناع الآخرين بتقديم أوصاف مثيرة تتعلق بحالات معينة. فعلى سبيل المثال يبدأ أحد طرق تبرير الحاجة إلى قوانين مشددة للتحكم فى انتشار الأسلحة النارية بعرض أوصاف حية مؤثرة تعتمد على دراسات لحالة أفراد أبرياء قتلوا بالأسلحة النارية.

كثيراً ما تؤثر فينا الأمثلة العينية بسبب كونها مفعمة بالحياة، حافلة بالتفاصيل المثيرة، مما يجعلها يسيرة التصور. وقد تزايد اعتماد المرشحين السياسيين على الأمثلة المشخصة فى خطبهم، لمعرفتهم أن التفاصيل الثرية للأمثلة تولد ردود فعل عاطفية. على ذلك، يجب علينا اعتبار هذه الحالات مجرد أمثلة مؤثرة أو حكايا وليست براهين، كما ينبغى أن يزداد ارتيابنا عند استخدامها شواهد.

إن مثل هذه الحالات المثيرة تلجأ إلى استدرار عواطفنا وتنأى بنا عن السعى نحو البحث عن المزيد من الشواهد البحثية المناسبة. إن وصفاً تفصيليًّا، مثلاً، لأم بدينة مزواجة مترفة تعيش على برنامج المعونة لعشر سنوات حياة تعوزها المسئولية، وتنجب أطفالاً من كل واحد من أزواجها، قد يدفعنا إلى تجاهل المعطيات الإحصائية الأكثر تعبيراً التى تقول إن ١٠٪ فقط ممن يحصلون على المعونة يستمرون على قائمة تلك البرامج لفترة تزيد على أربع سنوات.

انتبه عند استخدام الأمثلة العينية كأدلة إثبات!

على الرغم من أن الأمثلة العينية تتسق مع النتيجة، لا تدع هذا الاتساق يخدعك. اسأل نفسك دائمًا: "هل المثال نمطى متكرر؟" هل هناك أمثلة مضادة قوية؟ هل يوجد تحيز فى طريقة عرض المثال؟ هل الأمثلة الشخصية تكون مفيدة فى بعض الأحوال، حتى وإن لم تكن شواهد جيدة؟ بالتأكيد نعم! فهى شأنها شأن الخبرات الشخصية، تظهر إمكانات مهمة، كما أنها تسبغ طابعًا شخصيًّا إنسانيًّا على الإحصاءات المجردة. وهى تيسر للأفراد الارتباط بموضوع معين ومن ثم يزداد اهتمامهم بذلك الموضوع.

المماثلة شاهدًا

تأمل بدقة بنية الحجج القصيرة الآتية، ركز انتباهك على المبررات المؤيدة للنتائج.

– لا يمكن للتعليم أن يؤهل الرجال والنساء للزواج. إن محاولة تأهيلهم تعليميًا للزواج تشبه محاولة تعليمهم السباحة دون السماح لهم بالنزول إلى الماء. القيام بذلك أمر مستحيل.

– من المسئول عن كل هذا السلوك اللا أخلاقى فى الإدارة الحالية؟ ليس من شك فى أنه الرئيس. يبدأ فساد السمكة، فى الواقع، من رأسها.

ليس من شك فى أنك لا ترغب أن تدخل جسدك ملعقة مليئة بالزرنيخ يوميًّا. لذا فإننى لا أفهم سبب استمرارك فى التدخين، فكلاهما يمكن أن يقضى عليك.

تستخدم الحجج الثلاث السابقة المماثلة شواهد مؤيدة، ويختلف هذا النمط من الشواهد اختلافًا جوهريًا عن أنماط الشواهد التى قمنا بتقويمها من قبل. كيف لنا أن نقرر ما إذا كان شاهد ما محكمًا؟ قبل المضى فى القراءة، حاول أن تحدد قوة تأثير الحجج الثلاث السابقة.

كثيرًا ما يحاول أصحاب المقالات البرهنة على نتيجة تتعلق بأمر لا يكونون نسبيًّا على ألفة به. من هنا يلجأون إلى استخدام المماثلة باعتبارها أحد أنواع الشواهد. وهم يبررون حججهم على النحو التالى: إذا كان الموضوعان متشابهين فى أحد الجوانب فمن المحتمل أن يتشابها فى جوانب أخرى.

فعلى سبيل المثال، عندما سعى الباحثون فى البداية إلى معرفة سبب مرض الإيدز، طابقوا بينه وبين أمراض بدت تشاركه فى بعض السمات، مثل التهاب الكبد الوبائى، ومن ثم حاولوا استدلال نتائج تتعلق بسبب الإصابة بالإيدز وفق ما يعرفونه من معلومات عن الإصابة بتلك الأمراض المماثلة. ونحن نستدل بطريقة مماثلة عندما نقرر مشاهدة فيلم معين لأن صديقًا لنا أوصى بذلك؛ فنحن ننتقل من القول بأنه نظرًا لأننا نشبه بعضنا البعض فى العديد من الأمور التى نحبها أو نمقتها، فإننا سنستمتع بمشاهدة الفيلم نفسه.

سوف نشير إلى الحجة التى تستخدم تشابهًا معروفًا بين شيئين كأساس لنتيجة تتعلق بخصائص غير معروفة نسبيًا عن واحد منهما باسم الاستدلال بالمماثلة. ويعد الاستدلال بالمماثلة أحد الطرق الشائعة لتقديم شواهد تدعم النتيجة.

والمماثلة تقدح زناد الاستبصار لكنها تخدعنا فى نفس الوقت. فمثلاً، تعد المماثلة خصبة بناءة بدرجة عالية فى الاستدلال العلمى والقانونى. فنحن حين نستدل على نتائج تتعلق بالبشر على أساس أبحاث أجريت على الفئران، فإننا نستنتج ذلك بالمماثلة. كما أن الكثير من أفكارنا حول بنية الذرة هو استدلال بالمماثلة. وعندما نتخذ قرارًا فى قضية قانونية، فقد نؤسس ذلك القرار على المماثلة بين تلك القضية وقضايا سابقة. فعلى سبيل المثال، عندما يناقش القضاة موضوعًا ما إذا كان منع حرق علم الدولة يعد انتهاكًا لقوانين حق التعبير التى يكفلها الدستور، يتوجب عليهم أن يقرروا ما إذا كان حرق العلم يشبه من بعض الوجوه حرية التعبير؛ من هنا، فهم يستدلون بالمماثلة. مثل هذا الاستدلال يمكن أن يكون مقنعًا حافلاً بالتبصر.

غير أن استدلالات المماثلة قد تكون بالمثل خادعة. فأحد الرؤساء السابقين لإحدى الدول الأوربية، على سبيل المثال، استخدم لونًا من ألوان المماثلة للدفاع عن إعدام المتهمين باقتراف جريمة الزنا، والدعارة والجنسية المثلية.

ماذا تفعل إذا أصيب إصبعك بالغرغرينا؟ إنك لا تترك الغرغرينا تصيب يدك كلها ومن ثم جسمك بأكمله. كلا، وإنما تجتث الإصبع المصاب. الأمر مماثل مع الفساد. من هنا ينبغى أن نجتث الفساد.

هل تماثل الغرغرينا الزنا والدعارة والجنسية المثلية؟ إطلاقًا. من ثم فإن المماثلة هنا خادعة تمامًا. عندما أحرقت بعض المجتمعات أفرادًا لأنهم اعتبروهم "سحرة"، اعتمدوا على استدلال يوظف مماثلة خاطئة.

تقويم المماثلة

نظرًا لأن الاستدلال بالمماثلة شائع الاستخدام ويحمل إمكانية أن يكون مقنعًا وخادعًا فى الآن عينه، ستكتشف أنه من المفيد لك الإقرار بمثل هذا اللون من الاستدلال وأن تعرف كيف تقيمه بصورة منتظمة. ولكى تحكم على جودة المماثلة، يتعين عليك أن تهتم بعنصرين:

١ - عدد الجوانب التى يتشابه ويختلف فيها الموضوعان اللذان نقارن بينهما.

٢ - تعلق أوجه التشابه والاختلاف بهذين الموضوعين.

تحذير: تستطيع على وجه التقريب دائمًا أن تعثر على بعض أوجه التشابه بين أى شيئين. من هنا، فالاستدلال بالمماثلة لا يكون مقنعًا لمجرد وجود العديد من أوجه التشابه. فالمماثلة القوية تقتضى أن يكون للشيئين اللذين تتم المقارنة بينهما أوجه تشابه وأوجه اختلاف مناسبة. وتحاول كل المماثلات أن توضح المبادئ الأساسية الكامنة خلفها. والتشابهات والاختلافات المناسبة هى تلك التى ترتبط مباشرة بالمبادئ الكامنة التى توضحها بالمماثلة.

دعونا نفحص سلامة الحجة الآتية القائمة على المماثلة:

لا أسمح لولدى بمغادرة المنزل عندما يصاب بالأنفلونزا أو الحصبة. فلماذا يرغب أولئك الآباء أن يبعثوا بصغارهم المصابين بمرض الإيدز إلى المدارس؟ هل يشعر هؤلاء الأطفال بالرغبة فى الجرى، والقفز، واللعب بينما هم مرضى؟ أنت لا تسمح لابنك المريض بالحصبة أن يذهب إلى المدرسة؛ إذن فالأولى أن تدعه فى المنزل إذا كان مصابًا بالإيدز، فهو فى نهاية الأمر مريض.

أحد أوجه التشابه الأساسية بين الحصبة والإيدز تتعلق بإمكان نقل المرض بسبب إرسالهم إلى المدرسة. غير أننا نلاحظ أيضًا بعض أوجه الاختلاف. فالحصبة

تصاحبها أعراض حادة تتلاشى بالتدريج، كما أن فيروس الحصبة ينتقل بسهولة من شخص مصاب إلى آخر معافى. أما تطور أعراض مرض الإيدز فلا يمكن التنبؤ بها بسهولة، فقد تمر فترة طويلة على المريض دون أن تظهر عليه أعراض حادة. كما أن هذا المرض لا ينتقل بسهولة بين الأشخاص لأن انتقاله يتم عن طريق الدم. من هنا، فكثيراً ما يشعر الأطفال المصابون بالمرض بالقدرة التامة على الالتحاق بالمدرسة، ووفقًا لمعرفتنا الراهنة، يبدو أنه من غير المرجح بدرجة كبيرة انتقال المرض من شخص إلى آخر. وحيث إن للاختلافات السابقة دوراً مؤثراً فى قرار استبعاد الطفل من المدرسة، من هنا فهى اختلافات مهمة تتعلق بالموضوع؛ هكذا تفشل تلك المماثلة فى أن تقدم دعماً قوياً للنتيجة.

ثمة إستراتيجية أخرى قد تساعدك فى تقويم الاستدلال بالمماثلة تتمثل فى أن تقدم من عندك مماثلات بديلة لفهم نفس الظاهرة التى يرغب المؤلف أو المتحدث فهمها. فهذه المماثلات التى تقدمها إما أن تؤيد أو تتناقض مع النتائج المستدلة من المماثلة الأصلية. فإذا تناقضت مع النتيجة فإنها فى هذه الحالة تكشف عن مشكلات متضمنة فى الاستدلال الأصلى بالمماثلة.

على سبيل المثال، عندما يزعم المؤلفون أنه ينبغى أن يسمح لمدمنى المشروبات الكحولية بمزايا التأمين الصحى، والحصول على الإجازات المرضية من العمل، فضلاً عن المزايا الأخرى المرتبطة بأمراض الغفلة، فإنهم يستخدمون لونًا من ألوان المماثلة لاستخلاص النتائج المتعلقة بأولئك المدمنين. ذلك أن إدمان المشروبات الكحولية يماثل الأمراض التى ترد إلى أسباب بيولوجية. غير أن مؤلفين آخرين استعانوا بمماثلة بديلة، زاعمين أن إدمان المشروبات الكحولية يماثل "انكسار الإرادة". لاحظ كيف أن التفكير فى هذه المماثلة المختلفة الأخيرة قد يخلق شكوكًا فى قدرة المماثلة الأصلية على الإقناع.

وإليك أحد الطرق المثمرة التى تستطيع أن تحصل بها على المماثلات الخاصة بك.

١ – حدد بعض السمات المهمة للموضوع الذى تقوم بدراسته.

٢ – حاول أن تحدد مواقف أخرى مغايرة ذات خصائص مشابهة تكون على ألفة بها. أطلق العنان لخيالك. العصف الذهنى. حاول أن تتخيل مواقف مختلفة.

٣ – حاول أن تحدد ما إذا كانت المواقف المألوفة يمكن أن تزودك ببعض الاستبصارات حول المواقف غير المألوفة.

على سبيل المثال، عند تفكيرك فى موضوع إدمان المشروبات الكحولية، تستطيع أن تفكر فى المواقف الأخرى التى يلتمس فيها الأفراد إشباعًا لرغباتهم على الرغم من الآثار السلبية المحتملة على المدى البعيد. هل فكرت فى أمور من قبيل التدخين، تناول الطعام، أو المقامرة؟ هل تحفزك هذه الأفكار على التفكير فى طرق أخرى تتعلق بإدمان المشروبات الكحولية؟ لعلك الآن أصبحت قادرًا على التقويم المنهجى للحجج الثلاث القصيرة التى وردت فى مستهل هذا الجزء. اطرح السؤال الذى تود طرحه لتحدد بنية الحجة. ثم اطرح بعد ذلك الأسئلة التى تقيم من خلالها الحجة. ابحث عن أوجه التشابه والاختلاف المتعلقة بالموضوع. وفى العادة كلما ارتفعت نسبة العناصر المتشابهة مقارنة بالعناصر المختلفة المناسبة كانت المماثلة أقوى. كما تكون المماثلة مقنعة بدرجة مؤثرة إذا لم تعثر على عناصر مختلفة مناسبة بينما استطعت العثور على شواهد جيدة تدلل بها على أن أوجه التشابه المتعلقة بالموضوع موجودة بالفعل.

لقد عثرنا على عناصر اختلاف مناسبة أضعفت الأمثلة الثلاثة الأولى للمماثلة. قارن تقويمك لها مع القائمة الآتية:

(المثال الأول) المهارات الأساسية المطلوبة للسباحة الناجحة مهارات حركية؛ بينما تختلف الكثير من المهارات المطلوبة للزواج الناجح عن مثل هذه المهارات الحركية. فهناك مهارات من قبيل إدارة الأموال والتواصل يمكن تعلمها بعيداً عن موضوع الزواج.

(المثال الثانى) تعمل " أقسـام" الإدارة السياسية بصورة أكثر استقلالاً عن عمل "أجزاء" السمكة. يمكن للسلوك اللاأخلاقى المتدنى أن ينشأ عن أسباب مختلفة معقدة.

(المثال الثالث) عند التسمم بالزرنيخ، يكون الموت مباشراً وحتمياً، لكن فى حالة التدخين، لا تبين الإحصاءات أن الموت يكون مباشراً أو حتمياً. أيضًا يقدم التدخين درجة عالية من الرضا والاستمتاع المباشر، بينما الزرنيخ لا يقدم ذلك.

وتندرج المماثلة الخادعة أو المضللة تحت تعريفنا لمغالطات الاستدلال؛ حيث يطلق على هذا اللون من الخداع اسم أغلوطة المماثلة الخاطئة.

- أغلوطة المماثلة الخاطئة: وترتكب عند اقتراح مماثلة تحتوى على أوجه اختلاف متعلقة مهمة.

بهذا المعنى، كل المماثلات خاطئة لأنها تتضمن الافتراض الخاطئ القائل إنه بسبب تشابه شيئين فى جانب أو أكثر، يترتب بالضرورة تشابههما فى جوانب أخرى مهمة. لعله من الأفضل أن تنظر إلى المماثلات على أنها تتدرج من مماثلة فى غاية الضعف إلى أخرى فى منتهى القوة. ولكن حتى أفضل المماثلات تبقى فقط مجرد عامل مساعد ملهم. هكذا، إذا استدل مؤلف معين على نتيجة تتعلق بحالة معينة من خلال مقارنة حالة أخرى، يتعين عليه أن يقدم المزيد من الشواهد لدعم المبدأ الذى تكشف عنه أفضل مماثلة ذات مغزى.

تلخيص

لقد استمر اهتمامنا فى هذا الفصل بموضوع تقويم الشواهد، وقد قمنا بمناقشة الأنواع التالية من الشواهد: الملاحظة، الدراسات البحثية، الأمثلة العينية والمماثلة. ولكل مصدر من المصادر السابقة قوته وضعفه. عادة، تستطيع أن تعتمد

باطمئنان على المزاعم التى يؤيدها المؤلفون أو الكتَّاب مباشرة بواسطة البحث العلمى المكثف. غير أن هناك موضوعات عديدة لم يحسمها البحث العلمى بعد، ومن ثم، يتعين على العلماء أن يلجأوا فى فهمها إلى أبحاث علمية غير مكتملة وعلى المصادر الأخرى للشواهد. يجب أن تكون منتبهًا للمزاعم التى تدعمها ملاحظات متحيزة، والأبحاث ذات التصميم الضعيف، أو المماثلة المعيبة. عندما تصادف أى شاهد، يتعين عليك أن تحدد جودته بالسؤال، "ما هى جودة الشاهد؟"

تمارين تطبيقية

سؤال نقدى: *ما قدر جودة الشاهد؟*

قم بتقويم الفقرات الآتية عبر فحص جودة الشاهد المتضمن.

النص ١

إلى أى حد تؤثر المشكلات العاطفية والأكاديمية فى الأطفال بالتبنى أكثر من تأثيرها فى أقرانهم من غير المتبنيين؟ للإجابة عن هذا السؤال، تم تقويم التطورات السيكولوجية والأكاديمية فى عينة تتكون من ١٣٠ طفلاً بالتبنى و ١٣٠ طفلاً من غير المتبنين تتراوح أعمارهم ما بين السادسة والحادية عشرة، وقامت الأمهات والمعلمون بتقويم تلك التطورات. وقد تم تكليف عائلات من نيوجرسى، بشرق بنسلفانيا ومدينة نيويورك بالاستعانة بجماعات مساعدة الأطفال بالتبنى، مؤسسات التبنى، إعلانات الصحف، والأحاديث الشفهية. أما عائلات المجموعة غير المتبناة فقد تم اختيارهم من خمس مدارس

مختلفة تنتمى لمناطق أخرى فى نيوجرسى ومن خلال إعلانات الصحف. وقد حصل الأطفال المتبنون على درجات أعلى فيما يختص بالمشكلات السيكولوجية والسلوك الدراسى، وعلى درجات منخفضة فيما يختص بالفعالية الاجتماعية والتحصيل الدراسى بدرجة تفوق الدرجات التى حصل عليها الأطفال غير المتبنيين. تؤيد النتائج السابقة الموقف القائل إن نمو المشكلات العاطفية والدراسية يزداد خطراً عند الأطفال بالتبنى.

النص ٢

إننا فى حاجة إلى نظام إجبارى متسق يتعلق بعقاب المجرمين.

دعونا نحدد أرقاماً معينة لكل فعل إجرامى تتناسب مع قسوة ذلك الفعل، ثم نحدد وفقًا لذلك عقوبة للفعل. تلك هى الطريقة الوحيدة العادلة التى نضمن بها أن القضاة سيحكمون على المجرمين بعقوبات عادلة. إن وضع قيمة عددية لجريمة معينة لا يختلف كثيراً عن حساب دخول اللاعب إلى منطقة النهاية فى كرة القدم الأمريكية بست نقاط وحساب إحرازه هدفًا من ركلة أرضية بثلاث نقاط.

النص ٣

حقًا، إن أحد أعظم الحريات التى نتمتع بها كأمريكيين هى حقنا فى نقد ساستنا. غير أننا نحتاج لرسم الحدود التى تقرر متى تضر حرية الحديث بجهودنا لكسب المعركة ضد الإرهاب.

يقول جستس هولمز إن من يرفع عقيرته صائحًا: "حريق!" وسط مسرح مزدحم يسبب مخاطر جلية داهمة ولا يعد فعله من قبيل التعبير الذى يستحق الحماية. من الواضح أن التفوه بأمور قد تضر بجهود الحرب ضد الإرهاب يخلق مخاطر جلية داهمة. ألم يقترح هولمز رسم خط فاصل بينهما؟

إن أولئك الذين يجادلون ضد حظر مثل هذا النوع من الأحاديث قلة. فى ربيع ٢٠٠٢، تم إجراء مسح إحصائى لعينة من مائة شخص فى مركز تجارى ضخم فى هيوستن بولاية تكساس، وتم سؤالهم عما إذا كانوا يؤيدون الجهود الرامية إلى تقييد الحديث اللا وطنى المناوئ للحرب الذى من شأنه أن يضر بجهود الدولة فى حربها ضد الإرهاب. أجاب ثمانين فى المائة من تلك العينة بنعم على ذلك السؤال.

عينات من الأجوبة:

النص ١

النتيجة: خطر المشكلات العاطفية والأكاديمية فى الأطفال بالتبنى أكبر من خطرها فى حالة غير المتبنيين.

المبرر: حصل الأطفال المتبنون على درجات أعلى فيما يختص بالمشكلات السيكولوجية ومشكلات السلوك المتعلق بالدراسة وعلى درجات منخفضة فيما يختص بالفعالية الاجتماعية والتحصيل الدراسى بدرجة تفوق الدرجات التى حصل عليها الأطفال غير المتبنيين.

هذه مجرد دراسة مفردة، وبودنا أن نعرف قدر نمطية هذه النتائج فى الأبحاث الأخرى هذا المجال. أيضًا فإننا لا نستطيع أن نعرف من المعلومات المطروحة ما إذا

كانت الدراسة نشرت فى مجلة علمية حسنة السمعة. على ذلك، نستطيع أن نطرح بعض الأسئلة المفيدة بخصوص هذه الدراسة. من الواضح أن حجم العينة كبير إلى حد مناسب،. وعلى الرغم من أنها أخذت من عدة ولايات فإن سعتها موضع شك. إلى أى حد كان حجم الأسر، مستوى الدخل، وأعمار الآباء نمطيا فى الأسر المتبنية؟ لعل أهم مشكلة فى طريقة أخذ العينات هى افتقار العينة للعشوائية. بحسبان إجراءات الاستقطاب، هل كانت هناك عوامل انتقائية جعلت بعض الآباء يتطوعون للاشتراك فى الدراسة، وهل اختلفت هذه العوامل الانتقائية فى حالة الأسر المتبنية عنها فى حالة غيرها من الأسر؟ قد تكون الأسر المتبنية مثلاً أنزع بوجه عام إلى التطوع حتى لو كان أطفالها يعانون من مشاكل. إذا كانت مثل هذه العوامل الانتقائية فاعلة، فإن العينة متحيزة.

ما مدى دقة قياسات الترتيب؟ هل يمكن الثقة فى قدرة تراتيب الآباء والمدرسين على تبيان التكيف العاطفى بدقة؟ ما مدى موضوعية تراتيب الآباء والمدرسين؟ هل تؤثر الدراية بأن الطفل متبنى فى تحديد رتبته؟ بودنا أن نعرف المزيد حول دقة هذه التراتيب قبل أن نضع ثقتنا فى النتيجة.

النص ٢

النتيجة: *الأحكام المثبتة للمجرمين رغيبة.*

المبرر: تحديد *أحكام المجرمين* شبيه بتحديد *نقاط لعبة كرة القدم.*

يحاول المؤلف إثبات تشابه مهم: بين تحديد نقاط الوصول إلى منطقة النهاية فى لعبة كرة القدم الأمريكية وتحديد نقاط للجريمة. أيضًا فإن نظام النقاط يجعل لعبة كرة القدم منصفة. غير أن تحديد نقاط لفعل إجرامى عملية أكثر تعقيداً بكثير من عملية تحديد نقاط الوصول إلى منطقة النهاية. مثال ذلك، فى حين لا نعتبر ظروف الوصول إلى تلك المنطقة أمراً مهمًا فى كيفية منح النقاط، قد نعتبر ظروف الجريمة

غاية فى الأهمية لتحديد قدر عقاب المجرم. أيضًا، قد نحبذ المرونة واعتبار العامل الإنسانى فى عملية إقرار العقوبات الجنائية التى تعد حاسمة، خلافًا لما يحدث فى سياق كرة القدم – التى هى مجرد لعبة. ربما يكون القضاة أقدر على تحديد العقوبة المناسبة للجريمة بسبب خبرتهم وألفتهم بالقضية. وبسبب العدد الكبير من أوجه الخلاف، نخلص إلى أن هذه المماثلة ليست غاية فى الأهمية.

تلخيص السؤال النقدى

مكمن أهمية هذا السؤال

ما قدر جودة الشواهد؟

عندما يقدم مؤلف معين تبريرًا يؤيد به نتيجة معينة، يجب أن تبحث عن السبب الذى يجعلك تؤمن بهذا التبرير. من خلال تحديد الشاهد المقدم لدعم تبرير معين، فإنك تمضى خطوة أخرى إلى الأمام فى عملية تقويم أهلية التبرير. فإذا كان الشاهد الذى يؤيد التبرير محكمًا، فإنك تستنتج أن التبرير يؤيد النتيجة بصورة جيدة. من هنا، فإنك قد تصبح أكثر رغبة فى قبول نتيجة المؤلف إذا قدم شاهدًا محكمًا لتأييد تبرير معين، والذى يقدم بدوره تأييدًا قويًا للنتيجة.

مختارات من أسئلة الموقع الخاص بالكتاب

حدد الملاحظات الشخصية، الدراسات البحثية، الأمثلة العينية، والمماثلة فى كل من الأمثلة الآتية:

١ - لا أعتقد مطلقًا أن الانترنت يمكن أن يكون مصدرًا موثوقًا يستخدمه الطلبة فى أعمالهم، على الأقل إذا ظلت دون ضوابط كما هو الحال عليه الآن. إذا استمرت الإنترنت فى ظل هذا الكم الهائل من المواقع دون وجود طريقة محددة للتحقق من مصداقية المعلومات التى تعرضها، فستبقى مجرد وسيلة غير مأمونة العواقب.

٢ - الشخص الأول: الالتحاق بكلية صغيرة أفضل كثيرًا من الالتحاق بجامعة كبيرة، لأن الجامعات الكبيرة لا تقدم الرعاية الشخصية والاهتمام الذى تمنحه الكليات الصغيرة. فالجامعات الكبيرة تعجز عن الاستجابة لحاجات كل طالب وطالبة بنفس الطريقة التى تستجيب بها الكليات الصغيرة لهذه الحاجات. إن الجامعات الكبيرة تشبه الفيل الضخم الذى يتحرك ببطء محطمًا كل الأشجار الصغيرة فى طريقه.

الشخص الثانى: أنا أخالفك الرأى، لأننى أعتقد أنه كلما زاد عدد الطلبة الملتحقين بجامعة معينة زادت وتنوعت المقررات والخدمات التى تقدمها الجامعة. إننى أعتقد أن الجامعات تشبه حفلات عيد الشكر التى يحضر كل مدعو فيها طبقًا من أطباق الطعام التى يفضلها، وكلما زاد عدد المدعوين، زاد عدد الأطباق التى يحضرونها معهم ومن ثم تنوعت الوجبات المقدمة.

٣ – أظهرت دراسة حديثة أن الملاكمين يعانون من تلف خلايا المخ نتيجة الرياضة العنيفة التى يمارسونها. لقد اتصل الباحثون القائمون على تلك الدراسة هاتفيًا بثلاثة وعشرين ملاكمًا ممن اعتزلوا اللعبة وممن كانوا:

١ – بين الخامسة والعشرين والستين من العمر،

٢ – يعيشون حاليًا فى ولاية نيويورك،

٣ – لم يعتزلوا الملاكمة لأسباب صحية، أو لمرض عصبى، أو أسباب نفسية،

٤ – اعتزلوا الملاكمة قبل عام على الأقل من القيام بالدراسة،

٥ – لم يكن لهم تاريخ مرضى عضوى أو عصبى أو نفسى،

٦ – لم يعرف عنهم الإفراط فى تعاطى المشروبات الكحولية أو المخدرات. وقد تطوع ثمانية عشر ملاكمًا من بين العدد السابق للمشاركة فى الدراسة. وقد اشتملت المجموعة على بطلين محترفين سابقين وثلاثة منافسين مصنفين ضمن الفئة ذات المستوى الرفيع، وملاكم واحد كان معروفًا بضرباته الساحقة؛ أما الآخرون فعرف عنهم أنهم ملاكمون فنانون أجادوا استخدام العلم فى توقع الضربات والدفاع عن النفس. واقتضت الدراسة مرور كل ملاكم بفحوص عصبية، وفحص مقطعى بالأشعة للمخ (لقياس مقدار ضمور المخ) واختبارات كهربية وسيكولوجية أخرى. وقد كشف الباحثون عن وجود شواهد تبين حدوث تلف بالمخ فى اختبارين على الأقل لدى ثلاثة عشر ملاكمًا من بين خمسة عشر ملاكمًا محترفًا، وشواهد أخرى تبين وجود تلف مخى طفيف لدى الملاكمين الهواة الثلاثة المشاركين. وانتهى المؤلفون إلى أن تلف المخ يتكرر عند الملاكمة المحترفين.



الفصل العاشر

الأسباب المنافسة



دعونا نستهل هذا الفصل بالقصة التالية:

بعد أن هيأ الباحث بدقة الظروف لبرغوث كى يقفز خارج الصندوق عقب سماعه صوتًا مرتفعًا، قام بقطع الزوج الأول من أرجله ليرى أثر ذلك على سلوكه. عندما لاحظ أن البرغوث ما زال قادرًا على القيام بالمهمة، قام بقطع الزوج الثانى من أرجله . وعندما لم يلحظ اختلافًا فى أدائه، اجتث الزوج الأخير من أرجل الحشرة ليكتشف أنه لم يعد يستطيع القفز. وهنا، دوّن الباحث فى مذكراته "عند قطع كل أرجل البرغوث، يفقد حاسة السمع"[٥].

توضح هذه القصة هدفًا مشتركًا من وراء استخدام الشواهد: الإجابة عن السؤال "ما سبب حدوث أمر معين؟". مثلاً، ما السبب فى انخفاض معدل جرائم القتل فى الولايات المتحدة عام ٢٠٠٠؟ أو ما السبب فى زيادة معدل حالات الاكتئاب بين المراهقين خلال العقد الماضى؟

توضح القصة أيضًا صعوبة سائدة عند استخدام الشواهد للبرهنة على أن شيئًا سبّب شيئًا آخر - مشكلة *الأسباب المنافسة*. قدم الباحث المتخيل فى الفقرة السابقة تأويلاً واحدًا لمحصلات بحثه: وهو أن قطع أرجل البرغوث يؤثر على قدرته

(5) Adopted from Schuyler W. Huck and Howard M. Sandler, Rival Hypotheses (New York : Harper & Row, 1979) p. xiii.

على السمع. نتوقع أنك تستطيع العثور على تأويل آخر أكثر معقولية يفسر عدم قدرة الحشرة على القفز.

وهكذا، توضح هذه القصة أن الشاهد نفسه يمكن أن يتسق مع العديد من التأويلات المختلفة. نشير إلى هذه التأويلات المختلفة بمصطلح الأسباب المنافسة. وكما يشير استخدامنا للمصطلح، فإن الأسباب المنافسة تشتمل على بعض التأويلات البديلة، التى تختلف مع تأويل صاحب المقال لسبب حدوث الأشياء على النحو الذى وقعت عليه.

على الرغم من أن الأسباب المنافسة نادرًا ما تكون بوضوحها فى قصتنا السابقة، كثيرًا ما ستواجه خبراء يعرضون عليك فرضًا يفسرون به أحداثًا أو نتائج بحث معين فى الوقت الذى يمكن لفرض آخر أن يفسر هذه الأحداث أو تلك النتائج. وفى العادة لا يكشف لك هؤلاء الخبراء عن الأسباب المنافسة، حيث يتوجب أن تعثر عليها بنفسك. ويمكن لهذا الأمر أن يساعدك فى الإجابة عن السؤال "ما قدر جودة الشواهد؟" لأن وجود أسباب منافسة متعددة محتملة للأحداث يقلل من ثقتنا فى السبب الأصلى الذى يقدمه المؤلف.

ودائما ما يكون البحث عن أسباب منافسة ضروريًّا حين يقدم لك المتحدث أو المؤلف بعض الشواهد ثم يقدم سببًا لتفسيرها.

سؤال نقدى: هل توجد أسباب منافسة؟

انتبه: السبب المنافس تأويل ممكن، يختلف عن تأويل المؤلف، يمكن أن يفسر لنا سبب حدوث نتائج معينة.

متى نبحث عن أسباب منافسة

يجب أن تبحث عن أسباب منافسة عندما يكون لديك سبب وجيه للاعتقاد فى أن المؤلف أو المتحدث يستخدم الشواهد لتعضيد زعم ما عن سبب حدوث شىء ما.

مصطلح سبب يعنى "يحدث، يؤثر، يجعل الشئ متحققًا". وهناك عدة طرق تبين لك استخدام أصحاب المقالات للتفكير السببى سوف نذكر لك بعضها.

س له الأثر...

س تيسر عمل...

س تؤدى إلى...

س تؤثر فى ...

س عنصر فى ...

س ترتبط بـ...

س تتصل بـ...

س تعوق عمل...

يترتب على س....

س تزيد من احتمال حدوث...

س تحدد...

س تسهم فى ...

س تتعلق بـ...

يجب أن تساعدك الملاحظات السابقة على إدراك استخدام صاحب المقال المزاعم السببية. حين تلاحظ مثل هذه المزاعم، انتبه لاحتمال وجود أسباب منافسة.

شيوع الأسباب المنافسة

مساء الأحد ٢٣ ديسمبر عام ١٨٨٨، قطع فنسنت فان جوخ، الذى كان عمره آنذاك ٣٥ عامًا، الجزء الأسفل من أذنه اليسرى، ثم ذهب إلى أحد بيوت البغاء، حيث قدم الأذن المقطوع إلى بغى اسمها راشيل وطلب منها أن "تحفظ ذلك الشىء بعناية".

قدم المؤلفون العديد من الفروض لتفسير هذه الواقعة؛ من بين هذه التفسيرات:

١ - كان فان جوخ محبطًا من حدثين وقعا له مؤخرًا وهما: خطبة أخيه ثيو من الفتاة التى كان فان جوخ متيمًا بها، ثم فشله فى محاولة إقامة علاقة عمل وصداقة مع بول جوجون. انصبت ردود فعل فان جوخ العدوانية التى أثارتها هذه الاحباطات فى البداية نحو جوجون، ثم تحولت إليه هو شخصياً بعد ذلك(٦).

٢ - كان لدى فان جوخ تعاطف كبير مع البغايا وقد توحد مع وضعهن باعتبارهن منبوذات اجتماعياً. أحد الافتراضات يذهب إلى أن حادث تمثيله بنفسه كان انعكاسًا لهذا التوحد. "فى يونيو، قبل قطعه لأذنه بأشهر قليلة، كتب فان جوخ يقول إن البغى تشبه قطعة اللحم فى محل القصاب؛ وهكذا، عندما تعامل مع جسده باعتباره قطعة لحم فى محل قصاب فقد عكس الأدوار، لأنه توحد مع البغى، مظهرًا تعاطفه معها"(٧).

---

(6) William M. Runyan, *Life Histories and Psychobiography* (New York: Oxford University Press, 1982): 38-39.

(7) Ibid., p. 40.

٣ – من المحتمل أن فان جوخ مر بخبرات هلوسة سمعية مخيفة خلال هجومه العصابى تماثل تلك التى كان يمر بها فى نوباته الأخرى. بعد وقوع ذلك الحادث، وبينما كان فى المصحة العقلية، كتب يقول إن المرضى الآخرين يسمعون أصواتًا غريبة تماثل تلك التى كان يسمعها، وذكر فى إحدى المرات أن السبب فى ذلك يرجع إلى مرض ينتاب أعصاب الأذن. هكذا، حتى عندما كان يمر بحالة عصابية، كان فان جوخ قادرًا على معرفة أن أذنه معتلة ومن ثم فقد قام بقطعها كى يخرس الأصوات المزعجة[٨].

فى الآونة الأخيرة، مر مثال فان جوخ والأذن المفقودة بمنعطف كثيرًا ما يتكرر عند البحث عن الأسباب. اتضح أن السبب المنافس الذى لم يعره أحد اهتمامًا هو السبب الأكثر ترجيحًا. الشواهد الحديثة تذهب إلى أن فان جوخ كان يعانى من التهاب فى الأذن الوسطى، وأنه قطع أذنه ليخفف من الآلام المبرحة.

والآن لنترك مثال فإن جوخ برهة كى نفحص حدثًا آخر يحتاج إلى تفسير. وهو عبارة عن محصلات دراسة بحثية.

أفاد تقرير لأحد الباحثين فائدة علاج الصداع بتمارين الارتخاء والتغذية الحيوية الارتجاعية biofeedback. وقد بينت الدراسة انخفاضًا فى شدة الصداع لدى ثلاثة أرباع عينه من ٩٥ شخصًا يعانون صداعًا عصبيًا مزمنًا و٥٠ فى المائة من عينة مكونة من ٧٥ مصابًا بالصداع النصفى، بعد تعليمهم كيفية ارخاء الرأس والرقبة وعضلات الأكتاف والتحكم فى التوتر العصبى بطريقة التغذية الحيوية الارتجاعية.

---

(٨) Ibid., pp. 40-41.

ربما يكون الباحث فى الدراسة السابقة قد بدأ بالفرض القائل إن تمارين الارتخاء تسبب انخفاضًا فى آلام الصداع؛ وقد وجد شواهد تتسق مع ذلك الفرض. لكن دعونا نقدم عدة أسباب منافسة، أو مختلفة، للنتائج نفسها.

١ - كان المشاركون فى البحث قابلين للإيحاء بدرجة كبيرة، من هنا فتوقع التحسن كان سببًا فى تغير حالتهم؛ وكما هو الحال فى تأثير حبة السكر التى يوحى لمتناولها أنها مهدئة، ربما كانت معرفة المرضى بتحسن حالتهم حافزًا لبعض العمليات الذهنية والبدنية التى سببت شعورهم بالتحسن.

٢ - أراد المشاركون استرضاء الباحثين؛ ولذا ذكروا أنهم شعروا بالتحسن على الرغم من مخالفة ذلك للواقع.

٣ - تطوع معظم المشاركين عندما كانوا يمرون بضغوط حياتية عصبية حادة؛ ثم مروا خلال الدراسة بخبرة انخفاض ضغوط الحياة العصبية؛ من هنا كان هذا الانخفاض هو ما يفسر لانخفاض الأعراض.

والآن لندع البحث العلمى برهة لنفحص إحدى الحجج المتعلقة بالإحصاءات الصحية فى إحدى الصحف اليومية.

فى عام ٢٠٠٠ زادت تكاليف الرعاية الصحية ٧,٢٪ وهى أعلى زيادة خلال عقد كامل. يجب على المستشفيات الإقلال من زيادة استخدام التشخيص بالوسائل التكنولوجية، وإجراءات العلاج باهظة الثمن، من قبيل زرع الأعضاء وطرق التشخيص بالرنين المغنطيسى.

يفترض الباحث أن استخدام المستشفيات للإجراءات التكنولوجية المتقدمة يؤدى إلى ارتفاع تكاليف الرعاية الصحية. لكن دعونا مرة أخرى نستخلص بعض الأسباب المنافسة المغايرة:

١ – يزداد عدد كبار السن فى بلادنا، من ثم تزداد التكاليف الصحية لأن كبار السن فى حاجة إلى رعاية صحية تفوق ما يحتاجه صغار السن على وجه العموم.

٢ – يزداد عدد الدعاوى القضائية التى يرفعها المرضى على الأطباء والتى يطالبونهم فيها بتعويضات مالية ضخمة كما يدفعون مبالغ كبيرة للمحامين؛ مما يحمل شركات التأمين على رفع معدلات أقساطها للأطباء، وهذا يجعل الأطباء يلجأون بدورهم إلى رفع أجور خدماتهم.

٣– ارتفعت أسعار الأدوية ارتفاعًا شديداً وزاد فى الوقت نفسه اعتماد المرضى على علاج أبسط الأعراض بالأدوية.

والآن لننظر فى بعض الدروس التى يمكن استخلاصها من موضوع فان جوخ، والدراسات البحثية، وإحصاءات الرعاية الاجتماعية.

الدروس المستفادة

١ – العديد من الأحداث قابلة للتفسير بواسطة الأسباب المنافسة، ويشمل ذلك الدراسات الإكلينيكية، والدراسات البحثية، واتجاهات سوق الأسهم، وإحصاءات الإعلانات، وبيانات الصفحات الرياضية، ونتائج أسباب سقوط الطائرات، والأحداث التاريخية.

٢ – عند اختبار الشواهد نفسها، قد يستخلص الخبراء أسبابًا مختلفة لتفسيرها.

٣ – على الرغم من أن العديد من التفسيرات يمكن أن "تتوافق مع الوقائع"، فإن بعضها يبدو مناسباً أكثر من غيره.

٤ – معظم أصحاب المقالات يعرضون أسبابهم المفضلة فقط؛ وعلى القارئ أو المستمع الناقد أن يأتى بأسبابه المنافسة.

٥- تعتبر عملية تقديم أسباب منافسة عملية خلق إبداعى؛ لأن مثل هذه الأسباب لا تكون فى العادة واضحة.

٦- كثيراً ما يفشل حتى الباحث صاحب الاتجاه "العلمى" فى الإقرار بأسباب منافسة مهمة بالنسبة لمحصلات بحثه.

٧- أخيراً، يرتبط يقين زعم سببى معين عكسيًّا بعدد الأسباب المنافسة الممكنة.

سوف نفحص فى الجزء التالى مترتبات هذه الدروس بالنسبة للمفكر الناقد.

اكتشاف الأسباب المنافسة

يماثل العثور على الأسباب المنافسة ما يقوم به رجل التحرى المتمرس. فعند مواجهتك لمواقف يحتمل أن تعثر فيها على أسباب منافسة، عليك أن تطرح على نفسك أسئلة من قبيل:

- هل يمكننى التفكير فى طريقة أخرى لتفسير الشواهد؟

- هل هناك سبب آخر يمكن أن يعزى إليه هذا الحدث أو تلك النتائج؟

- إذا فكرت فى الأمر من وجهة نظر مغايره، ما الذى يمكن أن أعده أسبابًا مهمة؟

- إذا لم يكن هذا التفسير معقولاً، ما التفسيرات الأخرى المعقولة؟

وحاول أثناء بحثك عن الأسباب المنافسة، أن تتعامى عن تفسير المؤلف، ثم حاول بعد ذلك أن تضع تفسيرك الخاص.

السبب الوحيد أم أحد الأسباب

يقع حادث قتل جماعى فى مدرسة معينة. تبدأ مذيعة أحد البرامج الحوارية فى مقابلة المختصين بحثًا عن السبب، وتأتى إجاباتهم على النحو التالى. السبب هو توافر الأسلحة. إنه يرجع إلى إهمال الآباء. بل إنه العنف الناجم عما يعرضه التليفزيون من برامج. إنه فقدان الوازع الدينى. بل الضغوط العصبية. هكذا قد يزعم الخبراء أن لديهم الإجابة، ولكن معرفتهم بها تكون غير مرجحة. ومرد ذلك يعود إلى أحد الأخطاء النمطية المتكررة والمتمثل فى البحث عن سبب واحد بسيط لحدث معين فى الوقت الذى يعزى وقوعه إلى مجموعة من الأسباب المجتمعة - فسبب الحدث إذن يساعد فى خلق مجموعة من الشروط الضرورية لوقوعه.

ويتكرر إسهام الأسباب المتعددة فى تفسير حدث معين أكثر من تكرار إسهام سبب واحد، خاصة فى المواقف التى تتضمن خصائص أو أنشطة إنسانية. وفى الكثير من الحالات، يكون أفضل تفسير سببى هو الذى يتضمن عددًا كبيرًا من الأسباب التى لا تكفى إلا حال اجتماعها فى تفسير تحقق ذلك الحدث. من هنا، فأفضل إجابة ينبغى أن يقدمها الخبراء المختصون ردًا على سؤال مقدم البرنامج الحوارى هى "نحن لا نعرف السبب وراء مثل هذه الأحداث" غير أننا نستطيع أن نفكر فى أسباب عديدة ربما تكون ساهمت فى صنعها". هكذا، عند بحثنا عن أسباب منافسة، يجب أن نتذكر أن أى سبب واحد مفرد من المحتمل أن يكون سببًا مساهمًا ولكنه ليس السبب الوحيد.

وعندما يعجز كاتب المقال عن وضع الأسباب المعقدة فى الاعتبار، فإنه يرتكب الأغلوطة الآتية:

أغلوطة الإفراط فى تبسيط الأسباب: تفسير حدث معين بالاعتماد على عوامل سببية لا تكفى لتفسير الحدث، أو الإفراط فى تبسيط دور واحد أو أكثر من هذه العوامل.

وتعتبر معظم التفسيرات السببية، بمعنى من المعانى، تبسيطًا مفرطًا؛ من ثم يجب أن تكون منصفًا مع أصحاب المقالات الذين لا يعرضون كل الأسباب الممكنة لوقوع حدث معين. بيد أن النتائج السببية، يجب أن تتضمن عناصر تفسيرية تكفى لإقناعك بأنها ليست مفرطة فى التبسيط، أو يتعين على المؤلف أن يوضح لك أن العامل السببى الذى يؤكد عليه فى نتيجته إن هو إلا واحد ضمن مجموعة من الأسباب المحتملة - فهو سبب، وليس السبب.

الأسباب المنافسة والبحث العلمى

يحاول البحث العلمى أن يميز بعض الأسباب المهمة التى تساهم فى تفسير حدوث الأشياء عن الأسباب غير الحقيقية، كما يقدم لنا مصدرًا رئيسًا للفروض التى تفسر الأحداث التى تقع فى العالم. يبدأ الباحثون باعتقادات مؤقتة - فى صورة فروض - تتعلق بأسباب الأحداث. فعلى سبيل المثال، قدم الباحثون فروضًا عديدة لتفسير حدوث مرض الإيدز. يعزو أحد هذه الأسباب حدوث المرض إلى الإصابة بفيروس معين. وبعد أن يتأسس الفرض على قواعد راسخة ترتكن إلى شهادة أبحاث مستقلة، فإنه يتحول من فرض إلى قانون. ومع هذا، فإن مجال السلوك الإنسانى المعقد يحتوى على عدد قليل من القوانين العامة الراسخة. المزاعم الشائعة من قبيل "العنف التليفزيونى يسبب وقوع الجريمة" و "اهتمام الآباء بأطفالهم يقودهم إلى الشعور بالأمان العاطفى فى سن البلوغ" تأخذ صورة القانون، بيد أنه يجب أن تظل الشكوك تساورنا فى قابليتها للتعميم. ويجب اعتبارها فى الوقت الراهن فروضًا، لا قوانين، ومن الأفضل صياغتها على النحو التالى: " قد يسهم العنف التليفزيونى فى وقوع نوع معين من الجرائم"، و "قد يكون اهتمام الآباء بأطفالهم سببًا يسهم فى شعورهم بالأمان العاطفى فى سن البلوغ".

والآن، ما الذى يجب أن نفعله عندما يستخدم المتحدثون أو الكتاب محصلات دراسات بحثية ليستنتجوا أن حدثًا يسبب الآخر؟ أولاً، تذكر أنه يجب أن نعتبر

نتائجهم مجرد سبب، وليس السبب. ثم حاول أن تعرف كل ما تستطيع معرفته حول إجراءات البحث التى تم استخدامها للوصول إلى المتحصلات التى تؤيد الفرض. أخيراً، حاول أن تحدد الأسباب المنافسة التى قد تفسر المتحصلات. كلما زاد عدد الأسباب المنافسة الممكنة التى يمكن أن تفسر المتحصلات، تضاءلت ثقتك فى الفرض الأثير لدى صاحب المقال.

وحيث إن احد الأهداف الأساسية للبحث العلمى تتمثل فى الإقلال من عدد الفروض المناسبة لتفسير نتائج الأبحاث، فإن العلماء اخترعوا عدة طرق لاستبعاد أو حذف الأسباب المنافسة الممكنة. وفى بعض الأحيان تنجح هذه الطرق نجاحًا باهراً، بحيث يبقى فرض واحد تعززه الشواهد. على الرغم من ذلك، تعجز معظم الأبحاث فى استبعاد فروض منافسة مهمة بصورة كافية، خاصة الأبحاث التى تتعلق بالسلوك الإنسانى المعقد.

دعونا نستخدم الحجة التالية للتدريب على الكشف عن الأسباب المنافسة:

يبدو أن تناول جرعات يومية من فيتامين هـ (E) يمنع خطر الإصابة بأمراض القلب بنسبة تتراوح بين الثلث والنصف، وفقًا لنتائج دراسة كبرى حديثة. وتدعم هذه النتائج الاعتقاد الذى راج حديثًا بأن الفيتامينات وما يسمى مضادات الأوكسيد an-tioxidants مفيدة للقلب. جاءت هذه النتائج من خلال دراسة على الممرضات، اشتملت على عدد ٨٧٢٤٥ ممرضة من مختلف مناطق الولايات المتحدة. وقد تناول ١٧٪ من الممرضات فيتامين هـ، وخلال ثمانية أعوام من المتابعة، تعرضت ٥٥٢ امرأة منهن لأزمات قلبية. وقد اكتشف الباحثون أن النساء اللائى تعاطين فيتامين هـ لأكثر من عامين أقل تعرضًا لمخاطر الإصابة بالأزمات القلبية بنسبة ٦٤٪.

هل معنى ذلك أن تسارع لتشترى فيتامين هـ؟ ليس قبل أن تفحص بعض الأسباب المنافسة! فما الطرق الأخرى التى يمكن أن نفسر بها اختلاف تلك المجموعة؟

دعنا نحدد أولاً الاستدلال:

النتيجة: *(فرض الباحثين) يبدو أن تعاطى جرعات يومية من فيتامين هـ تمنع خطر الإصابة بأمراض القلب بنسبة تتراوح بين الثلث والنصف.*

المبرر: *(شواهد الباحثين) أظهرت الدراسة البحثية أن النساء اللائى تعاطين فيتامين هـ انخفضت مخاطر إصابتهن بالأزمات القلبية بنسبة تفوق اللائى لم يتعاطين الفيتامين.*

لاحظ أن كلمات "يبدو أنه تمنع" الواردة فى النتيجة تخبرنا أن الباحث يقدم زعمًا سببيًا يتعلق بالشواهد. غير أن هناك فروضًا أخرى يمكن أن تفسر تلك الشواهد.

يفشل التقرير فى أن يخبرنا عن سبب تعاطى سيدة معينة فيتامين هـ. أليس محتملاً أن المرضات اللائى تعاطين فيتامين هـ كن من النمط الذى يحافظ على عادات صحية جيدة، من قبيل إجراء تمارين رياضية بصورة متكررة وعدم تناول أطعمة دسمة؟ وإذا كان الأمر كذلك، فإن الاختلاف المتمثل فى القيام بالتمارين الرياضية والعادات الغذائية المختلفة قد يكون فرضًا منافسًا محتملاً يفسر التفاوت فى خطر الإصابة بالأزمات القلبية بين المجموعتين. أيضًا، قد تكون النساء اللائى تعاطين فيتامين هـ أكثر ثراءً من الأخريات ومن ثم فقد يتعرضن لمستوى منخفض من ضغوط الحياة العصبية بصفة عامة. لا ريب أنك تستطيع أن تفكر فى أسباب أخرى توضح تباين هاتين المجموعتين - متعاطيات وعدم متعاطيات فيتامين هـ - فى تعرضهن لمخاطر الإصابة بالأزمات القلبية.

لا نستطيع من جانبنا أن نطلعك على كل الأسباب المنافسة المحتملة. لكننا فى الجزء التالى، سنقدم لك العديد من المفاتيح التى تساعد فى الكشف عن الأسباب المنافسة الشائعة.

الأسباب المنافسة المتعلقة بالاختلافات بين المجموعات

تكمن إحدى أشهر الطرق لدى الباحثين لمحاولة الكشف عن سبب حدث معين فى مقارنة المجموعات. فعلى سبيل المثال، كثيراً ما تقابلك الإشارات الآتية عند مقارنة المجموعات المختلفة:

قارن الباحثون بين مجموعة تجريبية ومجموعة ضابطة.

تلقت واحدة من المجموعتين العلاج X؛ بينما لم تتلق المجموعة الأخرى أى علاج.

تمت مقارنة مجموعة تعانى من انسداد الشرايين بأخرى لا تعانى من ذلك.

عندما يعثر الباحثون على اختلافات بين مجموعتين، فإنه كثيراً ما ينتهوا إلى القول بأن "تلك الاختلافات تؤيد فرضنا". فعلى سبيل المثال، قد يقارن باحث ما مجموعة من مرضى السرطان تم علاجهم بعقار جديد بمجموعة أخرى ضابطة من مرض السرطان لم تتلق هذا العقار، ويكتشفون أن المجموعتين اختلفتا فى الشفاء من المرض، ومن ثم يستنتجون أن العقار الجديد هو سبب الاختلاف. تكمن المشكلة فى أن مجموعات البحث غالبًا ما تختلف فى أكثر من جانب واحد، ومن ثم فالاختلافات بين المجموعات كثيراً ما تتسق مع الأسباب المتعددة. هكذا، عندما ترى أصحاب المقالات يستخدمون نتائج الاختلافات بين المجموعات ليؤيدوا سببًا معينًا، عليك دائمًا أن تسأل "هل هناك أسباب أخرى منافسة قد تفسر أيضًا الاختلافات بين المجموعتين؟"

لنلق نظرة على دراسة مقارنة بين مجموعتين. حاول أن تعثر على أسباب منافسة.

فى دراسة بحثية حديثة، تم الحكم بأن المدرس A الذى يقوم بتدريس مقرر المناهج فى علم النفس أفضل من المدرس B الذى يقوم بتدريس المقرر نفسه، لأن طلبة المدرس A كان أداؤهم فى المتوسط أفضل من طلبة المدرس B فى الامتحان النهائى الشامل الموحد القائم على أسلوب الاختيارات المتعددة.

لدينا فى المثال السابق مجموعتان: فصول المدرس A وفصول المدرس B. والسؤال الذى نود أن نطرحه هو "هل تختلف المجموعتان فى جوانب أخرى مهمة غير تلك التى خبروها فى الدراسة؟". هل تعتقد أن أحد الاختلافات المهمة التالية بين المجموعتين يمكن أن تفسر اختلاف درجات كل منهما؟

- *الاختلاف فى متوسط ذكاء الطلبة*، فمن المحتمل أن عددا أكبر من الطلبة الأذكياء التحقوا بفصل المدرس A مقارنة بعدد الأذكياء الذين التحقوا بفصل المدرس B، ربما لأنه علموا أن المدرس A أكثر جدية.

- *الاختلاف فى الدافعية*. ربما كان موعد أحد الفصول مبكرًا عن الآخر، ومن المحتمل أن الطلاب الذين يلتحقون بالفصول المبكرة يكونون أكثر دافعية فى التعلم من الطلاب الذين يلتحقون بالفصول التى تعقد متأخرة. أو ربما كان الاختلاف الشديد فى شخصية كل من الأستاذين سببًا فى التأثير على دافعية الطلبة.

لعلك توصلت إلى اختلافات أخرى مهمة. تذكر: تسهم عناصر كثيرة فى الاختلاف بين المجموعات المبحوثة !

الخلط بين السببية والارتباط

لدينا نزوع موروث نحو "رؤية" الأحداث المترابطة، أو التى تأتلف مع بعضها، باعتبار الواحد منها سبب الآخر. إننا نستنتج من ارتباط الخاصية X (كم مشاهدة

التليفزيون مثلاً) بالخاصية Y (الأداء فى المدرسة، مثلاً)، أن X سبب Y. فيما يلى أمثلة على هذا الضرب من الاستدلال:

١ - فى الولايات التى تضع قيوداً على سرعة السيارات نسبة الوفيات الناجمة عن حوادث الطرق أكثر انخفاضاً من الولايات التى لا تضع مثل هذه القيود، ومن ثم، فالقيود التى تحد من سرعة السيارات تمنع الوفيات.

٢ - يزداد غياب رب الأسرة عن المنزل عند الأحداث الجانحين بنسبة تفوق غيابه عند غير الجانحين، ولا فإن غياب رب الأسرة يسبب جنوح الأحداث.

عندما نفكر بهذه الطريقة، فإننا فى الغالب نكون مخطئين! لماذا؟ فى العادة، لأن الفروض المتعددة يمكن أن تفسر سبب ارتباط X و Y. وفى واقع الأمر، هناك أربعة أنواع مختلفة من الفروض على الأقل تفسر مثل هذا النوع من العلاقات. إن معرفة هذه الفروض سوف تساعدك فى اكتشاف الأسباب المنافسة.

دعونا نوضح كل واحد من هذه الفروض بمثال بحثى.

أظهرت دراسة حديثة أن "العدوانية تضر بصحة المرأة ". درس الباحثون ١٠٢ امرأة لما يربوا على ٣١ عاماً حيث وجدوا أن النساء اللائى يتميزن بدرجة عدوانية عالية فى أعمار ٢١، ٢٧، ٤٣ يعانين من المرض عند بلوغ الثانية والخمسين بنسبة تفوق النساء الأقل عدوانية. "وتتراوح تلك الأمراض بين نزلات البرد والأمراض الخطيرة". من هنا افترض الباحثون أن الغضب قد يولد هورمونات التوتر العصبى أو يضعف المناعة.

هل ينبغى على النساء اللائى ترتفع درجة العدوانية لديهن أن يقلقن على صحتهن البدنية؟ ليس بعد. فقبل أن يحدث ذلك، ينبغى أن يضعن فى الاعتبار أربعة تفسيرات ممكنة لنتائج ذلك البحث:

- التفسير الأول: أن X هى سبب Y (أى أن العدوانية تضعف بالفعل صحة المرأة).

- التفسير الثانى: Yهى سبب X (قد تسبب صحة المرأة المعتلة شعورها بالعدوانية).

- التفسير الثالث: ترتبط X بـ Y بسبب وجود عامل ثالث، هو Z (فربما كان سبب اعتلال الصحة والعدوانية معًا هو سلوكيات مرتبطة بنقص الوعى الصحى، من قبيل التدخين ونقص التمارين الرياضية، أو ربما بسبب أحداث الحياة المثيرة للتوتر العصبى).

- التفسير الرابع: تؤثر X و Y فى بعضهن البعض (ربما الشعور بالعدوانية يضعف جهاز الشخص المناعى، والجهاز المناعى الضعيف، بدوره، يجعل الشخص يشعر بالإرهاق، ومن ثم يجعله يشعر بالمزيد من العدوانية).

تذكر : الارتباط أو التعلق ليس برهانًا على السببية!

وعلى الرغم من هذا فمعظم شواهد البرهنة على السببية تقوم فقط على الارتباط أو التعلق. فعندما يدعم مؤلف معين فرضًا ما بالإحالة إلى الارتباط بين خصائص معينة، عليك دائمًا أن تسأل "هل توجد أسباب أخرى تفسر ذلك الارتباط؟"

اختبر نفسك فيما يأتى :

تقرر دراسة حديثة وجود ارتباط بين الصلع وخطر الإصابة بالأزمات القلبية، فالأشخاص الصلع معرضون لمخاطر الوفاة

مبكرًا بأزمة قلبية بنسبة تفوق الأشخاص غير الصلع.

نأمل أن تستطيع الآن أن تدرك أن الأشخاص الصلع قد يتم تضليلهم من أجل شراء أحدث كريم لنمو الشعر لمنع الإصابة بأزمة قلبية. ما الأسباب المنافسة التى تفكر فيها بصدد ذلك؟ ألا يمكن أن تفسر الدورة الدموية المعتلة أو الموروثات الجينية الارتباط بين الصلع (X) والقلوب المريضة (Y)؟

هذا الخلط بين الارتباط والسببية يمكن فهمه وإدراك مخاطره. فالعلة تسبق حقًا معلولها. غير أن أشياء عديدة سبقت ذلك المعلول. معظمها لم تكن سببية.

يجب أن تكون الآن قادرًا على تحديد مغالطتين شائعتين للاستدلال السببى بالاستناد إلى التفسيرات الأربعة السابقة المتعلقة بسبب احتمال ارتباط الأحداث.

أغلوطة الخلط بين العلة والمعلول: الخلط بين علة ومعلول حدث معين أو الفشل فى إدراك أن الحدثين قد يؤثران فى بعضهما البعض.

أغلوطة إغفال سبب مشترك: الفشل فى إدراك أن ارتباط حدثين قد يكون بسبب تأثير عنصر ثالث مشترك.

التأييد القوى لأحد الأسباب

أثناء بحثك الحثيث عن أسباب منافسة، قد يكون من الأمور المعاونة أن تعرف متى يقدم البحث العلمى دعمًا قويًا لسبب معين. وحيث إن هذه المسألة معقدة جدًا، فإنك تستطيع أن تبحثها بتعمق فى موضع آخر، وأمامك فيما يلى بعض القواعد الشائعة المجربة التى قد تساعدك.

- لا توجد بواعث مالية شخصية للباحث عند اقتراحه السبب.

- لدى الباحث مجموعة ضابطة واحدة على الأقل، من أمثلتها مجموعة لم تخضع للسبب.

- اختلفت المجموعات التى تمت مقارنتها فى مجموعة قليلة من الخصائص بخلاف العامل السببى موضع الاهتمام.

- تم تنسيب المشاركين فى البحث فى مجموعات بصورة عشوائية؛ أى أنهم لم يسمح لهم باختيار المجموعة التى سينتمون إليها.

- لم يكن الباحثون على وعى بفروض الباحثين.

- تكررت النتائج نفسها مع باحثين آخرين.

الخلط بين "عقب هذا" و"بسبب هذا"

بعد أن تم اختيار جورج دبليو بوش رئيسا بفترة قصيرة، انخفضت قيمة سوق الأسهم انخفاضًا حادًا. هل يمكننا أن نستنتج أن رئاسة بوش هى سبب ذلك الانخفاض؟ لا. لأن هناك العديد من الأسباب الأخرى المحتملة. إذا كان لنا أن نستدل مثل هذه النتيجة، فإننا نضرب مثلاً واضحًا على الطريقة الشائعة التى يخلط الناس فيها بين السببية والارتباط.

كثيرًا ما تحاول تفسير حدث معين على النحو الآتى: لأن الحدث B يعقب الحدث A، إذن فالحدث A هو سبب الحدث B. يقع مثل هذا النوع من الاستدلال لأن للبشر نزوعًا نحو الاعتقاد بأنه إذا وقع حدثان فى فترة زمنية متقاربة، فلابد أن الأول هو سبب حدوث الثانى.

لتقدير مقدار الخطأ فى هذا الاستدلال، طالع صحيفة اليوم ثم أكتب قائمة بما يحدث فى العالم. بعد ذلك ارجع إلى صحيفة الأمس وأكتب قائمة مماثلة. هل تستنتج أن أحداث الأمس هى السبب فى أحداث اليوم؟ بالطبع لا. فعلى سبيل المثال، ورد فى أحداث الأمس أن فيلم **Lord of Rings: The Fellowship of the Rings** حطم الأرقام القياسية لعدد مشاهدى السينما، وورد فى الأخبار اليومية أن شركة طيران كبرى

على وشك الإفلاس. من غير المحتمل بدرجة عالية أن المتعة التى أثارها فيلم ملك الخواتم سببت المشكلات المالية لشركة الطيران. هكذا، فالكثير من الأحداث التى تقع متعاقبة فى الزمان لا تسببها الأحداث السابقة. عندما نستنتج بالخطأ أن الحدث الأول سبب الثانى لأنه سبقه، فإننا نرتكب أغلوطة Post hoc, ergo proper hoc (وتعنى: عقب هذا، إذن بسبب هذا) ويطلق عليها اختصارًا أغلوطة عقب هذا. وهذا الضرب من الاستدلال مسئول عن العديد من الاعتقادات الخرافية. فعلى سبيل المثال، قد تكون وفقت توفيقًا كبيرا فى امتحان عقد عقب تناولك وجبة دسمة من الحبوب (السريل)؛ فهل يتعين عليك تناول نفس هذه الوجبة قبل كل امتحان.

أغلوطة عقب هذا: افتراض أن حدثًا ما، **B**، سببه حدث آخر، **A**، لمجرد أن **A** سبقت **B** زمنيًّا.

توضح الأمثلة الآتية مشكلة هذا النمط من الاستدلال:

"ليس من شك فى أن هارى هوريكين مدرب متميز، فمنذ أن انتقل إلى جامعتنا، تحسنت نتائج فريقنا تحسنًا هائلاً. (أليس من المحتمل أن الجامعة قررت أيضًا مضاعفة ميزانية الألعاب الرياضية مع مجئ هارى).

"منذ صدور قرارات المحكمة العليا بمنح المتهمين المزيد من الحقوق، تزايدت معدلات الجريمة بصورة ثابت" (ولكن ربما ازدادت معدلات البطالة أيضًا منذ صدور قرارات المحكمة العليا).

لعلك قد خمنت أن كبار رجال الأعمال والسياسيين مغرمون باستخدام حجة "عقب هذا"، خاصة عندما تعمل فى صالحهم. فهم مثلاً يسعدون بالاستئثار بالمديح لكل إنجاز يتحقق بعد توليهم دورهم القيادى، بينما يلقون اللوم على الآخرين عند حدوث أى أمر سيئ.

تذكر: إن توالى وقوع الأحداث فى الزمان لا يبرهن بمفرده على السببية؛ فقد يكون الأمر مجرد مصادفة. عندما تقابل مثل هذا الاستدلال، اسأل نفسك دائمًا، "هل هناك أسباب منافسة يمكن أن تفسر الحدث؟" و "هل توجد شواهد أخرى محكمة علاوة على القول إن حدثًا يعقب الآخر؟"

تفسير الأحداث أو الأفعال الفردية

لماذا قام بعض المدراء فى شركة عملاقة للطاقة بخداع حاملى أسهم تلك الشركة فى عام ٢٠٠٢؟ لماذا هاجم الإرهابيون برج التجارة العالمى فى ١١ سبتمبر ٢٠٠١؟ ما الذى سبب الجفاف فى الجنوب الغربى من الولايات المتحدة فى ٢٠٠٢؟

تحتاج هذه الأسئلة، كما كان الحال مع أسئلة مثال فان جوخ، إلى تفسير للأحداث التاريخية المفردة. فالدراسات البحثية العلمية لا تستطيع الإجابة عن هذه الأسئلة. عوضًا عن ذلك، يجب أن نعود إلى الماضى بحثًا عن مفاتيح للإجابة. وتتعدد أسباب تعرضنا للوقوع فى الخطأ فى هذا النمط من الأبحاث. من المهم أن نتذكر بعض هذه الأسباب.

أولاً، كما سبق ورأينا فى حالة فان جوخ، تبدو العديد من الروايات المتعلقة بنفس الحدث معقولة. ثانيًا، تتأثر الطريقة التى نفسر بها الأحداث تأثرًا كبيرًا بالقوى السياسية والاجتماعية، كما تتأثر أيضًا بالقوى السيكولوجية الفردية. على سبيل المثال، قد ينظر "الليبراليون" إلى سبب فساد سلوك المدراء التنفيذيين بصورة تختلف عن نظرة "المحافظين"، كما تختلف نظرة أصحاب النزعة النسوية إلى مرض فقدان الشهية للطعام عن نظرة الأطباء له.

وتكمن أحد التحيزات الشائعة أيضًا فى "خطأ العزو الأساسى"، وهو الذى نقوم فيه عادة بالمبالغة فى تقدير أهمية النزوع الشخصى مقارنة بالعوامل الموقفية فى تفسير سلوك الآخرين. بعبارة أخرى، نحن نميل إلى رؤية سبب سلوك الآخرين

باعتباره نابعًا من الداخل (سماتهم الشخصية) عوضًا عن رؤيته نابعًا من الخارج (العوامل الموقفية.) هكذا، عندما يتأخر شخص عن موعد معين، مثلاً، فمن المحتمل أن نعزو سبب تأخيره فى البداية لنزوعه نحو المماطلة أو عدم احترام الآخرين. لكننا يجب أيضًا أن نضع فى الحسبان دور الظروف غير المتوقعة، مثل تعطل سيارته، أو ازدحام الطرقات أو بسبب ظهور رفاق غير متوقعين.

يتمثل أحد أنماط الأخطاء السيكولوجية الأخرى فى البدء بعدد محدود من الأسباب المحتملة ثم القيام بعد ذلك بتأويل معلومات إضافية زائدة (حتى لو لم يكن لها تعلق بالموضوع) باعتبارها تعزز الفروض القائمة، عوضًا عن عزل تلك المعلومات أو تقديم فروض جديدة، ربما تكون أكثر تعقيداً. فنحن نميل إلى تبسيط العالم؛ فى الوقت الذى كثيراً ما تكون التفسيرات المطلوبة أكثر تعقيداً. ولا يكون تفسير الأحداث بالبساطة التى كثيراً ما يتوهمها الخبراء فى البرامج الحوارية التلفزيونية. فكيف لنا أن نعرف ما إذا كان لدينا تفسير جيد لحدث معين أو مجموعة من الأحداث؟ لا يمكن أن نتيقن من ذلك على الإطلاق. لكننا نستطيع أن نحقق بعض التقدم بطرح بعض الأسئلة الناقدة.

كن على حذر من قبول أول التفسيرات المطروحة لحدث معين يواجهك. ابحث عن أسباب منافسة وحاول أن تقارن مصداقيتها. يجب أن نقبل حقيقة أن العديد من الأحداث ليس لها تفسير واحد بسيط.

مفاتيح لتفسير حدث أو سلسلة من الأحداث

أسأل نفسك الأسئلة الآتية عندما تحاول تقديم أسباب منافسة للأحداث:

- هل هناك أية شواهد على أن التفسير تم اختياره نقديًا؟
- هل هناك احتمال أن تكون القوى الاجتماعية، أو السياسية أو السيكولوجية أثرت فى الفرض بصورة متحيزة.

- ما الأسباب المنافسة لتى لم يتم وضعها فى الحسبان؟ ما درجة مصداقية فرض المؤلف مقارنة بالأسباب المنافسة؟
- هل كان الفرض شاملاً دقيقًا فى تفسيره للجوانب المحيرة المتعددة للأحداث المطروحة للبحث؟
- مادرجة اتساق الفرض مع الشواهد الجيدة المتوافرة والمتعلقة بالموضوع؟
- هل أغلوطة عقب هذا هى التبرير الأساسى المستخدم لربط الأحداث؟

تقويم الأسباب المنافسة

كلما كانت الأسباب المنافسة التى تقدمها معقولة، تضاءلت ثقتك فى التفسير المبدئى المقدم لها، أقله إلى أن يتم تقديم شواهد إضافية. وباعتبارك مفكرًا ناقدًا، فإنك سترغب فى الحصول على أفضل تقويم ممكن لمعرفة كيف تتوافق كل من التفسيرات البديلة مع الشاهد المتاح، محاولاً أن تكون واعيًّا بتحيزك الشخصية.

عند مقارنة الأسباب، نقترح عليك تطبيق المعايير الآتية:

١ - سلامتها المنطقية.

٢ - اتساقها مع معارفك الأخرى.

٣ - نجاحها السابق فى التفسير أو التنبؤ بالأحداث.

استخدام هذا السؤال النقدى

يجب أن يؤدى كل تقرير يتعلق بالسببية إلى إثارة فضول مباشر فى عقل أى مفكر ناقد. ولكن هل هناك أسباب بديلة للظاهرة؟ اللجوء إلى سؤال الآخرين لمراجعة

الأسباب المنافسة يعد إحدى عمليات النقد البناءة المحمودة. إن هدفك من ذلك هو العثور على تفسيرات سببية أفضل.

الشواهد وأسلوبك الخاص فى الكتابة والتحدث

لقد زودتك الفصول الثلاثة السابقة بطريقة غير مباشرة بمفاتيح للاتصال الفعال. وسوف تترك انطباعًا طيبًا مبررًا عند مستمعيك عندما تقدم شواهد قوية وكافية لمزاعمك. لكن هذا المفتاح يحمل فى طياته تحذيرًا: إذ يتوقع مستمعوك وينبغى أن يطلبوا أن تكون مزاعمك مدعمة بالشواهد المحكمة. وسيكون الوفاء بهذا المطلب أحد أهم التحديات التى ستواجهك كمؤلف أو متحدث.

تلخيص

تتضاءل قيمة المزاعم الوقائية المتعلقة بأسباب الأحداث عند تقديم مزاعم أخرى تتعلق بتلك الأسباب. يطلق على هذه المزاعم اسم الأسباب المنافسة.

تكمن أحد الأخطاء المنطقية الشائعة عند تفسير الملاحظات فى الخلط بين السببية والارتباط. من هنا، عليك دائمًا أن تسأل عن الأسباب الأخرى التى قد تفسر الارتباطات الملاحظة. كن حذرًا على وجه الخصوص من أغلوطة عقب هذا.

سؤال نقدى: *هل هناك أسباب منافسة؟*

تمارين تطبيقية

يتضمن كل واحد من الأمثلة الآتية حجة تؤيد أحد المزاعم السببية. حاول أن تأتى بأسباب منافسة لمثل هذه المزاعم. ثم حاول بعد ذلك أن تحدد كيف أن معرفتك بالأسباب المنافسة أضعف من زعم المؤلف.

النص ١

قد يتغلب قليل من الضوء على أحزان الشتاء. درس الباحثون تسعة مرضى كانوا يعانون من مرض اكتئاب الشتاء، الذى يحدث عندما يقصر النهار. تم تعريض المرضى لضوء فلورسنت مبهر عند استيقاظهم وأيضًا فى المساء المتأخر، لثلاث ساعات فى كل مرة. وفى غضون أسبوع، شفى سبعة منهم من الاكتئاب تمامًا، فى حين أظهر المريضان الآخران تحسنًا متواضعًا. نجح علاج الضوء لأنه تمكن من خداع الجسد بأن أوهمه أنه فى فصل الصيف.

النص ٢

ما الذى دفع عامل البريد إلى الإصابة بالهياج الشديد وقتل هؤلاء الموظفين الستة؟ تكمن الإجابة فى إلقاء نظرة فاحصة على طفولته. لقد فقد أمه عندما كان فى الثامنة، كما أن أباه كثيرًا ما كان يسئ معاملته. وقد نشأ متواريًا خلف ظل شقيقه الأكبر الأكثر نجاحًا. أثناء طفولته لقى صعوبة فى تكوين أصدقاء، كما واجه صعوبات فى خلق علاقة جنسية سوية. وفى شبابه أخذ يتنقل من وظيفة إلى وأخرى، فى الوقت الذى أخذت الخيالات الشاذة تنمو بداخله بصورة متزايدة. وفى نهاية الأمر أصبح مكتب البريد بالنسبة له رمزًا للمجتمع الذى كان سببًا فى فشله؛ لقد تحول إلى العنف كى يشعر بأنه أصبح "كيانًا ما ".

النص ٣

يكمن أحد الأسباب الأساسية للسلوك الجانح خلال سنين المراهقة، وفقًا لإحدى الدراسات الحديثة، فى تدنى احترام الذات عند المراهقين. درس الباحثون أكثر من خمسمائة طفل من منطقة ناشفيل بالولايات المتحدة، فى مركز دراسات المراهقين بولاية تينيسى، وهو مركز يتم فيه فحص أسباب السلوك الجانح. تم عمل مقابلات شخصية مع المراهقين عندما كانوا فى الصف التاسع (١٥ سنة)، وطبق عليهم اختبار تقدير الذات لماك روبرتس، ثم وجه إليهم بعد ذلك سؤال عن عدد المرات التى شاركوا فيها فى ارتكاب مختلف أنواع الجرائم. اكتشف الباحثون أنه كلما ساء شعور الصغار تجاه ذاتهم، زاد احتمال انخراطهم فى سلوك جانح. أيضًا، اكتشف الباحثون أن الصغار الذين ارتفعت درجات احترامهم لذاتهم خلال السنتين التاليتين أقل ارتكابًا للسلوك الجانح. يبين مثل هذا البحث حاجة المدرسين إلى الاهتمام باحترام الذات عند المراهقين إذا أرادوا أن يقللوا من جرائم الجانحين.

عينات من الأجوبة

النص ١

النتيجة: *العلاج الضوئى يقاوم اكتئاب الشتاء.*

المبرر: *شفى تمامًا سبعة من بين تسعة من مرضى الاكتئاب خلال أسبوع من علاجهم بالضوء.*

هل يمكن لأى عنصر آخر بخلاف العلاج الضوئى أن يفسر التغيير الذى حدث؟ نعم؛ لقد عجز الباحثون عن استبعاد العديد من التفسيرات البديلة الواضحة، فقد يرجع الأمر إلى أن المرضى توقعوا عملية التحسن، ومن ثم قادتهم تلك التوقعات إلى الشعور بالتحسن. أيضًا، كان المرضى يدركون الهدف من وراء العلاج بالضوء، ومن ثم يكمن أحد الأسباب المنافسة فى أنهم حاولوا أن يرضوا الباحثين بإقرار أنهم شعروا بالتحسن. ويمكننا أيضًا أن نفترض أن الأحداث الخارجية التى وقعت خلال أسبوع العلاج هى السبب فى التغير. ربما، كان الطقس خلال أسبوع العلاج رائعًا، وأن هؤلاء الأشخاص أمضوا وقتًا طويلاً فى ممارسة التمرينات الرياضية فى الخارج بصورة أكثر من المعتاد. احتمال آخر مؤداه أن هؤلاء الأشخاص ربما كانوا يعاونون أحد أنواع الاكتئاب التى يمكن الشفاء منها بصورة طبيعية خلال فترة قصيرة. هل يمكنك تحديد أسباب منافسة أخرى؟

النص ٢

النتيجة: *يرجع سبب العنف الذى أدى إلى وفاة موظفى مكتب البريد إلى طبيعة العلاقات الأسرية المتفسخة، والإيذاء البدنى، ومنافسة الأشقاء، والشعور بالوحدة خلال فترة الطفولة.*

المبرر: *عانى القاتل فى طفولته من الأعراض السابقة.*

من المحتمل أن العوامل السابقة كانت من المحددات المهمة للسلوك المتسم بالعنف. بيد أن معظم الناس الذين عانوا من طفولة مماثلة لم يرتكبوا أعمالاً عنيفة. هل ثمة أسباب أخرى محتملة تفسر مثل هذا السلوك؟ نحن نرتاب، كما حدث فى مثال فان جوخ، فى احتمال وجود العديد من التفسيرات الأخرى المعقولة. فقبل أن نخلص إلى أن أحداث الطفولة المذكورة هى العوامل المسببة للحدث، فإننا نرغب فى معرفة المزيد عن تلك الطفولة والمزيد عن الوقائع الأحدث فى حياته. فمثلاً، هل أصيب فى

رأسه مؤخراً؟ هل كان يدمن المخدرات؟ هل كانت له علاقات متوترة مع أقرانه فى العمل فى الفترة الأخيرة؟ فبعد حدوث الواقعة، نستطيع دائمًا أن نعثر على خبرات معقولة من الطفولة نوظفها أسبابًا تفسر السلوك اللاحق فى الكبر. قبل أن نستدل على نتيجة بعينها، يجب أن نبحث عن المزيد من الشواهد التى تثبت أن مجموعة من الأحداث سببت مجموعة أخرى وليس فقط مجرد أن مجموعة من الأحداث سبقت الأخرى زمنيًّا.

ملخص السؤال النقدى

مكمن أهمية هذا السؤال

هل هناك أسباب منافسة ؟

بينما يقدم المؤلف تفسيراً لسبب وقوع بعض الأحداث، فإن هناك احتمالاً لوجود أسباب أخرى. عندما تحاول أن تحدد الأسباب المنافسة، فإنك ستكتشف تفسيرات بديلة لحدث معين. إذا استطعت أن تحدد بعض التفسيرات البديلة، عليك أن تقرر ما إذا كان يتعين عليك أن تقبل تفسير المؤلف أو تصدق أحد التفسيرات الأخرى. وإذا لم يقدم المؤلف مبررات تجعلك تقبل التفسير الذى يقدمه دون التفسيرات الأخرى، فيجب عليك ألا ترغب فى قبول تفسيره، ومن ثم فى النهاية نتيجته. هكذا، فالبحث عن أسباب منافسة يعد خطوة أخرى على طريق قبول أو رفض حجة معينة.

مختارات من أسئلة الموقع الخاص بالكتاب

حدد الأسباب المنافسة فى كل من الأمثلة الآتية:

١ – تناول المشروبات التى تحتوى على كافيين أمر ضار جداً بالصحة. فهو يجبرك على النوم ساعات أطول من المعتاد كما يحرمك من الطاقة الطبيعية. تأمل ما يحدث معك: فأنت تتناول الكافيين بصورة منتظمة تقريبًا، وتنام ست أو سبع ساعات كل ليلة. بينما أنا فى المقابل، لا أتناول تقريبًا أى مشروبات تحتوى على كافيين، من هنا أحتاج إلى ثلاث أو أربع ساعات لأقوم بواجبى بصورة عادية. ينبغى عليك أن تتوقف عن تناول الكافيين لفترة لترى كيف ستشعر بتحسن كبير بعد ذلك.

٢ – أنا لا أصدق ما حدث! لابد أن محكمى مسابقة المقالات تحيزوا ضدى، إذ من المستحيل أن أخسر تلك المسابقة. لقد أمضيت ثلاثين ساعة فى كتابة وتنقيح تلك المقالة، كما قام ثلاثة أشخاص بمراجعتها. لقد ذكر لى معلمان فى المدرسة الثانوية المجاورة أن مقالى هو أفضل مقال اطلعا عليه فى حياتهما. غير أننى اكتشفت، بعد ذلك، أن الشخص الذى فاز بالمسابقة مقيد فى المدرسة نفسها التى يعمل بها أحد المحكمين. لا بد أن ذلك هو سبب فوزه وخسارتى؛ لو أن الملعب كان محايداً، لفازت مقالتى دون جدال.

٣ – أظهرت دراسة أجريت على مدى عشر سنوات على سبعة آلاف رجل وامرأة فى كاليفورنيا أن عدم تناول وجبة الإفطار يقع ضمن سبع مخاطر صحية تزيد من مخاطر الموت المبكر. لقد اكتشفت الدراسة التى أجراها مركز العلوم الصحية بجامعة كاليفورنيا فى لوس انجلوس أن معدل الوفاة كان أعلى بنسبة ٤٠٪ عند

الرجال و ٢٨٪ عند النساء الذين "نادرًا أو أحيانًا" ما يتناولون وجبة الإفطار، مقارنة بأولئك الذين يتناولون وجبة الإفطار كل يوم تقريبًا. وكانت دراسة سابقة أجرتها كلية الطب فى جامعة "أيوا" على مدى عشر سنوات كشفت عن وجود علاقة بين تناول وجبة إفطار مغذية وقوة الأداء البدنى والذهنى عند الأطفال والمراهقين. وبينت الدراسة أن أولئك الذين يتناولون وجبة الإفطار يكونون أكثر إنتاجًا فى فترة الضحى. كما أنهم يكونون أقل إجهادًا ممن يهملون تناول وجبة الإفطار. من هنا فمن المرجح أن الأطفال الذين لا يتناولون وجبة الإفطار يكونون أكثر فتورًا وأقل تركيزًا.



الفصل الحادى عشر
الإحصاءات المضللة



ما قدر اقتناعك بالفقرات التالية ؟

- يقدر"الائتلاف الوطنى ضد العنف الأسرى" أن أكثر من نصف النساء المتزوجات (عددهن يربو على ٢٧ مليونا) سيتعرضن للعنف خلال زواجهن، وأن أكثر من ثلثهن (أكثر من ١٨ مليونا) يتعرضن للضرب المتكرر سنويًا.

- النساء أفضل من الرجال فى قيادة السيارات، لقد ثبت ذلك من حقيقة أن ٢٣٪ من الرجال الذين ارتكبوا حوادث كانوا يشربون الخمر - مقارنة بـ ٩,٦٪ من النساء.

لا ينبغى أن تتأثر كثيرًا بالاستدلالين السابقين، فكل حجة من الحجتين تخدعنا بالإحصاءات المتضمنة فيها!

"الإحصاءات" أحد أكثر أنواع الشواهد تكرارًا عند المؤلفين. ربما تكون قد سمعت البعض يستخدمون العبارة التالية لتعضيد حججهم: "لدى إحصاءات تثبت الأمر". إننا نستخدم الإحصاءات (كثيرًا بصورة غير ملائمة) لتقويم أداء الدولة الاقتصادى، تحديد أى البرامج التليفزيونية سيستمر فى العرض، تحديد استراتيجيات الاستثمار، مساعدة الناس على المراهنة على فريق رياضى معين، تقويم تقدم الدولة الاجتماعى، ... أو التنبؤ بالطقس، ولكى نقدم معلومات عن العديد من الموضوعات الأخرى.

الإحصاءات شواهد يتم التعبير عنها بالأرقام. قد يبدو هذا النوع من الشواهد مبهراً لأن الأرقام تجعل الشواهد تبدو علمية وغاية في الدقة، كما لو كانت تمثل "الوقائع". غير أن الإحصاءات قد تكذب بل إنها كثيراً ما تكذب! وهي لا تثبت بالضرورة ما قد يبدو أنها تثبته.

وباعتبارك مفكراً ناقداً، يتعين عليك أن تجاهد كي تكتشف الاستدلالات الإحصائية الخاطئة. إننا لا نستطيع في هذه العجالة أن نبين لك مختلف الطرق التي يمكن أن يستخدمها الناس "للكذب بالإحصاءات". بيد أن هذا الفصل سوف يعرض لك بعض الاستراتيجيات العامة التي يمكنك استخدامها للكشف عن مثل هذه الطرق المضللة. فضلاً عن هذا، سوف ننبهك إلى أخطاء الاستدلال الإحصائي بتوضيح عدد من أكثر الطرق التي يسيء فيها المؤلفون استخدام الشواهد الإحصائية شيوعاً.

سؤال نقدي: ***هل الإحصاءات مضللة؟***

الإحصاءات المجهولة والإحصاءات المتحيزة

تتمثل أولى استراتيجيات تحديد الإحصاءات المضللة في محاولة العثور على أكبر قدر من المعلومات حول طريقة الحصول على تلك الإحصاءات. هل يمكننا أن نعرف بدقة عدد المصابين بالإيدز في الولايات المتحدة، أو عدد من مارسوا الإجهاض، أو سارقي السلع من المتاجر، أو من يرتكبون الجرائم من أصحاب الياقات البيضاء، أو من يخونون أزواجهم وزوجاتهم، أو من يحتسون أكثر من ثلاثة أقداح من البيرة في اليوم، أو يضربون زوجاتهم، أو عدد المتشردين بدون مأوى، أو من يتعاطون الكوكايين؟ نحن نرتاب في ذلك. لماذا؟ لان هناك الكثير من العقبات المختلفة التي تعوق الحصول على إحصاءات دقيقة تتعلق بأغراض معينة، بما في ذلك عدم الرغبة في تقديم معلومات صحيحة، والفشل في تقديم تقرير عن الأحداث، والعقبات المادية الأخرى التي تعوق ملاحظة الأحداث. من هنا، كثيراً ما تتم

صياغة الإحصاءات فى صورة "تخمينات مستنيرة"، ويمكن أن تكون لهذه التقديرات فائدة حقيقية، لكنها قد تكون أيضًا خادعة تمامًا. اسأل نفسك دائمًا "كيف توصل المؤلف إلى هذه التقديرات؟"

تتمثل أحد المواضع الشائعة التى يمكن أن تتكرر فيها مثل هذه الأخطاء فى تقارير الحوادث والمشكلات الصحية المختلفة، خاصة عندما تبذل جهود لجذب الانتباه لمثل تلك المشكلات. فعلى سبيل المثال، ورد فى أحد الكتب الحديثة الخاصة باضطرابات الغذاء أن ١٥٠ ألف امرأة كل عام يلقين حتفهن جراء مرض فقدان الشهية العصابى؛ تلقفت أجهزة الإعلام هذا الرقم واقتبسته مرارًا. وحين انزعج البعض من تكرار تلك الاقتباسات، تفحصوا تلك الإحصاءات ليكتشفوا أن ١٥٠ ألف امرأة عانين من الاضطرابات الغذائية، لكن ٥٤ سيدة فقط قضين نحبهن بالمرض خلال الأعوام الأخيرة. ينبهنا هذا المثال إلى وجوب أن نكون حذرين من سطوة الأرقام المبهرة التى تستخدم لإقناعنا، خاصة حين يكون من غير المرجح الحصول على قياسات دقيقة أصلاً.

المتوسطات المربكة

اختبر القضايا التالية:

١ – يعيش الأمريكيون الآن أزهى أيامهم؛ فمتوسط دخل العامل الأمريكى الآن يبلغ ٣٥ ألف دولار.

٢ – يقل متوسط تلوث هواء المصانع الآن بكثير عن المستويات الخطيرة.

يستخدم المثالان كلمة "متوسط". غير أن هناك ثلاث طرق مختلفة لتحديد المتوسط؟ وفى معظم الحالات يزودك كل واحد منها بمتوسط مختلف. ما هى هذه الطرق الثلاث؟ يتمثل إحدى الطرق فى جمع كل القيم ثم قسمة هذا المجموع على عدد القيم المستخدمة. وتعتبر النتيجة بمثابة الوسط.

تتمثل الطريقة الثانية فى ترتيب كل القيم من الأعلى إلى الأدنى، ثم العثور على القيمة المتوسطة. وتعتبر هذه القيمة هى الوسيط median. هنا تكون نصف القيم أعلى من الوسيط، والنصف الآخر أدنى من ذلك الوسيط. أما الطريقة الثالثة فتتمثل فى سرد كل القيم ثم عد كل قيمة أو مجموعة قيم مختلفة، بحيث يطلق على القيمة الأكثر تكراراً اسم المنوال، النوع الثالث من المتوسطات.

يختلف الأمر اختلافًا كبيرًا ما إذا كان مؤلف معين يتحدث عن *الوسط* أو الوسيط أو *المنوال*. تأمل توزيع الرواتب فى الولايات المتحدة. بعض الأفراد يتلقون رواتب مرتفعة للغاية، تصل إلى ٢ مليون دولار فى العام. مثل هذه الرواتب المرتفعة تزيد من الوسط بصورة كبيرة، لكن تأثيرها يبقى ضئيلاً على المنوال. هكذا، إذا أراد باحث أن يجعل متوسط الرواتب يبدو مرتفعًا، فإنه يستخدم الوسط. لعلك الآن أصبحت قادرًا على إدراك أهمية نوع المتوسط المستخدم عندما يتحدث الناس عن الرواتب أو الدخل.

والآن، لنفحص المثال الثانى. إذا كان المتوسط المستخدم هو الوسط أو الوسيط، فإننا قد ننقاد إلى الشعور الكاذب بالأمان. فماذا، مثلاً، إذا كانت المصانع عالية التلوث قليلة العدد، لكن ملوثاتها تفوق المعدلات الخطيرة بمراحل لدرجة أن الهواء يظل بوجه عام ملوثًا بصورة خطيرة. فى هذه الحالات ربما تكون قيمة المنوال والوسيط منخفضة للغاية، لكن الوسط مرتفع جداً.

عندما تصادف قيم "المتوسط"، اسأل دائمًا "هل من المهم أن نعرف ما إذا كانت تلك القيمة تمثل الوسط، أو الوسيط، أو المنوال؟ للإجابة عن هذا السؤال، تأمل كيف تغير الاستخدامات المختلفة لمعانى المتوسط من مغزى المعلومات؟

ليس من المهم فقط أن نحدد ما إذا كان متوسط العام وسطًا، أو وسيطًا أو منوالاً، وإنما من المهم أيضًا أن نحدد الفجوة بين أصغر القيم وأكبرها – المدى – وقدر تكرار وقوع كل من هذه القيم – التوزيع. افترض مثلاً أن عليك اتخاذ قرار

بشأن تناول السمك الذى تم اصطياده من المحيط القريب منك. هل ستقنع بالمعلومات التى تتحدث عن متوسط محتوى الزئبق فى ذلك النوع من السمك؟ إننا لا نقنع بذلك.

نرغب فى معرفة مدى محتوى الزئبق، بعبارة أخرى، أعلى وأدنى المستويات الممكنة وأيضًا تكرار المستويات المختلفة. قد يقع المتوسط ضمن المستوى "الآمن"، ولكن إذا كان ١٠٪ من السمك يحتوى على مستويات زئبق تتعدى المستويات الآمنة، فإننا ننصحك بتناول طعام آخر غير ذلك السمك فى وجبة العشاء.

دعونا الآن نتناول مثالاً آخر يوضح أهمية معرفة المدى والتوزيع:

أمريكا ليست بلدًا مزدحمًا، فلدينا على المستوى القومى أقل من ٦٠ نسمة فى الميل المربع، أى أنها كثافة سكانية أقل من معظم البلدان الأخرى.

أولاً، نحن نشك فى أن نسبة الكثافة السكانية السابقة تمثل الوسط. إذ بينما قد يكون وسط الكثافة منخفضًا إلى حد كبير، من الواضح أن هناك مناطق تقع شمال شرق الولايات المتحدة، على سبيل المثال، بها نسبة كثافة سكانية مرتفعة. هكذا، فإن الولايات المتحدة قد تكون فى الواقع مزدحمة جدًا فى بعض المناطق، على الرغم من أنها فى المتوسط ليست كذلك.

وفق هذا، عندما يعرض عليك متوسط معين، عليك أن تطرح السؤال "هل من المهم أن أعرف قيم المدى والتوزيع؟"

استنتاج شىء وإثبات آخر

كثيرًا ما يخدعنا أصحاب المقالات عندما يستخدمون الإحصاءات التى تبرهن على شىء ما فى الوقت الذى يزعمون أنهم برهنوا على شىء مختلف تمامًا.

فالإحصاءات لا تبرهن ما يبدو أنهم برهنوا عليه! نقترح طريقتين للكشف عن مثل هذا الخداع.

الطريقة الأولى تتمثل فى أن تتجاهل إحصاءات صاحب المقال وأن تسأل نفسك: "ما الشواهد الإحصائية التى تساعد فى البرهنة على هذه النتيجة؟". بعد ذلك، قارن الإحصاءات المطلوبة بتلك المقدمة. إذا لم يتطابق الاثنان، فإنك قد تكون وضعت يدك على خداع إحصائى. المثال الآتى يزودك بفرصة لتطبيق تلك الطريقة.

يتباهى أحد بائعى السيارات بأن سيارة معينة لديه حققت نجاحًا مبهرًا لأن خمسة فقط من بين مائة مشتر كانت لهم شكوى لدى الموزع من أداء السيارة." عندما يكون ٩٥٪ من المشترين سعداء بسيارتهم، يقول البائع، لا ريب أنها سيارة جيدة.

كيف برهن بائع السيارات على النتيجة القائلة إن ٩٥٪ من المشترين سعداء بسيارتهم؟ ألم يكن من المناسب أن يختار بصورة عشوائية عينة ضخمة من مشترى هذه السيارة ثم يسألهم، "هل أنتم سعداء بهذه السيارة؟ لكن البائع استمع فقط إلى أصحاب الشكاوى ثم افترض أن كل من لم يشتك كان سعيداً بسيارته، وهو افتراض غير مبرر. هكذا فإن البائع يثبت شيئًا (أن قليلاً من البائعين اشتكوا من أداء السيارة) ثم يستنتج شيئا آخر (معظم المشترين راضون عن سيارتهم). أحد الدروس المهمة التى ينبغى أن نستخلصها من هذا المثال هى أن نصب اهتمامنا على كل من صياغة الإحصاء وصياغة النتيجة لنعرف ما إذا كانا يشيران إلى نفس الشىء. إذا لم يكن الأمر كذلك، فمن المحتمل أن يكون المؤلف أو المتحدث يكذب استخدام الإحصاءات.

كثيرًا ما تصعب معرفة نوع الشواهد الإحصائية المطلوبة لدعم نتيجة معينة. لذا دعونا نقترح إستراتيجية جديدة. افحص إحصاءات المؤلف بدقة إبان إغفالك النتيجة؛

ثم اسأل نفسك، "ما النتيجة المناسبة التى يمكن الاستدلال عليها من هذه الإحصاءات؟" بعد ذلك، قارن نتيجتك بنتيجة المؤلف. جرب هذه الاستراتيجية مع المثال التالى:

قام ما يقارب ربع المعالجين النفسيين بالاعتداء ... على مرضى قصر، وفقًا لما جاء فى مسح أجراه باحث نفس إكلينيكى على علماء نفس مرموقين من مختلف الولايات. فمن بين ٩٠ ممن استجابوا للمسح، قال ٢٤٪ منهم إنهم يعرفون حالات اعتدى فيها المعالجون النفسيون على المرضى القصر.

هل وصلت إلى النتيجة الآتية؟ أن ربع المعالجين النفسيين تقريبًا زعموا أنهم يعرفون حالات اعتدى فيها على مرضى قصر. هل ترى الاختلاف بين ما تثبته الإحصاءات وما يستنتجه المؤلفون؟ إذا كان الأمر كذلك، فانك تكون قد اكتشفت كيف كذب هذا المؤلف بالإحصاءات.

التضليل عبر استبعاد معلومات

كثيرًا ما تخدعنا الإحصاءات لأنها ناقصة. هكذا، فإن إحدى الاستراتيجيات المساعدة الأخرى للكشف عن خلل فى الاستدلال الإحصائى أن نسأل عن المعلومات الإضافية التى تحتاجها قبل أن يتسنى لنا الحكم على تأثير الإحصاءات؟ "دعنا نفحص مثالين نوضح بهما فائدة هذا السؤال.

١ - عصفت بمدينتنا موجة من الجرائم، فقد زادت جرائم القتل بنسبة ٦٧٪ خلال العام الماضى.

٢ - الملاكمة أقل خطورة من أنواع الرياضة العنيفة الأخرى. لقد كشف مسح إحصائى عن حالات الوفاة الناجمة عن ممارسة الألعاب الرياضية فى مدينة نيويورك خلال فترة تمتد لثلاثين عامًا أن عدد الوفيات الناجمة عن رياضة البيسبول بلغت

٤٣ حالة، وهو رقم يفوق وفيات كرة القدم الأمريكية (٢٢). أما الوفيات الناجمة عن الملاكمة فقد كانت (٢١).

نسبة ٦٧٪ تبدو أول وهلة هائلة. غير أن هناك شيئًا مفقوداً: الأرقام المطلقة التى قامت على أساسها هذه النسبة. ألا نكون أقل حذرًا إذا عرفنا أن هذه الزيادة كانت من ثلاث إلى خمس حالات قتل فقط، بدلاً من ٣٠٠ إلى ٥٠٠ حالة؟ وفى مثالنا الثانى، لدينا الأرقام، ولكن ليس لدينا النسبة المئوية. ألا تحدونا الرغبة فى معرفة ما تعنيه هذه الأرقام فى ضوء نسبة الرياضيين المشتركين فى الألعاب الرياضية؟ فعدد الملاكمين، فى نهاية الأمر، كان أقل عمومًا من عدد لاعبى البيسبول.

عندما تصادف أرقامًا أو نسبًا مئوية تبدو مؤثرة كن حذرًا، فقد تحتاج إلى معلومات إضافية لتقرر مدى تأثير هذه الأرقام.

يتمثل أحد أنواع المعلومات الأخرى المحتمل غيابها فى المقارنات المتعلقة بالموضوع. كثيرًا ما يكون مفيدًا أن نطرح السؤال "بالمقارنة بـ......؟"

توضح كل واحدة من القضايا الآتية بعض الإحصاءات التى يمكن أن تفيد من عقد المقارنات:

١ - الأسبرين الفوار أسرع مفعولاً بنسبة ٥٠٪.

٢ - الإنفاق على أبحاث مرض الإيدز مهم جدًا، ففى العام الماضى أنفقت الحكومة أكثر من ١,٢ بليون دولار على أبحاث الإيدز.

٣ - للدرجات الجامعية مردودها، فقد بينت دراسة حديثة أن الموظفين الذين يحملون درجة البكالوريوس يكسبون فى المتوسط ٣٥ ألف دولار فى العام فى ربيع عام ٢٠٠٠.

بالنسبة للقضية الأولى، ألست فى حاجة لأن تسأل "أسرع بخمسين فى المائة من ماذا؟" هل أسرع من أنواع الأسبرين الأخرى غير الفعالة؟ أم أسرع من الأسبرين

الفوار السابق طرحه فى الأسواق؟ بالنسبة للقضية الثانية، ألا ترغب فى مقارنة الإنفاق المذكور بالإنفاق بالسنوات السابقة، أو بالإنفاق على الأبحاث المتعلقة بالصحة؟ أما فيما يتعلق بالقضية الثالثة، فسوف تود أن تعرف كيف يمكن مقارنة هذا المتوسط بمتوسط دخل أندادهم من الأذكياء الذين قرروا عدم الالتحاق بالجامعات؟

عندما تواجه إحصاءات، لا تغفل عن السؤال "ما المعلومات المهمة المفقودة؟"

إحصاءات المخاطر والمعلومات المستبعدة

"سوف يقلل العقار X من خطر إصابتك بمرض القولون بنسبة ٥٪."

"بينت الدراسات أن فحص ثدى السيدات فى سن الخمسين بأشعة X يمكن أن يقلل من وفيات سرطان الثدى بنسبة ١٠٪."

تتمثل أحد الاستعمالات الشائعة للإحصاءات فى الحجج - خاصة تلك المتعلقة بالمخاطر الصحية - فى تقرير انخفاض المخاطر نتيجة لنوع من التدخل العلاجى. مثل هذه التقارير قد تكون مضللة، فنفس المقدار من انخفاض المخاطر يمكن تقريره بصورة نسبية أو مطلقة، ومثل هذه الاختلافات يمكن أن تؤثر بدرجة عالية فى إدراكنا لمقدار انخفاض المخاطر.

تخيل رجلاً فى الستين يعانى من متاعب فى القلب يناقش مع طبيبه المزايا المحتملة لعلاج متاح يساعد فى منع الأزمات القلبية المستقبلية. يقوم الطبيب باقتباس إحصاءات تتعلق بثلاثة اختيارات علاجية متاحة للرجل:

١ - العلاج **(X)** سوف يقلل من احتمال الإصابة بأزمة قلبية بنسبة ٢٠٪.

٢ - العلاج **(Y)** سوف يخفض المخاطر بنسبة ١٪.

٣ – بالعلاج (Z) يتحرر ٩٦ ٪ من الرجال من الأزمات القلبية لمدة خمس سنوات، مقارنة بـ ٩٦ ٪ ممن لا يستخدمون العلاج.

أى علاج يتعين على هذا المريض أن يختار؟ نخمن أنه سوف يختار الأول. غير أن كل هذه الاختيارات تشير إلى نفس حجم التأثير العلاجى، وإن عبرت عن الخطر بطرق مختلفة. فالاختيار الأول (العشرون فى المائة) يمثل "خفضًا نسبيًا للمخاطر". إذا قلل العلاج من خطر الأزمات القلبية من ٥٪ إلى ٤٪، فإن المخاطر تنخفض بنسبة خمس، أو ٢٠٪، لكن التغير المطلق، من ٥٪ إلى ٤٪ يعتبر انخفاضًا بنسبة ١٪ فقط، كما أن التحسن فى النتيجة من ٩٥ إلى ٩٦ يمثل واحدًا فى المائة فقط. ما نريد قوله هنا هو أن التعبير عن خفض المخاطر بصورة نسبية وليس مطلقة، يمكن أن يجعل تأثير العلاج أكبر مما هو عليه بالفعل، ومن المرجح أن يأخذ الأفراد بعلاج معين عندما يعبر عن مزاياه بصورة نسبية وليس مطلقة. وكما يمكن لك أن تكون توقعت، تستخدم شركات الدواء عادة المخاطر النسبية فى إعلاناتها، كما أن تقارير أجهزة الإعلام تميل أيضًا إلى التأكيد على المخاطر النسبية.

يمكن أن تكون المخاطر النسبية المنخفضة مضللة. هكذا، عندما تواجه حججًا تستخدم الإحصاءات، حاول دائمًا أن تحدد كيف أن النتائج قد تختلف وتكون أقل تأثيرًا إذ تم التعبير عنها بصورة مطلقة.

تلخيص

أكدنا على عدد من الطرق التى تساعدك على أن تكتشف "الكذب" بالإحصاءات. نأمل أنك تستطيع أن تدرك مشكلات الإحصاء فى موضوعات العنف المنزلى والقدرة على قيادة السيارات التى قدمناها فى مستهل هذا الفصل.

تلميحة: من أين جاء رقم ٢٧ مليون المؤثر فى المثال السابق؟ إذا كان يتعين عليك أن تستخدم الإحصاءات لمقارنة قدرات القيادة بين الرجال والنساء، ألا تكون

مهتمًا فى الأساس بعدد الحوادث التى وقعت فى كل ميل قيادة، عوضًا عن الإحصاءات المقدمة؟

مفاتيح لتقويم الإحصاءات

١ - حاول أن تعرف كل ما تستطيع معرفته حول كيفية الحصول على الإحصاءات. اطرح السؤال، "كيف عرف المؤلف أو المتحدث تلك الإحصاءات؟"

٢ - اهتم بنوع المتوسط الموصوف.

٣ - كن على حذر من مستخدمى الإحصاءات الذين يستنتجون أمرًا، بينما يثبتون آخر.

٤ - تجاهل إحصاءات المؤلف أو المتحدث وقارن بنفسك الشواهد الإحصائية المطلوبة فى ضوء الإحصاءات المقدمة بالفعل.

٥ - كون استنتاجاتك الخاصة عن تلك الإحصاءات. إذا لم تتوافق مع نتائج المؤلف أو المتحدث، فمن المحتمل وجود خطأ معين.

٦ - حدد المعلومات المفقودة. كن على وجه الخصوص حذرًا من الأرقام والنسب المئوية المضللة والمقارنات المحذوفة.

سؤال نقدى: ***هل الإحصاءات مضللة؟***

تمرينات تطبيقية

حدد الأخطاء فى الشواهد الآتية:

النص ١

حان الوقت لاستبعاد السياسيين مؤيدى فرض المزيد من الضرائب من وظائفهم حتى يتمكن الكونجرس أن يعمل على خفض أعباء الضرائب على المواطنين. تدفع الأسرة الأمريكية النمطية فى الوقت الراهن ٢٧,٣٪ من دخلها فى صورة ضرائب فيدرالية، وضرائب محلية، وضرائب للولاية. وفى واقع الأمر، فى عام ١٩٨٨، دفع رب الأسرة الأمريكى المتوسطة أكثر من خمسين ألف دولار ضرائب فيدرالية.

النص ٢

" لم تعد القيادة آمنة كما كانت فى الماضى"، قال صديقى ذلك، بينما كان يهز رأسه وهو يقود سيارته فى زحام مرور أحد أيام الجمع على الطريق الحر السريع. لكن الواقع يقول إن القيادة فى أمريكا أكثر أمنًا مما كانت عليه خلال الأعوام الستين الماضية. ففى عام ١٩٨٤، كان لدينا ١٨,٤ حالة وفاة ناتجة عن الحوادث المرورية لكل مائة ألف من السكان، مقارنة بـ ٢٥,٨ حالة عام ١٩٧٠، و ٢٣,٣ عام ١٩٥٠. حين تقود سيارتك اليوم على الطرق تكون أكثر أمنًا مما لو كنت فى بيتك أو مكان عملك. إن عدد الأمريكيين الذين يحتاجون رعاية صحية أو يتركون العمل بسبب الحوادث المنزلية يبلغ ١٢٪ سنويا. مقابل ٥٪ يصابون فى العمل. غير أن نسبة من يصابون فى حوادث السيارات تبلغ ٢,٢٪ فقط."

النص ٣

جينفر: المحامون يسرقون بالفعل شركات التأمين. قرأت أن متوسط ما حصل عليه المحامون فى قضايا الممارسات

الخاطئة التى ربحوها العام الماضى يزيد على مائتى ألف دولار.

أنطونى: حسن، إنهم يستحقون ذلك المال. فالأطباء يتزايد إهمالهم. خلال الأعوام الثلاثة الماضية، تزايد عدد المرضى الذين رفعوا قضايا ضد إهمال جراحى العيون بنسبة ٢٥٪.

جينفر: حسن، إن ما يحدث فى مهنة الطب أمر مخيف. لقد قرأت فى مكان ما أن ثلاثة أمريكيين من بين أربعة تقريبًا يعرفون شخصًا أقام دعوى على طبيب ما؛ من المؤكد أننى لا أرغب فى أن أكون طبيبة إذا كان احتمال مقاضاتى بتهمة الإهمال الطبى يبلغ ٧٥٪.

أنطونى: أتعلمين، أنت على حق، ربما كان يجب أن نكون أكثر قلقًا لفقدان الأطباء المتميزين بسبب ارتفاع تكاليف التأمين الصحى. أخبرنى طبيبى أن معدل تأمينه زاد بنسبة ٢٠٪ خلال العامين الماضيين.

جينفر: لديك حق فيما تقول. فكر فى الأمر، لقد قرأت التماسًا وقعه مائتا طبيب فى أصحيفة Philadelphia Gazette لإلغاء المحاماة المشروطة بكسب القضايا فى حوادث حالات أخطاء المهنة.

أنطونى: أتصدقين يا جينفر، أعتقد أننى الآن مقتنع بخطأ فذلك النوع من المحاماة؛ إذ أن ٦٠٪ من الإحصاءات التى اقتبسناها تؤيد هذه النتيجة.

عينات من الأجوبة

النص ١

النتيجة: إننا فى حاجة إلى إجراء تغيير فى الكونجرس حتى يمكن تخفيض الضرائب على الأمريكيين.

المبرر: تدفع العائلة الأمريكية ضرائب أكثر مما يجب. الشاهد على ذلك أن العائلة الأمريكية النمطية تدفع ٢٧,٣٪ من دخلها على الضرائب الفيدرالية، وضرائب الولاية، والضرائب المحلية، كما أن رب الأسرة المتوسطة يدفع ما يزيد على خمسين ألفا ضرائب دخل فيدرالية.

هل هناك حقًا مغالاة فى فرض الضرائب على الأسر الأمريكية؟ إن كلمات من قبيل نمطى ومتوسط يجب أن تنبهنا إلى احتمال وجود تضليل معين. إذ يجب أن نعرف نوع المتوسط المستخدم فى هذه الإحصاءات. هل هو الوسط، أم الوسيط، أم المنوال؟ فإذا كان النمط المستخدم هو الوسط، فإن القيمة يكون تم تضخيمها جداً من قبل الأسرة الغنية، التى تدفع ضرائب عالية. الأسر التى يفوق دخلها مليون دولار، وعددها يتزايد، سوف تزيد من قيمة الوسط. أما إذا كان المستخدم هو الوسيط، فإن الأرقام المقدمة تكون أقل من الواقع بكثير. ففى عام ١٩٩٦، مثلاً، كان متوسط دخل ضرائب الدخل على الأسرة الأمريكية ٤٨,١٦٥ دولار لكن الوسيط كان ٣٥,٥٣٦ دولار فقط.

هناك أيضًا أرقام تم استبعادها فى المقارنة السابقة. فمثلاً، كيف تتم مقارنة هذه النسبة من الضرائب مع نسبة ضرائب الأعوام الماضية؟ أليس من المحتمل أن تكون نسب الضرائب قد انخفضت بالفعل.

النص ٢

النتيجة: القيادة فى أمريكا الآن أمنًا أكثر مما كانت عليه منذ ستين عامًا مضت.

المبررات:

١ - انخفضت حوادث المرور القاتلة بشدة بين عامى ١٩٥٠، ١٩٨٤.

٢ - أصبحت القيادة الآن أكثر أمنًا من البقاء فى المنزل. فقد أظهرت البيانات أن نسبة وقوع حادث لك فى سيارتك أقل من نسبة وقوع حادث لك فى المنزل أو العمل.

لتقويم استخدامات الشواهد، يجب أن نسأل أنفسنا فى البداية عن أفضل الشواهد التى يمكن أن ترد على السؤال، "هل القيادة فى أمريكا أكثر أمنًا مما كانت عليه فى الماضى؟ " فى رأينا أن أفضل إحصاءات يمكن تقديمها للإجابة عن هذا السؤال تكمن فى مقارنة معدل الحوادث الخطيرة التى تقع وفقًا لقطع عدد محدد من الأميال فى ظل شروط معينة، كالقيادة فى المدينة والطرق السريعة بين الحاضر والماضى. والمقال السابق لا يقدم مثل هذه الأرقام. الأرقام المقدمة تمثل النسبة لكل مائة ألف من السكان؛ من هنا فالمقارنة مضللة. فهل عدد السكان الذين يقودون السيارات لعدد معين من الأميال عام ١٩٨٤ مثلاً هى نفسها فى عامى ١٩٥٠، ١٩٧٠؟

والمجموعة الثانية من الشواهد تمثل أيضًا مقارنة مضللة لأن الأرقام المقدمة تفشل فى أن تضع فى الاعتبار حقيقة أننا نقضى فى مكاتبنا ومنازلنا وقتًا أطول مما نقضيه فى سياراتنا. والإحصاءات المناسبة التى كان يجب استخدامها هنا هى نسب الحوادث التى وقعت مقومة بعدد الساعات التى يقضيها الشخص فى كل مكان من الأمكنة المذكورة؛ لاحظ كيف تختلف النسبة جذريًا الآن عن النسب المقدمة بالفعل فى الفقرة السابقة. (ملاحظة: الحجة المقدمة فى المثال السابق تماثل الحجة القائلة بأنه أكثر أمانًا للمرأة أن تتنزه فى حديقة سنترال بارك فى نيويورك من أن تقرأ كتابًا فى البيت، لأن نسبة حوادث الاغتصاب التى تقع فى المنازل أعلى من تلك التى تقع فى الحدائق)

ملخص السؤال النقدى

مكمن أهمية هذا السؤال

هل الإحصاءات مضللة ؟

كثيراً ما يستخدم المؤلفون الإحصاءات لتعضيد استدلالاتهم، وتبدو الإحصاءات كما لو كانت شواهد محكمة. على ذلك، هناك طرق عديدة يمكن أن يساء فيها استخدام الإحصاءات. وحيث إننا كثيراً ما نستخدم الإحصاءات الإشكالية، فمن المهم تحديد المشكلات المتعلقة بالإحصاءات حتى تستطيع أن تحدد بدقة عالية ما إذا كان خليقاً بنا أن نقبل أو نرفض نتيجة المؤلف.

مختارات من أسئلة الموقع الخاص بالكتاب

حدد الإحصاءات المضللة فى كل من الأمثلة التالية:

- المشكلات المالية التى تواجه مدارسنا العامة مبالغ فيها إلى حد بعيد. ففى العام المدرسى ٩٣/٩٢ كان متوسط ما تم إنفاقه على كل تلميذ فى مدرسة عامة فى الولايات المتحدة ستة آلاف ومائة دولار. فضلاً عن هذا، فإن متوسط الراتب السنوى للمعلم المتفرغ فى المدارس العامة هو أربعة وثلاثين ألفًا وسبعة وعشرين دولارا وفقًا لتقرير إتحاد المعلمين الأمريكيين. وهذا الراتب ليس قليلاً على الإطلاق، مقارنة بمتوسط دخل الأسر الأمريكية فى عام ١٩٩٠ والبالغ أربعة وثلاثين ألفًا وأربعمائة دولار فى السنة. إن ما يؤدى إلى تقهقر نظامنا التعليمى ليس قلة الإنفاق أو تدنى رواتب المعلمين، وإنما العجز فى عدد المعلمين المدربين تدريبًا جيداً بسبب قصور نظام التعليم الجامعى.
- ذكر ٦١٪ من الأمريكيين الذين أجرى عليهم مسح إحصائى أنهم يعتقدون أن فترة بقاء العضو فى مجلس النواب ينبغى ألا تتعدى اثنى عشر عامًا. ففى عام ١٩٩٤، كان عدد أعضاء المجلس الذين استمروا فى العضوية منذ فترة الستينيات ٢٣ عضواً ، بينما كان هناك ٤ أعضاء فقط ممن ولدوا فى فترة الستينيات. من الواضح أن رغبة الشعب الأمريكى هذه لم تحقق. ينبغى أن يعمل مجلس النواب مباشرة على وضع حد أقصى للفترات الزمنية لأعضائه حتى يؤدى خدمة أفضل للمواطنين الذين يمثلهم.

• "الحرب على المخدرات" تكلف هذا البلد أكثر مما تستحق. فكر فى الأمر التالى: منذ عام ١٩٧١، أنفقت الولايات المتحدة حوالى ١٥٥ بليون دولار على الحرب على المخدرات. تضمنت ميزانية عام ١٩٩٥ بمفردها ١٢ بليون دولار، منها ٥٩٪ خصصت لجهود تعزيز القانون. ماذا جنت البلاد من وراء إنفاق هذه البلايين؟ ليس الكثير. فعدد من هم بين الثامنة عشرة والخامسة والعشرين ممن جربوا تعاطى الميرجوانا انخفض بنسبة طفيفة (حوالى ٧٪)، ولكن نسبة متعاطى الكوكايين ارتفعت بنفس النسبة تقريبًا، فيما بقيت نسبة المخدرات الأخرى ثابتة تقريبًا. إن المكاسب الهامشية الطفيفة التى جنيناها خلال عشرين عامًا من الحرب على المخدرات كان من الممكن توجيهها نحو استخدامات اجتماعية أكثر نفعاً. ولكننا، عوضًا عن ذلك، نستمر فى إهدار مبالغ ضخمة على جهود لا طائل وراءها وإن كانت لها جاذبيتها السياسية.

الفصل الثانى عشر

المعلومات المهمة المستبعدة

ما قدر إقناع الإعلانات التالية ؟

معظم الأطباء يصفون **Ease-Pain** علاجًا للصداع!

حصلت الكوكاكولا على قصب السبق فى اختبارات التذوق الحديثة.

يتمثل غرض الإعلانين السابقين بالطبع فى حثك على شراء المزيد من المنتجين. ولكنك تعرف، حتى قبل أن تنمو مهاراتك النقدية إلى مستواها الراهن، إن مثل هذه الإعلانات لا تخبرك بكل الحقيقة. فعلى سبيل المثال، إذا كانت شركة **Ease-Pain** تقدم للمستشفيات تخفيضًا أكبر مما تقدمه شركات الأسبرين الأخرى، كما تزودها بعينات مجانية تفوق ما تقدمه الشركات الأخرى، أو تقدم رحلات بحرية لمن يستخدم منتجاتها، فمن غير المحتمل أن ترى مثل هذه المعلومات متضمنة فى الإعلان. وعلى الرغم من أهمية هذه المعلومات عند اتخاذك قرارًا يتعلق بما سوف تتناوله كعلاج للصداع الذى تشعر به، فإنك لن تحصل عليها.

من خلال طرح الأسئلة التى تعلمتها من الفصول السابقة، كتلك الخاصة بالغموض، والافتراضات، والشواهد، سوف تكتشف الكثير من المعلومات المهمة المستبعدة. إن بحثًا مستفيضًا عن المعلومات المستبعدة يكون مهمًا للتقويم الناقد يستحق من ثم المزيد من التأكيد. نحاول فى هذا الفصل أن نجعلك أكثر حساسية لأهمية المسكوت عنه وأن نذكرك بأننا نعالج صورة منقوصة للحجة عندما نقتصر على تقويم الأجزاء المعلن عنها صراحة. من هنا، سوف نخصص هذا الفصل لمناقشة أحد الأسئلة المهمة التى يتعين عليك طرحها كى تتمكن من الحكم على جودة الاستدلال. ما المعلومات المهمة المستبعدة؟

مزايا الكشف عن المعلومات المستبعدة

يجب أن تتذكر أن معظم المعلومات التى تصادفها تخدم غرضًا معينًا. بعبارة أخرى، فإن بناء تلك المعلومات قد تم وانتظم بواسطة شخص معين يأمل فى أن يؤثر فى تفكيرك بطريقة محددة. وفق ذلك، فإن مهمتك تتمثل فى أن تقرر ما إذا كنت ترغب فى أن تكون أداة لخدمة الغرض المختار. وكثيرًا ما يتمثل هذا الغرض فى إقناعك.

يقوم أصحاب الإعلانات، والمدرسون، والسياسيون، والمؤلفون، والخطباء، والآباء بتنظيم المعلومات للتأثير فى قراراتك. لذا، فإن الذين يرغبون فى إقناعك سيحاولون دائمًا عرض موقفهم فى أقوى صورة ممكنة. هكذا، عندما تواجه موقفًا تعتقد أنه يتضمن مبررات للإقناع، تقتضى منك الحكمة أن تتردد وتفكر فى ما لم يخبرك به المؤلف، وهو أمر لم يشمله سؤالك الناقد بعد. إن هذه المبررات القوية التى صادفتك قد لا يكون لها هذا التأثير عندما تدرك أن دعمها الظاهر للنتيجة يستند إلى معلومات مهمة مستبعدة.

نعنى بالمعلومات المهمة المستبعدة تلك التى من شأنها أن تؤثر فى قرارك تبنى حجج الكاتب أو المتحدث، أى إنها معلومات تشكل لب الاستدلال! يحفل هذا الفصل بأمثلة قد لا تكون مقنعة بدرجة كافية، ليس بسبب ما يقال وإنما بسبب ما لا يقال. ادرس الأمثلة المقدمة بعناية ولاحظ كيف أن الفشل فى البحث عن المعلومات المستبعدة فى كل حالة سينتهى بك إلى إصدار أحكام مبتسرة محتملة الخطأ.

يقين الاستدلالات الناقصة

لا يمكن تحاشى الاستدلالات الناقصة لأسباب عديدة. أولاً، بسبب القيود التى يفرضها الزمان والمكان. الحجج تكون ناقصة لأن أصحاب المقالات ليسوا ملزمين

بالاستمرار فى تنظيمها إلى ما لا نهاية، كما أنهم لا يملكون زمانًا أو مكانًا لا محدودًا لعرض مبرراتهم.

ثانيًا، كل واحد فينا يمتلك قدرة محدودة على الانتباه؛ وينتابنا الشعور بالملل عندما تأتى الرسائل مفرطة فى طولها. لذا، كثيرًا ما يشعر أصحاب المقالات بالحاجة إلى توصيل رسائلهم بسرعة إلى الآخرين. ويعكس سلوك أصحاب الإعلانات والمحررين هذين العنصرين. فعلى سبيل المثال، حيث إن المكان والزمان المحددين لتقديم رسالة إعلانية معينة يكون محدودًا، وبحسبان أنه يتعين عليها أن تجذب وتستقطب انتباهنا، يلجأ المعلنون إلى القيام باستبعادات مخلة.

والسبب الثالث لحتمية عملية استبعاد المعلومات يكمن فى أن المعرفة التى يمتلكها صاحب الحجة ستظل دائمًا ناقصة. أما الرابع فيرجع إلى محاولة صريحة للتضليل. أصحاب الإعلانات يدركون أنهم يستبعدون أجزاء مهمة من المعلومات. إذا عرضوا عليك كل المواد الكيميائية أو المكونات الرخيصة التى تدخل ضمن منتجاتهم، من غير المحتمل أن تقوم بشرائها. ويقوم الخبراء فى كل المجالات عن عمد باستبعاد معلومات يعرفون أن نشرها علنًا سيضعف من التأثير الإقناعى لنصائحهم. مثل هذا الاستبعاد يكون مغريًا بصفة خاصة حين يدرك ناصحوك انك شخصية "إسفنجية".

والسبب الأخير المهم لانتشار عملية استبعاد المعلومات يرجع إلى أن القيم، والمعتقدات، والاتجاهات التى يؤمن بها الذين يرومون نصحك أو حضك كثيرًا ما تختلف عن تلك التى تؤمن بها. تستطيع إذن أن تتوقع أن استدلالاتهم تسترشد بافتراضات تختلف عن الافتراضات إلى تقدمها أنت للإجابة عن السؤال نفسه. يشبه كل واحد من هذه الرؤى العصابة التى توضع على عينى الحصان. فمثل هذه العصابة تحسن من توجيه الحصان إلى التركيز على ما أمامه. وهكذا، فإن رؤية الفرد، شأنها شأن العصابة على عينى الحصان، تعوق ذلك الشخص عن ملاحظة معلومات معينة قد

تكون لها أهميتها عند من يستدل من إطار مرجعى مختلف. ما لم تتطابق رؤيتك مع رؤية الشخص الذى يحاول إقناعك، لك أن تتوقع استبعادًا مؤثرًا للمعلومات.

وفق هذان فإن المعلومات المستبعدة أمر لا يمكن تجنبه لخمسة أسباب على الأقل:

١ – قيود الزمان والمكان

٢ – فترات الانتباه المحدودة

٣ – قصور المعرفة الإنسانية

٤ – التضليل

٥ – اختلاف الرؤى

أسئلة تكشف عن المعلومات المستبعدة

إذا كنت قد اقتنعت الآن بأن الاستدلالات ستبقى بالضرورة ناقصة، فقد تتساءل، "ماذا عساى أن أفعل؟" حسن، بداية يجب أن تذكر نفسك المرة تلو المرة أنه بغض النظر عن الجاذبية التى تبدو بها المبررات التى تعضد قرارًا أو رأيًّا معينًا لأول وهلة، فمن الضرورى أن تلقى نظرة أخرى بحثًا عن المعلومات المستبعدة. إن تذكر البحث عن المعلومات المستبعدة يعد خطوة أولى حاسمة فى استخدام هذا السؤال الناقد.

كيف تبحث، وماذا تتوقع أن تجد؟ عليك أن تطرح أسئلة تساعدك على تحديد نوع المعلومات الإضافية التى تحتاجها، وأن تطرح أسئلة مصممة للكشف عن تلك المعلومات.

أليس من المنافى للعقل أن تطرح على مؤلف ما أسئلة لا يستطيع الإجابة عنها؟ كلا على الإطلاق! إذ على الرغم من أن المؤلف لن يجيب عن أسئلتك، فإن سؤالك إياه له جوانب ايجابية. أولاً، قد تمكنك المعلومات التى تعرفها بالفعل من العثور على المعلومات المفقودة. ثانياً، البحث عن المعلومات المستبعدة المتضمنة فى الكتابات التى تهدف إلى الإقناع يزودك بتدريب جيد على معرفة متى تكون قادراً على البحث عن المعلومات المستبعدة وجهاً لوجه أمام أستاذك أو أى شخص آخر يحاول أن يقنعك شفوياً. والأهم من ذلك، البحث عن المعلومات المفقودة يحول بينك وبين التسرع فى اتخاذ القرارات. إنك بطرح هذه الأسئلة تذكر نفسك بأن المعلومات المقدمة ناقصة وبأنه أياً كانت النتيجة التى تصل إليها على أساس معلومات ناقصة ستكون الضرورة مؤقتة وليست نهائية.

هناك أنواع متعددة من الأسئلة التى يمكنك استخدامها لتحديد المعلومات المناسبة المستبعدة. بعض الأسئلة التى سبق أن تعلمت بالفعل كيفية طرحها سوف تلقى الضوء على المعلومات المهمة المستبعدة. فمثلاً، طرح أسئلة ناقدة حول الغموض، استخدام الشواهد، وخصوبة وجودة الافتراضات تحدد عادة المعلومات المهمة المستبعدة.

بالإضافة إلى ذلك، لكى نساعدك على تحديد المعلومات المستبعدة التى ربما لم تتضمنها الأسئلة الناقدة السابقة، سوف نزودك فيما يلى بقائمة تتضمن بعض أنواع المعلومات المهمة المستبعدة مع بعض الأمثلة للأسئلة التى تساعد فى الكشف عنها:

مفاتيح للعثور على الأنواع الشائعة من المعلومات المهمة

١ - حجج مضادة شائعة

(أ) ما المبررات التى يمكن أن يقدمها شخص مخالف؟

(ب) هل توجد دراسات بحثية تتناقض مع الدراسة المقدمة؟

(ج) هل هناك أمثلة، أو شهادة، أو مماثلات مفقودة تعضد الجانب الآخر من الحجة؟

٢ - التعريفات المستبعدة

(أ) كيف يمكن أن تختلف الحجج إذا تم تعريف المصطلحات الأساسية بصورة مغايرة؟

٣ - التفضيلات القيمية أو الرؤى المستبعدة

(أ) ما مجموعة القيم المغايرة التى نستطيع أن نقارب هذا الموضوع من خلالها؟

(ب) ما أنواع الحجج التى يمكن أن يقدمها شخص آخر يعالج الموضوع من خلال مجموعة مختلفة من القيم؟

٤ - أصول "الوقائع" التى تشير إليها الحجة

(أ) ما مصدر "الوقائع"؟

(ب) هل يتم دعم المزاعم الوقائعية بالأبحاث المؤهلة أو المصادر الموثوقة؟

٥ - تفاصيل الإجراءات المستخدمة لجمع المعطيات

(أ) كم عدد الأفراد الذين أكملوا الاستبيان؟

() كيف تمت صياغة أسئلة المسح الإحصائى؟

٦ - أساليب بديلة لجمع وتنظيم الشواهد

(أ) كيف يمكن أن تتباين نتائج الدراسة القائمة على المقابلة الشخصية عن نتائج الدراسة القائمة على استبيان مكتوب؟

٧ - الأرقام، أو الأشكال، أو الجداول، أو المعطيات المحذوفة أو الناقصة

(أ) هل تختلف الأرقام لو تضمنت شواهد من العام السابق أو اللاحق؟

(ب) هل تلاعب المؤلف فى الأرقام ليضخم الخلافات؟

٨ - المؤثرات المستبعدة، الايجابية والسلبية، على المدى القصير والبعيد، لما يتم الدفاع عنه وما يتم معارضته.

(أ) هل تجاهلت الحجة نتائج إيجابية أو سلبية لفعل مقترح؟

(ب) هل نرغب فى معرفة تأثير الفعل على أى من الجوانب الآتية: السياسية، أو الاجتماعية، أو الاقتصادية، أو البيولوجية، أو الروحية، أو الصحية، أو البيئية؟

٩ - سياق الاقتباسات والشهادة الشخصية

(أ) هل تم نزع اقتباس أو شهادة معنية من سياقها؟

١٠ - المزايا التى يجنيها المؤلف من إقناع الآخرين

(أ) هل تبنينا لسياسة المؤلف المقترحة ستعود عليه بنفع مادى؟

إن الوعى بهذه الأنوا ع المحددة سيساعدك كثيرًا فى تحديد المعلومات المستبعدة المناسبة. ونظرًا لوجود العديد من أنوا ع المعلومات المهمة المستبعدة، يتوجب دائمًا أن تسأل نفسك السؤال العام، "هل تجاهل المؤلف أو المتحدث أية معلومات أخرى أرغب فى معرفتها قبل الحكم على درجة إحكام حجته؟"

دعونا نفحص بعض الحجج التى استبعدت بعض أنوا ع المعلومات والتى ذكرناها أنفًا ونلاحظ كيف أن كل استبعاد قد يتسبب فى صياغتنا لنتيجة خاطئة. تتمثل الوسيلة الوحيدة لتجنب هذه المخاطر فى إضافة تلك المعلومات المستبعدة فى كل حالة. لننظر فى البداية فى زعم يقدمه أحد الإعلانات.

يتباهى إعلان معروف عن غسول مطهر للفم بأن ذلك المطهر يحتوى على مكونات قوية جديدة تقضى على ٩٠٪ من البكتريا التى تسبب رائحة الفم الكريهة. هل يجب أن نستنتج من ذلك أننا يجب أن نشترى هذا المنتج المعلن عنه؟ انتظر برهة! فمن بين المعلومات العديدة المستبعدة، تجاهل الإعلان أن يتضمن معلومات عن:

١ – نسبة البكتريا التى تقضى عليها المنتجات الأخرى المنافسة؛ فربما يقضى بعضها على ٩٥٪ من البكتريا؛

٢ – كمية البكتريا التى تقضى عليها الطريقة العادية لتنظيف الفم بفرشاة الأسنان أو بمجرد مضمضة الماء فى الفم؛ ربما تصبح رائحة فمنا جيدة بمجرد مداومة استخدام الفرشاة والمعجون فى تنظيفها؛

٣ – الآثار السلبية المحتملة لقتل بكتريا الفم؛

٤ – الأسباب الأخرى لرائحة الفم الكريهة؛ فربما تسهم التهابات الحلق واللوزتين فى انبعاث تلك الرائحة؛

٥ – كمية البكتريا اللازمة لخلق الرائحة الكريهة فى الفم؛ ربما كانت نسبة ١٠٪ كافية.

٦ - تأثير غسول الفم على الجوف من الداخل، فقد يؤذى اللثة؟

٧ - المزايا والعيوب الأخرى لغسول الفم، من قبيل الطعم، والسعر، ومدة بقاء تأثير المطهر. لقد استبعد المعلنون الكثير من المعطيات المهمة التى تحتاج إليها إذا أردت أن تأخذ قرارًا صائبًا بالشراء.

أرأيت كيف أن عبارات الإعلانات من قبيل "الأطباء يوصون بكذا..."، "هذا هو الشىء الحقيقى"، "يخفض السعرات الحرارية"، "خفيف"، "خال من الدهون بنسبة ٩٨٪"، "غنى بالسعرات الحرارية"، "يمكن أن يساعد فى تخفيض الكلسترول" و"طبيعى بنسبة ١٠٠٪"، قد تكون كلها دقيقة تمامًا ولكنها تظل مضللة بسبب المعلومات المستبعدة؟

من الواضح تمامًا أن الإعلانات تستبعد الكثير من المعلومات المهمة. دعونا الآن نلق نظرة على مثال استدلالى أكثر تعقيدًا. اقرأ الاقتباس التالى واسأل نفسك ما الذى تم استبعاده، مستخدمًا القائمة التى زودناك بها:

> **تدفع المرأة فى بلدنا ثمنًا باهظًا للنزعة النسوية الداعية إلى المزيد من المساواة. فمن خلال تأخير سن الزواج من أجل النجاح فى العمل، تواجه المرأة " نقصًا حادًا فى عدد الرجال"، ما يهدد فرصتها فى الزواج. فعلى سبيل المثال، كشفت دراسة حديثة عن الزواج قام بها باحثون من جامعتى هارفارد وييل أن فرصة زواج الفتاة الجامعية التى لم تتزوج حتى سن الثلاثين ٢٠٪، وفى سن الخامسة والثلاثين، تتضاءل فرصتها إلى ٥٪. فضلاً عن هذا، كشفت الدراسة عن هبوط كبير فى الوضع الاقتصادى يؤثر فى النساء اللائى يتم طلاقهن فى ظل قانون اللاخطأ no - fault الجديد. اكتشفت دراسة قام بها أحد علماء الاجتماع أن المرأة المتوسطة تفقد ٧٣٪ من مستوى معيشتها**

بعد سنة واحدة من طلاقها، بينما يتمتع الرجل المتوسط بارتفاع ٤٠٪ فى مستوى معيشته. أيضًا، لم تكن صحة المرأة العقلية فى وضع أسوأ من هذا بل إنها تنحدر فى تناسب مباشر مع نزوعها فى البقاء دون زواج أو تطليق نفسها من أجل الوظيفة. الحال أن العزباء تشكل الآن الغالبية العظمى من عدد المرضى فى عيادات الطب النفسى.

ما المعلومات المهمة التى تحتاجها قبل أن تقرر ما إذا كانت يتوجب على النساء أصحاب النزعة النسوية أن يتوقفن عن الاندفاع نحو المطالبة بالمساواة بالرجال؟ دعونا نقترح عليك بعض الأسئلة.

ما الحجج المضادة أو الأمثلة المخالفة التى يمكن لأصحاب النزعة النسوية استخدامها لدحض هذا الاستدلال؟ نستطيع أن نتخيل حجة مضادة تؤكد النتائج الايجابية وراء السعى نحو المزيد من المساواة؛ من قبيل مزيد من التنوع فى اختيار الوظائف والأدوار الوطنية، زيادة الحقوق القانونية، والحرية المثمرة المتزايدة.

ما التعريفات المكنة للصحة العقلية التى يمكن استخدامها فى هذه الحجة؟ ما الافتراضات القيمية التى تعكسها هذه التعريفات؟

ما مأتى الوقائع التى استندت إليها الحجة؟ كيف عرف المؤلف بتدهور صحة المرأة العقلية وأن النساء العزباوات يشكلن الغالبية العظمى من مرضى العيادات النفسية وأن المرأة المتوسطة تواجه انخفاضًا فى مستوى معيشتها قدره ٧٣٪؟ أيضًا، ما درجة ثقتنا فى النتيجة الخاصة بالاختلافات المادية؟ يبدو أن البحث يستمد أصوله من مصادر جامعية، لكن المؤلف يقدم لنا القليل من التفاصيل التى تمكننا من الحكم على جودة البحث.

مثال ذلك، هل من المفيد لك أن تعرف أن دراسة أكثر حداثة من الدراسة المذكورة، قام فيها باحث جامعى باختيار عينة مكونة من ١٣,٤ مليون ربة منزل،

عوضًا عن العينة المكونة من ستين ألفًا فى الدراسة السابقة، ووجد أن لدى الجامعيات اللائى لم يسبق لهن الزواج حتى سن الثلاثين فرصة تتراوح بين ٥٨٪ و ٦٦٪ للزواج، وفى سن الخامسة والثلاثين تتراوح النسبة بين٣٢ إلى ٤١٪، وهو رقم أعلى سبع مرات من دراسة هارفارد وييل؟ إننا نحتاج بالتأكيد لمعرفة الأساس الذى قام عليه هذا الاختلاف قبل أن نحكم على قيمة الشاهد المستخدم. هل يمكن للمناهج البحثية الأخرى أن تقدم لنا رؤية مختلفة لسعادة المرأة؟ فمثلاً، نستطيع أن نخبرك أن دراسة أجريت فى التسعينيات تتبعت النساء أنفسهن لأكثر من ثلاثة عقود، ذكرت أن المتزوجات زواجًا تقليديًّا يتعرضن أكثر من العزباوات لمخاطر عالية للإصابة بأمراض بدنية ونفسية فى حياتهن- من الاكتئاب إلى الصداع النصفى، ومن ارتفاع ضغط الدم إلى تهيج القولون. أيضًا، ذكر لويس هاريس فى استبيان أجراه على مجموعة من النساء بين سن الخامسة والأربعين والستين أن الغالبية العظمى منهن أبدين عدم رغبتهن فى الزواج.

كيف يختلف مستوى معيشة المطلقات والمطلقين بعد خمسة سنوات؟ من الواضح، أن المؤلف يقدم لك صورة منقوصة لكيفية تأثير أهداف الحركة النسائية على المرأة. وما لم تقم أنت بتكملة تلك الصورة الناقصة، فإن قرارك بدعم أهداف الحركة النسائية سيكون قرارًا مبتسرًا بدرجة كبيرة.

أهمية الآراء السلبية

هناك نوع آخر من المعلومات المستبعدة كثيرًا ما يتم تجاهله على الرغم من أهميته، من ثم فمن المهم أن نبرزه لك: التأثيرات السلبية المحتملة للفعل الذى يتم الترويج له، مثل التقنيات الحديثة، التوسع الصناعى، والسياسة العامة. ويأتى تأكيدنا على الآثار السلبية هنا بسبب أن الافتراضات المقدمة لمثل هذه الأفعال عادة ما توجد فى سياق ترويج المؤيدين لجنى منافعهم، مثل الاختيار الأوسع والسرعة الأكبر،

المظهر الأفضل، المزيد من وقت الفراغ، زيادة عمر الإنسان، والمزيد من المنتجات المتطورة. ولأن معظم الأفعال يكون لها مثل هذه الآثار الايجابية والسلبية المنتشرة، يتوجب أن نسأل:

- ما قطاعات المجتمع التى لا تفيد من الإجراء المقترح؟ ومن الخاسر؟ وما الذى يجب أن يقوله الخاسرون عن ذلك؟
- كيف يؤثر الإجراء المقترح على توزيع القوى؟
- هل يؤثر الإجراء على وضع الديمقراطية فى مجتمعنا؟
- كيف يؤثر إجراء معين على رؤيتنا للعالم: ما الذى نفكر فيه؟ كيف نفكر، وما الذى نعرفه وما الذى يكمن أن نعرفه؟
- ما تأثير الإجراء على صحتنا؟
- كيف يؤثر الإجراء فى علاقتنا المتبادلة؟ وعلاقتنا بالبيئة الطبيعية؟
- هل للإجراء تأثير تراكمى، بطىء؟

نحتاج أيضًا إلى أن نسأل: "ما تأثيرات الإجراء السلبية المحتملة على المدى البعيد؟"

لتبيان فائدة طرح أسئلة المعلومات المستبعدة تلك، نتأمل السؤال الآتى: ما بعض التأثيرات السلبية المحتملة للتطورات المتزايدة فى تقنيات الحاسب الآلى، وهى السياسة التى يناصرها الكثيرون فى مجتمعنا؟ هل تفكر فى الآتى؟

- التلوث وتدهور الحالة الصحية. هل سيستخدم مصنعو الحاسب الآلى كميات كبيرة من المواد السامة الضارة التى يجب فى نهاية الأمر التخلص منها فى مقالب النفايات السامة؟ أيضًا، ما آثار الجلوس فترة طويلة أمام الحاسب الآلى على صحتنا؟

- التنقل فى العمل. كم عدد أولئك الدين يفقدون وظائفهم أو يضطرون إلى التحول إلى وظائف أقل أهمية؟

- التعدى على الخصوصية. ما سهولة حصول الآخرين على معلومات تتعلق بدخلنا وعاداتنا الشخصية؟

- تسارع المعلومات. ما تأثير المعلومات المفرطة على الأشخاص؟

- المركزية العسكرية. هل يحتمل مع استمرار تواصل أجهزة الحاسب الآلى العملاقة، أن تتحكم بعض الجماعات فى مجتمعنا تحكمًا كبيرًا فى الجوانب العسكرية؟

- انخفاض درجة التفاعل الاجتماعى. ما الوقت الذى نستهلكه فى التعامل مع الآلات، عوضًا عن البشر؟

يمكن أن تجعلنا مثل هذه الأسئلة نتردد فى تنفيذ الإجراء المقترح.

المعلومات المستبعدة التى تظل غائبة

إن مجرد قدرتك على طلب معلومات مهمة مفقودة لا يضمن لك استجابة مرضية. فمن المحتمل تمامًا ألا تتم الإجابة عن أسئلتك الفاحصة. لا تقنط! فقد قمت بواجبك. لقد طلبت المعلومات التى تحتاجها لاتخاذ قرارك؛ والآن ينبغى أن تقرر ما إذا كان بالمقدور الوصول إلى نتيجة دون هذه المعلومات المستبعدة. لقد حذرناك آنفًا من أن الاستدلال ناقص دائمًا. إذن، أن تزعم تلقائيًا عدم قدرتك على اتخاذ أى قرار طالما كانت المعلومات مفقودة إنما يعوقك عن تكوين أى رأى.

استخدام السؤال الناقد

ماذا يجب أن تفعل بعد انتهائك من التفكير فى وجود معلومات مستبعدة فى حجة معينة؟ تتمثل الاستجابة المنطقية الأولى فى السعى نحو الحصول على تلك

المعلومات. لكن عادة ما تصطدم بالمقاومة. وتكمن مهمتك مفكرًا ناقدًا فى أن تعبر عن عدم قناعتك بالحجة فى ظل وجود معلومات مستبعدة، وأن تستمر فى البحث عن المعلومات التى تطلبها، أو تقبل الاستدلال بحذر على أساس أنه أفضل من الاستدلالات المنافسة.

المعلومات المستبعدة وأسلوبك الخاص فى الكتابة والتحدث

عندما تتواصل مع الآخرين، يتعين عليك بالضرورة أن تستبعد بعض المعلومات التى يحتاجها مستمعوك. ولكن، ينبغى فى الوقت نفسه لخبرتك باستخدام السؤال الناقد أداة للتقويم أن تحذرك سلفًا من أن لبعض المعلومات أهميتها عند صياغة حجة قوية. عندما تشرع فى الكتابة أو التحدث، يجب أن تظهر الاحترام لمستمعيك أو لقرائك عندما تضمّن كتاباتك أو حديثك معلومات محددة تعلم سلفًا أنها ستساعدهم فى الحكم على قيمة استدلالك.

فمثلاً، عندما تقترح أمرًا معينًا، فكر فى نقائص ما تدعو إليه وشارك مستمعيك فى أمر هذه المشكلات. إذا لم تفعل ذلك فأنت تهينهم. إنهم يدركون وجود النقائص، من ثم يتعين عليك، من أجل الحفاظ على مصداقيتك، أن تكون منفتحًا مستعدًا للإقرار بوجودها.

سؤال نقدى: ***ما هى المعلومات المهمة المستبعدة؟***

تمارين تطبيقية

ثمة معلومات مهمة مفقودة فى كل تمرين من التمارين الآتية. ضع قائمة بالأسئلة التى ترغب فى طرحها على من قاموا بكتابة هذه التمارين. وضح أهمية هذه المعلومات المستبعدة فى الحكم على أهمية الاستدلال.

النص ١

يحتاج الطلبة للمزيد من النوم، إذ إن أداءهم فى الامتحانات والأبحاث يتدنى عندما لا يحصلون على قسط كاف من النوم. عندما نسأل الطلبة المتفوقين عن عادات نومهم، فإنهم يجيبون دائمًا بأنهم يحصلون على قسط وافر من النوم.

فضلاً عن هذا، شاهدنا جميعًا حشود الطلبة العائدين فى وقت متأخر من الليل من الحانات. لقد نشر مركز الإرشاد فى جامعتنا مذكرة تم فيها توثيق حقيقة أن المسرفين فى السهر الصاخب غالبًا ما يكونون نفس الطلبة الذين يفصلون فى نهاية الأمر من الجامعة بسبب تدنى مستواهم الدراسى. ربما كان حصولهم على قسط إضافى من النوم منقذًا لهم.

عينة من الأجوبة

النتيجة: *سوف يتحسن أداء الطلبة فى المدارس إذا نالوا قسطًا إضافيًّا من النوم.*

المبررات

١ - يزعم *الطلبة المتميزون أنهم ينامون ساعات طويلة.*

٢ - يقول *مركز الإرشاد فى جامعتنا أن الطلبة الذين يسهرون إلى وقت متأخر كثيرًا ما* يكونون نفس *الطلبة الذين يفصلون* بسبب *تدنى* مستواهم *الدراسى.*

قبل أن نبدأ فى الإصرار على طلب المزيد من النوم، يجب أن نفحص المعلومات التى قادت إلى هذه النتيجة. فمثلاً، ما الأمثلة المناوئة؟ أليس من المحتمل أن

استيقاظك طويلاً وبصورة متكررة لإنجاز عملك بصورة جيدة قد يقودك إلى الحصول على تقديرات مرتفعة؟ ثم، ما كمية النوم الإضافية التى يحصل عليها الطلبة المتميزون؟ هل يحققون نتائج دراسية أفضل إذا ناموا فترات أقل؟

بالإضافة إلى ما سبق، ما الذى نعرفه عن كيفية إجراء المسح الإحصائى على الطلبة المتفوقين؟ لاشىء على الإطلاق!! أخيرًا، هل لدى مركز الإرشاد أى دليل مقنع على أن من يظلوا مستيقظين الى وقت متأخر هم حقًا نفس المجموعة التى تحصل على أدنى الدرجات؟

تلك كانت بعض الأسئلة القليلة التى نرغب فى طرحها قبل أن نعتمد على المعلومات المقدمة فى هذه التدريب.

....

ملخص السؤال الناقد

مكمن أهمية هذا السؤال

ما المعلومات المهمة المستبعدة ؟

عندما يحاول مؤلف معين أن يقنعك بأمر ما، كثيراً ما يغفل معلومات مهمة. وكثيراً ما تكون لهذه المعلومات أهميتها عند تقويم أهمية ذلك الأمر. ومن خلال السعى نحو الحصول على هذه المعلومات، يمكنك تحديد ما إذا كان المؤلف قد قدم لك معلومات كافية تدعم الاستدلال. فإذا كان المؤلف قد استبعد الكثير من المعلومات، فلا يمكنك قبول المعلومات التى يقدمها لتعضيد النتيجة. من هنا، يتعين عليك رفضها.

مختارات من أسئلة الموقع الخاص بالكتاب

حدد المعلومات المهمة المستبعدة فى كل من الأمثلة الآتية

يفيد كثير من المتسوقين هذه الأيام من التبضع عبر الانترنت. لقد تم شراء ما قيمته ٣,١ بليون دولار من البضائع خلال العام الماضى وحده. ومن المتوقع أن تصل مبيعات الأعياد عبر الإنترنت إلى ما لا يقل عن ضعف أرقام العام الماضى، أى ما بين ٦ إلى ٨,٦ بليون دولار فى الولايات المتحدة وحدها. مثل هذا النمط من التسوق يتيح مزايا عديدة: الراحة، تعدد فرص الاختيار، ومقارنة فرص التسوق المختلفة. ما الذى يدعو المتسوقين إلى مغامرة الخروج بعيداً عن منازلهم وسط الطرق السريعة المزدحمة ومراكز التسوق المكتظة إذا كانت متعة التسوق الألكترونى بين أصابع أيديهم؟

● لصناعة التبغ أهميتها القصوى بالنسبة لاقتصاد الولايات المتحدة. فى عام ١٩٩٢، صدرت الولايات المتحدة ما قيمته ١,٧ بليون دولار من التبغ. ولا يتضمن هذا الرقم الاستهلاك المحلى لمائتين وسبعين مليون أمريكى، يصل عدد المدخنين بينهم إلى ٢٥٪. ومن شأن القيود والإجراءات الإضافية أن تخفض من هذا الاستهلاك، مما يعنى فقدان الوظائف وانخفاض عائدات التصدير التى نحتاجها بشدة فى ظل العجز المالى الهائل الذى يعانى منه الاقتصاد الأمريكى الآن.



الفصل الثالث عشر
النتائج الوجيهة الممكنة



لعلك أصبحت الآن معداً بصورة جيدة لتبحث عن الثمار الفكرية، بحيث تميز بين المبررات القوية والضعيفة. فى الحجج الوصفية، تتمثل المبررات القوية فى صورة شواهد مقنعة من قبيل نتائج الدراسات البحثية الدقيقة، والمماثلة المناسبة، واللجوء إلى السلطة ذات المصداقية، أو الأمثلة المقنعة. وبالنسبة للحجج القيمية، تتمثل المبررات القوية فى صورة مبادئ أو قضايا قيمية تقوم بتحديدها باعتبارها أفضل قضايا مناسبة أو دعماً.

تأمل المثال الآتى:

حان الوقت لإنهاء ثورة الطلاق التى خبرناها خلال الثلاثين عاماً الماضية. لقد خلقت قلاقل اقتصادية للكثير من الأمهات كما أدت بعدد لا نعرفه من الآباء للتخلى عن مسئولياتهم المالية تجاه أبنائهم. بالإضافة إلى ذلك، جعلت عدداً لا حصر له من الأطفال يعانون من تأثيرات خبرة الطلاق المريرة. هكذا، فإن إلغاء قوانين طلاق اللاخطأ no - fault divorce laws فى الحالات التى تشتمل على وجود أطفال يعد أمراً معقولاً. إن تحويل الطلاق إلى أمر صعب المنال، من شأنه أن يجبر الكثير من الآباء والأمهات على البقاء معًا لحل مشاكلهم، مما يخفض بدوره من معدل الطلاق.

هل يجب بعد قراءة الفقرة السابقة أن تحث عضو المجلس الوطنى فى دائرتك على أن يؤيد إلغاء قوانين الطلاق تلك؟ هب أنك اختبرت مبررات المؤلف فى الفقرة

السابقة وتيقنت من معقوليتها . هل تستطيع ذكر نتائج أخرى يمكن أن تتساوى فى درجة اتساقها مع هذه المبررات كما حدث مع النتيجة التى يقدمها المؤلف؟ سوف نقترح عليك فى هذا الفصل نتائج بديلة محتملة.

نادرًا ما ستواجه موقفًا يمكن فيه استنتاج نتيجة واحدة معقولة فقط. من هنا، يجب أن تتيقن من أن النتيجة التى تتبناها هى أكثر النتائج معقولية وأكثرها اتساقًا مع قيمك المفضلة. ومن شأن إدراكك أن نفس المبررات يمكن أن تقدم تأييدًا لنتائج تختلف عن نتيجتك أن يزيد اهتمامك بأية اختبارات إضافية تساعدك فى تحديد أفضل النتائج.

سؤال نقدى: *ما النتائج الوجيهة الممكنة؟*

الافتراضات والنتائج المتعددة

يستحيل التفسير الأحادى الجانب سواء للشواهد التى تحاول تدعيم زعم وقائعى معين أو مجموعة من المبررات القوية التى تؤيد نتيجة مفترضة. المبررات لا تتحدث عادة عن نفسها بصورة جلية. وكما سبق وشاهدنا مرات عديدة، يتم الوصول إلى النتائج فقط بعد أن يقوم شخص ما بتقديم تأويلات أو افتراضات معينة حول معنى المبررات.

إذا قمت بتقديم افتراض مغاير لمعنى المبررات، سوف تصل إلى نتائج مختلفة. وحيث إننا نمتلك مستويات مختلفة من الدقة التصورية، والأطر المرجعية، والمعرفة القبلية، فإننا كثيرًا ما نختلف حول النتائج المفضلة. إننا نصل إلى نتائج متباينة من المبررات نفسها لأن خلفياتنا وأهدافنا المتباينة تجعلنا ننحاز إلى افتراضات مختلفة عندما نقرر ربط المبررات بالنتائج.

أحيانًا يذكر الكاتب أو المتحدث نتائج بديلة يمكن الوصول إليها فى ضوء المبررات التى يقدمها. لكن كثيرًا ما يتعين عليك اقتراح بدائل ممكنة. للقيام بهذا

العمل الخلاق، حاول أن تتخيل نوع الافتراضات المختلفة التى تمكن الشخص من الانتقال من المبررات التى حددتها إلى نتيجة أخرى. تذكر، من الممكن تكوين نتائج كثيرة محتملة وفقًا للمبررات نفسها. سوف يساعدك الجزآن التاليان فى التعرف على فكرة تعدد النتائج المحتملة.

التفكير المثنوى: معوقات السعى نحو التفكير فى نتائج متعددة

عدد الأسئلة التى يمكن الإجابة عنها "بنعم" البسيطة أو "لا" المطلقة جد قليل. عندما يفكر الناس على طريقة قسمة الأبيض والأسود، بنعم أو لا، صواب أو خطأ، أو فى ضوء الصحيح أو غير الصحيح، فإنهم ينخرطون فى *التفكير المثنوى*. يتكون هذا الضرب من التفكير من افتراض وجود إجابتين ممكنتين فقط لسؤال له فى الواقع أكثر من إجابة ممكنة.

لقد تعرفنا على التفكير المثنوى من قبل عندما ناقشنا أغلوطة إما _أو. تفسد هذه الأغلوطة، والتفكير المثنوى بصفة عامة، الاستدلال من خلال تقييدها المفرط لرؤيتنا. فبعد أن ننظر فى اختيارين متاحين، نعتقد أننا انتهينا من الأمر بحيث نغفل العديد من الاختيارات الأخرى والكثير من الآثار الإيجابية التى كان من المحتمل أن تنشأ عن الأخذ بواحد من تلك الاختيارات.

وكثيرًا ما يكون من يأخذون بالفكر المثنوى متصلبى الفكر غير متسامحين لأنهم يعجزون عن فهم أهمية السياق بالنسبة لأية إجابة معينة. ولكى تفهم هذه النقطة بجلاء، تخيل الموقف الآتى:

يطلب منك رفيقك فى غرفة السكن الجامعى أن تساعده فى إعداد أحد الأبحاث المطلوبة منه. يتعلق ذلك البحث بمناقشة السؤال: هل ينبغى لنا أن نقول الحق؟ ويتطلب البحث من الطالب أن يدافع برأيه الشخصى عن موقفه سواء "بنعم" أو "لا". لقد سبق وعرفت أن التفكير المثنوى يمكن تجنبه من خلال التحفظ على

النتائج، أى بوضعها فى السياق. وتتطلب عملية التحفظ منك أن تطرح الأسئلة الآتية بصدد أى نتيجة:

١ - متى تكون دقيقة؟

٢ - أين تكون دقيقة؟

٣ - لماذا أو لأى غرض هى دقيقة؟

عندئذ تبدأ فى تطبيق هذه العملية على البحث المطلوب منك. هل ستصاب بالدهشة من جراء الإحباط المتزايد لرفيقك فى السكن حين تشرح له أنه خلال أوقات معينة، وفى مواقف معينة، يجب على المرء أن يقول الحق بغرض توقير قيم أو أهداف معينة؟ إن صديقك ينتظر منك إجابة واحدة "بنعم" أو "لا"؛ لكنك تقدم له إجابة معقدة مؤداها "يتوقف الوضع على...."

والتفكير المثنوى المتصلب يحد من مجال قراراتك وآرائك. الأسوأ من هذا، أن هذا النوع من التفكير يبسط المواقف المعقدة تبسيطًا مخلاً. من هنا، فإن من يأخذون بهذا الضرب من التفكير مرشحون بدرجة كبيرة للوقوع فى الخلط والتشويش.

يوضح الجزء التالى القيود التى يسببها التفكير المثنوى.

وجهان أم عدة أوجه؟

قبل أن نتفحص عدة حجج تتضمن نتائج عديدة محتملة، دعونا نتأكد من فهمك وتقديرك للعدد الكبير من النتائج الممكنة مقارنة بالخلافات المهمة. إليك ثلاثة أسئلة معاصرة:

١ - هل تقيس اختبارات IQ الذكاء؟

٢ - هل مقترحات الرئيس الضريبية محبذة؟

٣ – هل يجب تعيين القضاة أم انتخابهم؟

يبدو أول وهلة أنه يمكن الإجابة عن هذه الأسئلة، شأن العديد من الأسئلة الأخرى، بنعم أو لا. على الرغم من أن أفضل إجابة هى تلك التى تكون بنعم أو لا غير المقيدة، تتميز الإجابة بكلمة *ربما* بأنها غالبًا ما تضطرك لأن تقر بأن معرفتك الراهنة لا تخول لك تقديم إجابة محددة حاسمة. ولكن فى الوقت الذى تتحاشى تقديم مثل هذه الإجابة، فانك تكوّن قرارًا مؤقتًا أو رأيًا يستدعى التزامًا ويستوجب فى نهاية الأمر فعلاً. وحالما تدرك استحالة تيقنك من الإجابة عن سؤال معقد، يفضل أن تقبل ضرورة اتخاذ القرارات حتى عندما تدرك أن هناك فهمًا أو معلومات مهمة مفقودة. ومن الحصافة أن تبحث عن معلومات إضافية تزيد بها من تعضيد آرائك، ولكن عند مرحلة معينة يجب أن تتوقف عن البحث وتشرع فى اتخاذ قرارك، حتى عندما تكون أقوى إجابة تريد أن الدفاع عنها هى " نعم، ولكن...."

أعد النظر فى الأسئلة الثلاثة التى سبقت الفقرة السابقة، ثم حاول أن تحدد النتائج الممكن تبنيها إجابة عن كل سؤال. من الطبيعى أن تكون الإجابة بنعم أو لا أحد الخيارات الممكنة. هل هناك إجابات أخرى؟ نعم، هناك العديد! دعنا ننظر فقط فى القليل من الإجابات الممكن تقديمها على أول هذه الأسئلة:

هل تقيس اختبارات IQ الذكاء؟

١ – نعم، ولكن بمعنى أن الذكاء يعنى الاستدلال المنطقى.

٢ – نعم، عند تقديم تلك الاختبارات لأطفال ينتمون إلى نفس الخلفية الاجتماعية والثقافية.

٣ – نعم، ولكن عند استخدامها مع الأطفال المبتدئين فقط.

٤ – نعم، عندما تتوافق درجات الاختبار بصورة كبيرة مع مقاييس الدافعية.

٥ – نعم، ولكن مع نمط الذكاء المفيد فى المدارس.

٦ – لا، إذا عرفنا الذكاء بأنه ذلك العامل الذى يقود إلى النجاح لاحقًا فى المجال الذى يختاره الفرد.

٧ – لا، إذا فشلت هذه الاختبارات فى الاشتمال على معطيات تم جمعها شفويًا.

لاحظ أننا أضفنا فى كل حالة شرطًا ضروريًا قبل إمكان تبرير النتيجة. فى حالة غياب أية معطيات أو معلومات، فإن كل واحد من النتائج السبع السابقة يمكن أن يكون الأكثر معقولية. النتائج السبع السابقة ليست سوى أمثلة قليلة من النتائج التى يمكن تقديمها إجابة عن السؤال الأول. هكذا، من الممكن أن تكون هناك إجابات كثيرة على سؤال معين، وليس مجرد إجابتين فقط.

والآن، حاول أن تقترح خمس نتائج ممكنة للسؤال الثالث: *هل يجب تعيين القضاة أم انتخابهم؟*

ربما تكون النتيجة الآتية خطرت لك: يتم انتخابهم، شريطة تبيان أن معظم من سيدلون بأصواتهم يفهمون جيدًا المهام الملقاة على عاتق القاضى بصورة تكفى لاختيار يتسق مع العدالة المنشودة. ربما تكون قد فكرت فى النتيجة الآتية: يتم تعيينهم، خاصة فى الولايات التى يكون متوسط الأصوات فى السباق التشريعى فيها أقل من خمسين فى المائة خلال العشر سنوات الماضية. غير أنه من المحتمل ألا نختار أيا من النتيجتين السابقتين. لماذا نحن واثقون من ذلك؟ لأن هناك عددًا هائلاً من النتائج الممكنة لهذا السؤال. سوف تكون مصادفة بعيدة الاحتمال أن تختار إحدى الإجابتين من بين قائمة ضخمة من النتائج المحتملة. نأمل أن تصل إلى ذلك العدد الكبير من الإجابات، فمعرفتك بإمكان وجود نتائج متعددة سيقف حائلاً بينك وبين القفز المبتسر نحو نتيجة واحدة.

البحث عن نتائج متعددة

نعرض فى هذا الجزء حجتين تتضمنان نتائج متعددة يمكن صياغتها من المبررات المقدمة فى كل حجة. الغرض من وراء ذلك هو أن نقدم لك بعض النماذج كى تستخدمها عند البحث عن نتائج. فى كل حالة، سنقدم لك بنية الحجة قبل أن نقترح عليك نتائج بديلة. يمكن للاقتراح الآتى أن يساعدك فى بحثك: تفحص المبررات دون الاطلاع على النتائج، ثم حاول أن تحدد أكبر قدر ممكن من النتائج التى تلزم عن تلك المبررات. تستطيع دائمًا أن تستخدم أسئلة متى، وأين، وكيف لتكون عونًا لك فى الوصول إلى نتائج بديلة.

النتيجة: *يجب ألا تكون هناك قوانين تقيد تناول المشروبات الكحولية.*

المبررات: ١ - *بإمكان أى شخص الحصول على المشروبات الكحولية إذا رغب فى ذلك، بغض النظر عن عدد سنوات عمره.*

٢ - تسمح بعض الدول حتى للأطفال الصغار بتناول كأس من الخمر مع وجباتهم، ولم تتأثر تلك الدول سلبًا بذلك.

دعونا نبدأ بقبول هذه المبررات باعتبارها معقولة. ماذا عسانا أن نفعل بها بعد ذلك؟ تتضمن إجابة الكاتب نتيجة واحدة: يجب التخلى عن كل القيود التشريعية التى تعوق الحصول على المشروبات الكحولية.

ولكن حتى تسليمنا بهذين المبررين، لا يخول لنا بالضرورة الوصول إلى النتيجة نفسها. ولا تقل النتائج الأخرى فى معقوليتها نسبة إلى تلك المبررات. فقد، ينتج عن ذلك، مثلاً، أننا يجب أن نقيد الحصول على المشروبات الكحولية، فيما عدا داخل منازل الشباب اليافعين حيث يمكن للآباء أن يوجهوا عاداتهم الاستهلاكية فى تناول المشروبات الكحولية.

أو، قد توحى هذه المبررات بأننا نحتاج إلى تشريع أكثر صرامة لتناول المشروبات الكحولية يمنع ما تم افتراضه فى المبرر الأول. نرغب إذن فيما يختص بالمبرر الثانى أن نضيف إلى هذه القوانين الصارمة شرطًا إضافيًا يستثنى تناول الخمر فى المنازل. ولا تتأيد هذه البدائل بالمبررات المنطقية فحسب، وإنما تقود إلى نتائج تختلف تمامًا مع النتيجة الأصلية.

نتيجة: لا يجب أن يمنع الكونجرس تجريم الماريجوانا.

المبررات:

١ - أثبت فريق من العلماء البريطانيين أن تدخين الماريجوانا قد يتسبب فى تلف خطير للمخ.

٢ - يجابه مدخنو الماريجوانا خطر نقص الخصوبة.

٣ - كثيرًا ما يتحول مدخنو الماريجوانا إلى تعاطى الهيروين.

ما النتائج التى يمكن استخلاصها؟ إحدى النتائج المحتملة تتمثل فى عدم تجريم الماريجوانا فى منطقة محلية ما ثم ملاحظة التأثيرات التى تترتب على ذلك قبل تعميم الأمر على المستوى القومى. ومن البدائل الممكنة أيضًا، أن يتبنى الكونجرس بحثًا يتم تصميمه لتطوير مادة تنتج آثارًا تماثل تلك التى تحدثها الماريجوانا لكنها تتلافى آثارها الجانبية الضارة. ثمة نتيجة أخرى ممكنة تستند إلى التمسك بقيمة المسئولية الفردية، ألا وهى السماح ببيع سجائر الماريجوانا فى المحال التجارية جنبًا إلى جنب مع المنتجات التى تحوى مواد خطيرة، ويقوم هذا الافتراض على أساس أن للأفراد الحق فى استخدام المخدرات إذا رغبوا فى ذلك. لاحظ أن هذه النتائج الثلاث تبقى ممكنة حتى إذا سلمنا بصدق المبررات الثلاثة السابقة. هكذا، كثيرًا ما يمكن استخدام المبررات نفسها لتعضيد عدة نتائج متباينة.

فعالية العبارات الشرطية

إذا تأملت كل النتائج البديلة السابقة التى ناقشناها فى هذا الفصل، سوف تلاحظ أن كل نتيجة تكون ممكنة لأننا نفتقد وجود معلومات وتعريفات، وافتراضات معينة، أو وجود الإطار المرجعى الذى نحلل به المبررات. من هنا، نحن نستطيع تكوين نتائج متعددة من خلال الاستخدام الحصيف للعبارات الشرطية، حيث نفترض شرطًا يسمح لنا بالوصول إلى نتيجة معينة. لاحظ أن استخدام العبارة الشرطية يسمح لنا بالوصول إلى نتائج معينة دون التظاهر بامتلاك معرفة تفوق ما نعرفه بالفعل حول قضية خلافية بعينها.

عندما تضع العبارة الشرطية قبل النتيجة، فإنك بذلك تشير إلى أن نتيجتك تتأسس على مزاعم أو افتراضات معينة لست متيقنًا منها. لكى تدرك ما نعنيه بذلك، تأمل مثال القضايا الشرطية الآتية التى قد تسبق النتائج:

١ - إذا كانت حرية الأديان هى المقصودة حين يتحدث الكاتب عن فقدان حريتنا الأساسية، فإن ...

٢ - إذا استمر معدل الارتفاع فى المواليد خلال السنوات الخمس القادمة، فإن ...

٣ - إذا استطعنا البرهنة على أن معظم من يستخدمون اليوم الدفاع بادعاء الجنون هم فى الواقع مرضى عقليين، فإن ...

تزودك العبارة الشرطية بنتائج متعددة قد ترغب فى تقويمها قبل أن تتخذ قرارًا بصدد القضية الخلافية المعنية، كما أنها تزيد من قائمة النتائج الممكنة التى تستطيع اختيار رأيك من بينها.

الحلول البديلة نتائج

كثيراً ما نواجه موضوعات معروضة بالصيغة الآتية:

هل يجب أن نفعل س ؟

هل س سلوك مرغوب فيه؟

تقود مثل هذه الأسئلة إلى التفكير المثنوى. كثيراً ما يخفى طرح السؤال بهذه الطريقة سؤالاً أكثر تفصيلاً، "ماذا عسانا أن نفعل مع ص؟" (التى تتكون عادة من مجموعة من المشكلات الملحة). إن إعادة صياغة السؤال بهذه الطريقة تقودنا إلى تكوين نتائج متعددة فى صورة معينة: حلول لمشكلات تثيرها المبررات. تكوين حلول متعددة يزيد كثيراً من درجة مرونة تفكيرنا...

عندما تتمثل مبررات الحجة الوصفية فى صورة قضايا تعبر عن مشكلات عملية، عليك أن تنظر فى الحلول المختلفة للمشكلات باعتبارها نتائج محتملة.

مفاتيح لتحديد نتائج بديلة

١ - حاول أن تحدد أكبر عدد ممكن من النتائج المحتملة التى تلزم عن المبررات؟

٢ - استخدام العبارات الشرطية للتحفظ على النتائج البديلة

٣ - أعد صياغة الموضوع إلى "ماذا يجب أن نفعل مع ص؟

التأثير المحرر لإدراك نتائج بديلة

لو كان المنطق، أو الوقائع، أو الدراسات أمراً ذاتى التفسير، لاختلفت مقاربتنا للموضوع الذى تقوم بدراسته. يتطلب الأمر أن نعثر على شخص آخر غيرنا، ربما معلم، ليزودنا بالاعتقادات التى يجب أن تكون لدينا. ولكنا، على وجه التحديد،

يجب أن نسعى إلى الحصول على مجموعة واحدة محددة من المعتقدات التى يمليها الوقائع والمنطق.

على الرغم من أننا نكنّ للوقائع والمنطق احترامًا جمًّا، فإننا لا نستطيع أن نبالغ فى تقدير دورهما كمرشدين لصياغة النتائج. ذلك أن دورهما فى المساعدة ينتهى عند هذا الحد؛ وبعدئذ يتعين علينا أن نمضى بقية الطريق نحو الاعتقاد، مستخدمين العون الذى حصلنا عليه من المنطق والوقائع.

تتمثل الخطوة الأولى فى استخدام هذه المساعدة فى البحث عن نتائج محتملة متعددة تتسق مع المنطق والوقائع كما نعرفها. هذا البحث يحررنا بصورة مهمة. إنه يحررنا من النموذج الجامد من التعليم الذى حددناه فيما سبق. وحالما نقر بتعدد النتائج المحتملة، يستطيع كل واحد من أن يستمتع بنشوة اختياره الخاص.

نريد أن نحذرك من أن شعور الإثابة الذى كثيرًا ما يواكب تكوين نتائج متعددة قد يغريك بأن تعتبرها جميعًا متساوية المصداقية ومن ثم تظن أن مهمتك قد انتهت بتدوينك قائمة النتائج. لكن تذكر أن بعض النتائج يمكن أن تبرر بصورة أفضل من غيرها، وأن أكثر النتائج مصداقية هى تلك التى يكون لها التأثير الأكبر فى رد فعلك نحو استدلال المؤلف. وهكذا، بعد أن تنتهى من تطبيق مهارات تفكيرك الإبداعية فى تكوين قائمة النتائج المتعددة، فإنك تحتاج إلى مراجعة مَصداقية كل واحدة منها.

تلخيص

نادرًا ما تعنى المبررات شيئًا واحدًا. فبعد أن تنتهى من تقويم مجموعة من المبررات، يبقى أمامك أن تقرر أكثر النتائج اتساقًا مع أفضل المبررات فى الخلاف.

لكى تتحاشى التفكير المثنوى فى بحثك عن أقوى النتائج، قدم سياقات بديلة للنتائج من خلال استخدام أسئلة متى، وأين، وكيف.

التحفظ على النتائج سوف يجنبك مثالب التفكير المثنوى. وستزودك العبارات الشرطية بطريقة للتعبير عن هذه التحفظات.

دعونا ننظر مجدداً فى حجة رد قوانين الطلاق دون خطأ التى تحدثنا عنها فى صدر هذا الفصل. ما هى النتائج البديلة التى تتسق مع المبررات المقدمة؟

نتيجة المؤلف: يجب إبطال قوانين الطلاق دون خطأ.

نتائج بديلة :

١ - إذا كانت حرية الاختيار أهم من الأمان المالى، يجب ألا نبطل قوانين الطلاق دون خطأ.

٢ - إذا كان من الممكن بيان أن قوانين الطلاق دون خطأ تسبب صراعات عائلية إضافية من من خلال صراع الآباء وإجبار الأطفال على اختيار صف أحد الطرفين، فإن أفضل الحلول لمخاوف المؤلف قد تكمن فى العمل على تقليل هذا الصراع، ربما من خلال تشجيع وسطاء للصلح فى حالات الطلاق عوضاً عن التقاضى أمام المحاكم.

٣ - إذا كان من الممكن البرهنة على أن قوانين الطلاق دون خطأ ليست سبباً رئيساً فى ارتفاع معدلات الطلاق، أو أنها سبب أقل أهمية من عوامل أخرى من قبيل ارتفاع عدد حالات الزواج بين أولئك الذين يشغلون وظيفتين أو تغيير الأدوار الأسرية المنوطة بالوالدين، يجب عدم تغيير قوانين الطلاق بدون خطأ.

هناك العديد من النتائج الممكنة البديلة فى ضوء مبررات المؤلف. ومن شأن وضعها فى الحسبان أن يحسن من جودة استجابتنا.

تمارين تطبيقية

سؤال نقدى: ***ما النتائج الوجيهة الممكنة؟***

حاول أن تحدد نتائج مختلفة يمكن استدلالها من المبررات لكل حجة من الحجج الآتية:

النص ١

عندما يضطر الناس للعيش معًا فى مكان واحد، فإنهم يجابهون مشكلات عديدة. فالطلبة فى مختلف أنحاء حرمنا الجامعى يهجرون غرف السكن الجامعى لعدم رضاهم عن ترتيبات سكنهم السابقة. ويتمثل حل هذه المشكلة فى منع المشكلات قبل حدوثها. فإذا اعتاد مكتب السكن الجامعى على أن يجرى مسوحًا إحصائية واستبيانات لاهتمامات الطلبة قبل أن تطأ أقدامهم الحرم الجامعى، فقد ينجحون فى الجمع بين الأفراد الذين لهم اهتمامات مشتركة فى غرف السكن الجامعى. لكن مكتب السكن الجامعى يصيبنا بالإحباط حين يسمح بحدوث المتاعب المرتبطة بمحاولة السكن مع رفيق غرفة غير مريح.

النص ٢

عندما اشتريت حاسبًا آليًّا منذ ثلاثة أشهر مضت وشرعت فى استخدامه لأغراض الدراسة، ارتفعت درجاتى بمعدل نصف علامة. أيضًا تقول مجلة Consumer Reports أن بعض أجهزة الحاسب الآلى مصممة خصيصًا لخدمة الأغراض التعليمية، وهذا مؤشر واضح على أنها سوف تحسن من الأداء الدراسى.

إذن، يتعين على كل طالب، عند دخوله الجامعة، أن يشترى جهاز حاسب آلى.

النص ٣

بينما تقود سيارتك وسط طرقنا السريعة المزدحمة، تشاهد المزيد والمزيد والضخم والأضخم من الشاحنات الرياضية التى تمر بك. لقد تزايدت الانتقادات حول هذه الشاحنات خلال السنوات القليلة الماضية، وبدأت سمعتها فى الانحدار حتى أن الممثلين الكوميديين يسخرون منها فى الحانات باستمرار. هل السخرية المتزايدة من الشاحنات مبررة؟ أعتقد إنها مبررة تمامًا، فالحملة ضد هذه السيارات ليست مجرد مسألة مزاج شخصى. الشاحنات الرياضية تؤذى الناس بطرق عديدة.

وتكمن المشكلة الكبرى فى أن هذه الشاحنات تقتل العديد من الأمريكيين. إن قيادتك لواحدة من هذه الشاحنات الرياضية يضاعف على الأقل من احتمال أن تقتل شخصًا آخر فى أى حادث، فيما تقوله دراسة قومية حديثة. السبب فى ذلك يرجع إلى أن وزن هذه الشاحنات أكبر من وزن السيارات العادية، كما أنها تفوقها ارتفاعًا. وعندما تصدم الشاحنة سيارة أخرى، فإنها تسحقها. وتقدم دراسة حديثة شواهد تبين أنها أكثر خطورة من غيرها من السيارات العادية الأخرى. حيث بينت الدراسة أن اصطدام شاحنة بسيارة عادية تسبب فى قتل عدد من الأشخاص يفوق ما يسببه اصطدام السيارات العادية ببعضها البعض.

وعلى الرغم من اعتقاد الكثيرين أنهم أكثر أمنًا داخل الشاحنات الرياضية لأنها ضخمة وثقيلة الوزن، فإن معدلات الحوادث القاتلة لركاب تلك الشاحنات يماثل معدلها فى السيارات العادية. احتمالات أن يلقى المرء وعائلته حتفهم عند ركوب شاحنة رياضية ضخمة تماثل احتمالات موته داخل سيارة متوسطة الحجم، وفقًا لدارسة أجراها مجلس السلامة الوطنى للسيارات. ما السبب فى ذلك؟ الشاحنات الرياضية تزيد من احتمال الوفاة عند تدهور السيارة وانقلابها. فإذا انقلبت شاحنة رياضية، فإن احتمالات قضاء من فيها نحبه يزيد عشرة أضعاف عنه حال تعرضه لحادث فى سيارة هوندا سيفك. أيضًا، تتسبب الشاحنات الرياضية فى تلوث البيئة لأنها مستثناة من القواعد المطبقة على السيارات العادية. القوانين الراهنة تسمح لهذه الشاحنات ببعث ملوثات تزيد خمس مرات على السيارات العادية فى كل ميل. تخيل كيف يبدو الضباب والدخان فى مدننا إذا استمر جنون شراء تلك الشاحنات الرياضية ؟

لقد حان الوقت لأن يستيقظ الأمريكيون ويكفوا عن شراء الشاحنات الرياضية، ما لم تكن لديهم حاجة ملحة لشراء هذه السيارات الضخمة، غير الآمنة الملوثة للبيئة.

عينة من الأجوبة

النص ١

النتيجة: فشل مكتب الإسكان الجامعى فى تحمل مسئولياته تجاه الطلبة.

المبررات:

١ - يعانى عدد كبير من قاطنى الغرف من المشكلات.

٢ - لا يمكن منع المضايقات بين سكان الغرف.

٣ - يمكن للمواءمة بين اهتمامات الطلبة أن تجعلهم أكثر ارتياحًا.

إذا قبلنا مصداقية هذه المبررات، نستطيع أيضًا أن نستدل بصورة معقولة على النتائج الآتية:

إذا كان الهدف الأساسى لمكتب الإسكان يتمثل فى تشجيع التفاعل بين الطلاب المتباينين، فإن إحدى النتائج المحتملة أنهم يقومون بوظيفتهم بصورة فعالة.

يتعين على مكتب الإسكان المسئول قانونًا أن يقدم التماسًا إلى المشرعين يطلب استثناء للقوانين الحالية يسمح لهم أن يوائموا بين الطلاب وفقًا لكتيب التنوع الإرشادى الذى يتم توزيعه من مكتب المدعى العام.

لاحظ أن النتيجتين البديلتين تضعان مكتب الإسكان فى موقفين متباينين مقارنة بالصورة السلبية الواردة فى النتيجة الأصلية.

النص ٢

النتيجة: يجب على كل الطلبة شراء جهاز حاسب آلى.

المبررات:

١ - عندما اقتنى المؤلف حاسوبًا منذ ثلاثة أشهر مضت، ارتفع معدل درجاته بما يساوى نصف معدل.

٢- تصنع بعض أجهزة الحاسب الآلى لخدمة الأغراض التعليمية فقط.

نستطيع، وفقًا لهذه المبررات، أن نستدل على عدة نتائج بديلة.

فالطلبة المماثلون للمؤلف يجب أن يستخدموا الحاسوب فى الأغراض التعليمية. وإذا كانت المسئولية الفردية مفضلة على المسئولية الجماعية، والطالب يرغب فى رفع درجاته، يتعين عليه شراء حاسوب للأغراض التعليمية.

إذا لم يكن بالإمكان البرهنة على أن الطالب لا يستطيع أن يستخدم بكفاءة الحواسيب الآلية المنتشرة فى المواقع المركزية داخل الجامعة، يتعين على الجامعات أن تزود كل سكن جامعى بأجهزة حاسب آلى.

تلخيص السؤال الناقد

مكمن أهمية هذا السؤال

ما النتائج المعقولة الممكنة ؟

عندما تتخذ قراراً بقبول أو رفض نتيجة المؤلف ، يجب أن تتيقن من أن المؤلف انتهى إلى أكثر النتائج معقولية، كثيراً ما يتجاوز المؤلف حدود الاستدلال عندما يصل إلى النتيجة، ومن خلال تحديد النتائج البديلة المعقولة، يمكنك أن تحدد أى النتائج البديلة، إن وجدت، تكون مستعداً لقبولها مقابل نتيجة المؤلف، وتعد هذه الخطوة الوسيلة الأخيرة لقبول أو رفض نتيجة المؤلف.



الفصل الرابع عشر
تطبيق ومراجعة

فى هذا الفصل نجمل كل شيء من أجلك. سوف نبدأ بسرد الأسئلة النقدية فى قائمة. نأمل أن تعمل قائمة المراجعة هذه كمرشد متاح أمامك حتى تصبح الأسئلة أمرًا معتادًا. عندما تقع عينيك على مقال، أو محاضرة، أو مناظرة، أو كتاب دراسى، أو إعلان تجارى، أو رسالة على الإنترنت، أو أى مادة أخرى تتعلق بموضوع يهمك، سوف تكتشف جدوى هذه القائمة حين تساعدك فى مراجعة كل سؤال تطرحه.

بعد ذلك، سنقوم بتطبيق الأسئلة النقدية من خلال التقويم الناقد لموقف واحد يتعلق بمسألة خلافية معاصرة. الغرض الجوهرى من هذا النقاش هو تقديم مثال لتطبيق متسق لكل خطوات التفكير الناقد.

نقترح عليك أن تتابع النقاش واضعًا عدة أهداف نصب عينيك. إذ تستطيع أن تعتبر هذا النقاش بمثابة مراجعة لما فهمته فى الفصول السابقة. هل تشعر بقدرة أفضل فى الحكم على قيمة استدلالات الآخرين؟

قائمة مرجعية بأسئلة التفكير الناقد

١٢ – ما المسألة وما النتيجة؟

١٣ – ما المبررات؟

١٤ – أى الكلمات والعبارات يعانى من غموض؟

١٥ – ما الخلافات القيمية وما الافتراضات؟

١٦ – ما الافتراضات الوصفية؟

١٧ – هل هناك أية أغاليط فى الاستدلال؟

١٨ – ما مدى وجاهة الشواهد؟

١٩ – هل هناك أسباب منافسة؟

٢٠ – هل الإحصاءات مضللة؟

٢١ – أية معلومات مهمة حذفت؟

٢٢ – ما النتائج الوجيهة الممكنة؟

طرح السؤال المناسب: مثال شامل

سوف نقدم فى البداية فقرة تلخص جانبًا واحدًا من جوانب موافقة الوالدين على إجهاض القاصرين. ثم سنتبع هذا الجزء بمناقشة مستفيضة للأسئلة النقدية الأحد عشر.

يواجه المراهقون مشكلات اجتماعية وعاطفية معقدة، ولا يمكن تحاشى هذا النوع من المشكلات، غير أنه يتم إعداد معظم المراهقين لمجابهتها بصورة عقلانية. ونظرًا لهذا الإعداد السيئ، فإن تواصلاً فعالاً وأمينًا بين الآباء والمراهقين أصبح أكثر أهمية من أى وقت مضى. فالحكمة المتراكمة لدى الآباء بفضل خبراتهم، يمكن أن تمثل نبراسًا يهدى أطفالهم إلى أفضل القرارات. غير أن هذه الحاجة الماسة للتواصل يتم وأدها، من خلال التوسع فى الحقوق الفردية لهؤلاء القصر.

من الأمثلة المثيرة للقلق على أن حقوق القصر قد نالت أكثر مما تستحق، القانون الفيدرالى الذى يسمح للقصر بالحق فى الإجهاض دون موافقة الوالدين. ومبررات هذا القانون ترجع إلى

أن الفتاة لن تحصل فى الغالب على بغيتها إذا ما أسرت إلى والديها برغبتها فى الإجهاض. غير أن ما لم يدركه هؤلاء المناصرون أن مجرد رغبة الفتاة فى إجهاض نفسها لا يعنى أنها يجب أن تحصل على هذا الحق. فكر مليًا فى الأمر. هل ترغب أن تأخذ ابنتك قرارًا أهوجًا يتعلق بمثل هذا الأمر المهم؟ يجب إذن تغيير هذا القانون قبل أن يدمر حياة المراهقين.

قارن هذا الأمر مع الطفل الصغير الذى يدخل فى نزاع مع رفيق مشاغب. قد يرغب الطفل فى الرد عليه بالسباب أو بالتفوه بملاحظات بذيئة أو عراك بدنى. غير أن الطفل لا يدرك إلا بعد نصح الوالدين أن المواجهة تجلب المزيد من العدوانية واحتمال الأذى البدنى.

بالمثل، فالفتاة التى تكتشف أنها حامل تتغلب عليها العواطف والأسف، والارتباك، والشعور بالذنب، والإحباط، والخوف. ومع استمرار ضغط هذه الانفعالات عليها، قد تتصرف دون وعى. إنها فى أمس الحاجة للإرشاد الناضج العقلانى الذى يمكن أن يقدمه الآباء لتحاشى اتخاذ قرار متعجل.

يذهب المؤيدون أيضًا إلى أن الموافقة القسرية للوالدين سوف تعمل فحسب على تدمير علاقة الوالدين بالأبناء من خلال تصعيد الصراع والتوتر. غير أن الأمر على عكس ذلك تمامًا. فطلب موافقة الوالدين يمنع الموقف المأساوى الذى لا مفر من وقوعه إذا ما اكتشف الوالدان أن ابنتهم أجرت عملية الإجهاض دون موافقتهم.

بالطبع، سيحدث بعض التوتر حين تفصح الابنة عن حملها، بيد

أن هذا التوتر المبدئى ليس سوى ثمن بخس يتم دفعه مقابل علاقة صريحة صادقة. القوانين التى تسمح بإجراء الإجهاض دون موافقة الوالدين تحرم الفتيات من طلب نصيحة أقرب الناس إليهن. لقد تطورت قوانين عدم موافقة الوالدين من خلال القلق المشروع على حقوق القصر، ولكن ماذا عن حقوق الآباء؟ إن القانون يطلب موافقة الوالدين على إجراء القاصر للعمليات الجراحية. وباستثناء الحالات الطارئة، لا يتلقى الطفل القاصر الاهتمام الطبى حتى يحصل على موافقة أحد الوالدين، وينطبق هذا الأمر حتى على رغبة القاصر فى ثقب شحمة أذنه! فى مثل هذه الحالات، يقر القانون بحق الوالدين فى معرفة مصلحة أطفالهم. من شأن السماح للقصر بالمضى فى الإجراءات الجراحية الخاصة بالإجهاض دون موافقتهم أن يسلبهم هذا الحق. وإذا كانت الحكومة تعتبر سلامة وصحة القاصر بهذه الأهمية، فعليها أن تصون هذه السلامة فى كل الحالات.

يرغب الوالدان أيضًا فى معرفة ما إذا كان أطفالهم قد أجروا عمليات إجهاض لما قد تتضمنه هذه العمليات من معاناة بدنية أو آثار جانبية وعاطفية، لا يمكن تقريبًا الإفلات منها. ففى مسح إحصائى لأطباء النساء والولادة، قام ٩١٪ منهم بمعالجة مرضى من مضاعفات نجمت عن عمليات إجهاض مشروعة. اشتملت هذه المضاعفات على النزيف المتعذر التحكم فيه، والنزف الداخلى، والنوبات المرضية، والعدوى، وآلام البطن، وتمزق عنق الرحم.

ولا تقل التأثيرات السيكولوجية عن ذلك ضررًا، ومثالها الاضطرابات المترتبة على التوتر اللاحق للإجهاض والاكتئاب.

تظهر دراسة بحثية حديثة أن المراهقات اللائى مررن بخبرة الإجهاض يعانين من الاكتئاب بمعدل يفوق أقرانهن ممن لم يمرن بمثل بتلك الخبرة. وتظهر دراسة أخرى أحد الجوانب المرعبة المتمثلة فى أن ٦٠٪ من النساء اللائى يعانين من مضاعفات ما بعد الإجهاض تتولد لديهن ميول للانتحار.

إذا لم يدرك الوالدان أن بناتهم أجرين عمليات إجهاض، فكيف يمكن أن ينتبهوا للإشارات التحذيرية للانتحار فضلاً عن الاضطرابات الأخرى؟ الإجابة هى أنهم لا يستطيعون؟ كما أن هذه الأعراض الجانبية، فى غياب العلاج الصحيح، قد تغدو أكثر تدميرًا لصحة الفتاة بصورة أسوأ مما لو تمت معالجتها مباشرة.

وكثيرًا ما يستشهد أولئك الذين يعترضون على طلب موافقة الوالدين بآراء مؤسسات ذائعة الصيت تتفق مع آرائهم، مثل مؤسسة تنظيم الأسرة. لكن هذه المؤسسة ترفض طلبات موافقة الوالدين لأسباب اقتصادية وليس لأسباب أيدولوجية. وتتناقص حالات حمل المراهقات فى المؤسسات بما يقرب من ٨٥٪ فى الولايات التى تتطلب الموافقة الإلزامية للوالدين على إجهاض القاصرات. ويؤدى تراجع حالات الحمل إلى تراجع ضخ الأموال فى تلك المؤسسات. ومن الواضح أن مؤسسة تنظيم الأسرة لن تسهم فى دعم ممارسة لا تحقق لها ربحًا.

ولا يخدع الدعم المزعوم لهذه المؤسسات الجميع. ففى عدة اقتراعات، أيد أكثر من٧٠٪ ممن أدلوا بأصواتهم قوانين ضرورة إخطار الوالدين. كما أظهرت عدة مؤسسات دينية تأييدًا قويًا لهذه القوانين. غير أن المحاكم الليبرالية والحكومة

المتصلبة تفشل فى الاستجابة لرغبات الجمهور. إن ما لا تدركه المحاكم والحكومة هو أهمية قيام تواصل فعال بين الأطفال والوالدين بخصوص موضوعات العصر الحساسة.

ما المسألة وما النتيجة ؟

الموضوع المثار فى الفقرة السابقة وصفى: هل يجب الحصول على موافقة الوالدين على إجهاض القاصرات؟ وقد عرفنا أن هذه هى المسألة من خلال ما يروم المؤلف البرهنة عليه. وتدعم كل مبررات المؤلف النتيجة بنعم، أى ضرورة الحصول على موافقة الوالدين. وتبرز المبررات المطروحة المشكلات التى تواجه القوانين الحالية ومزايا إلغائها.

ما المبررات ؟

دعونا نلخص المبررات التى قادت إلى النتيجة بأنه يجب حصول القاصرات على موافقة الوالدين لإجراء علميات الإجهاض.

١ – أضحت الحاجة إلى تواصل فعال أكثر حيوية من أى وقت مضى؛ ومن شأن هذا القانون أن يقضى على مثل هذا التواصل.

مبرر مساعد: يعجز معظم المراهقين عن التعامل مع الموضوعات الاجتماعية والعاطفية المعقدة بأنفسهم.

٢ – القاصر عاطفى وطائش بدرجة لا تسمح له باتخاذ مثل هذا القرار.

مبرر مساعد: قرار الإجهاض يشبه رد فعل طفل معين تجاه طفل آخر مشاغب حيث تتغلب لديه العواطف على العقلانية.

٣ – قوانين الحصول على موافقة الوالدين لا تصعد من الصراع والتوتر؛ العكس هو الصحيح.

٤ – يسلب مثل هذا القانون الآباء حقوقهم المسلم بها عند اتخاذ إجراءات العمليات الجراحية.

٥ – معرفة الآباء بإجراءات الإجهاض تقلل من صدمة الآثار الجانبية العاطفية والبدنية التى لا مفر من حدوثها.

مبرر مساعد أول: ٩١٪ من أطباء النساء والولادة عالجوا قاصرات من مضاعفات الإجهاض، مثل النزيف اللا تحكمى، والنزيف الداخلى، الخ.

مبرر مساعد ثان: تظهر الأبحاث ارتباطًا بين إجراء الإجهاض والاكتئاب.

٦ – لا ينبغى أن نركن إلى حجج مؤسسة تنظيم الأسرة لشبهة مصلحتها الاقتصادية من وراء التمسك بالقانون.

٧ – يحبذ الأمريكيون قوانين إحاطة الآباء علمًا بالإجهاض.

مبرر مساعد: أظهر استطلاع للرأى أن ٧٠٪ يؤيدون مثل هذه الإحاطة.

٨ – تؤيد المؤسسات الدينية قوانين الإحاطة.

أى الكلمات أو العبارات يعانى من غموض؟

دعونا ننظر فى البداية إلى احتمال وجود غموض قد يضعف من الاستدلال السابق وذلك بالفحص الدقيق لمبررات المؤلف الأساسية. ثمة غموض مهم يكتنف الحجة كلها. إذ ما المقصود على وجه الدقة "بموافقة الآباء؟"

يمكن صياغة العبارة بصورة واضحة – يجب أن يقول أحد الوالدين إنه يسمح للقاصر أن تجرى الإجهاض – لكن هذه العبارة قد تفسر بعدة طرق. فى واقع الأمر يختلف تفسير عبارة "موافقة الآباء" من ولاية إلى أخرى.

لاحظ كيف يتأثر رد فعلك نحو قوانين إحاطة الآباء من خلال اختيار أحد

التعريفات البديلة الآتية لمصطلح "موافقة الآباء":

(أ) موافقة أحد الوالدين.

(ب) موافقة الوالدين معًا، باستثناء حالات الطلاق، حيث يتم الحصول على موافقة من بيده الوصاية فقط.

(ج) موافقة الوالدين معًا، دون استثناء.

إذا كانت تعتقد، مثلاً، أن الحصول على موافقة الوالدين معًا تخلق توترًا عائليًّا كبيرًا، فسوف تكون أقل تأييدًا للنتيجة إذا كان الكاتب يحبذ التعريف الثالث.

بالإضافة إلى ما سبق، لا تحدد الفقرة السابقة المقصود بكلمة الوالدين من الناحية القانونية. فالأجداد هذه الأيام يقومون بتنشئة العديد من الأطفال. هل تكون موافقة الجد أو الجدة مناسبة إذا كانت الفتاة تعيش مع أحدهما؟ من الواضح، أننا قد نوافق أو نعترض على النتيجة وفقًا لمعنى موافقة الآباء؛ هكذا فإن العبارة غامضة جدًا.

يتضمن المبرر الثانى غموضًا مهمًا أيضًا - الآثار الجانبية العاطفية. فعلى الرغم من أن المؤلف يورد مثالين لمثل هذه الآثار، فإن درجة رغبتنا فى اعتبار هذا المبرر سندًا قويًّا للنتيجة تتوقف على إحساسنا بتكرار، وشدة، واستمرارية مثل هذه الآثار الجانبية.

ما الخلافات القيمية وما الافتراضات؟

تقدم المقالة دراسة مهمة لموضوع تضارب القيم. ولكى ندرك هذا التضارب، يجب أولاً أن نميط اللثام عن افتراض إحدى القيم الضرورية التى ساهمت فى تحديد الموضوع على صورته التى جاء عليها. فقبل الشروع فى مناقشة متطلبات موافقة الوالدين على الإجهاض، يجب أن يكون الشخص أولاً من مؤيدى حق المرأة فى

الإجهاض. يشار إلى الأفراد الموافقين على حق الإجهاض عمومًا بأنهم أنصار حق الاختيار Pro-choice، وهو تعبير يشير إلى حق المرأة فى اختيار القيام بالإجهاض. من هنا، فإن مؤلف الفقرة يثمن حق الفرد فى الاختيار بمعنى من المعانى.

غير إن حق الفرد فى الاختيار يتعارض مع قيمة أخرى مفترضة: المسئولية الجمعية. فحجة طلب موافقة الوالدين برمتها تقوم على تصور أن مجتمع البالغين يتمتع بمسئولية جماعية تخول له التحكم فى بعض حقوق القصر. من هنا، فتفضيل قيمة المسئولية الجماعية على المسئولية الفردية يؤثر بوضوح فى اختيار الكاتب للمبررات والنتيجة.

يمكن أيضًا التعرف على قيمة أخرى مفضلة من خلال علاقة المبرر الأول والثالث بالنتيجة. فالصراحة والأمانة مفضلتان على الخصوصية والاستقلالية. وطلب الحصول على موافقة الوالدين يعد أمرًا صريحًا وأمينًا فيما يتعلق بأفعال الفرد المحتملة. غير أن الصراحة والأمانة، تتعارضان مع حق الفتاة فى الاحتفاظ بخصوصية بعض الأمور فى حياتها وفى اتخاذ ما يتعلق بجسدها من قرارات.

ما الافتراضات الوصفية ؟

لكى تكون المبررات الأول، والثالث، والخامس صادقة ومن ثم مؤيدة للنتيجة، يجب أن نفترض أن الوالدين سوف يتصرفان بعقلانية من أجل أفضل مصلحة لأطفالهم. غير أن هذا الافتراض الوصفى موضع ارتياب. فمن الجائز جدًا أن العديد من الآباء سيثورون عندما يعلمون بحمل بناتهم، ومن ثم يترتب على ذلك أثر سلبى يؤثر على تواصل الأسرة وعلى عملية اتخاذ القرار. ومن الافتراضات الضمنية فى الفقرة السابقة تصور أن الآباء يتمتعون بالحصافة، والحكمة، والعقلانية. فإذا اعتقدنا عوضًا عن ذلك أن الأمر لا يكون بهذه الصورة النمطية، فمن المرجح أن نتشكك فى صدق هذه المبررات.

ثمة افتراض وصفى ثان مهم يكمن وراء زعم المؤلف فى المبرر الأول مؤداه أن التوسع فى بسط الحقوق للقاصرات يضعف رابطة التواصل بين الآباء والأطفال. وباستخدامه مصطلح "يضعف" يفترض المؤلف أن التواصل الفعال بين الآباء والمراهقات الحوامل قائم الآن بالفعل. غير أننا نعلم أن الآباء يعانون كثيراً فى التواصل مع المراهقين.

يشعر الكثير من القصر بالعزلة عن آبائهم ومن ثم لا يشعرون معهم بالارتياح عند مناقشة مسائل شخصية من قبيل العلاقات الجنسية أو الإجهاض. ومن المحتمل أن تغيير القانون قد يضعف فى الواقع من التواصل القائم ويؤخر اتخاذ قرار الإجهاض الذى قد يكون له مخاطره على صحة الابنة. هكذا، يدفعنا هذا الافتراض الإشكالى للارتياب فى صدق المبرر. ثمة افتراض آخر يربط المبرر المساند بالمبرر الأصلى - أن الأب أفضل شخص يمكن أن تستشيره المراهقة الحامل. غير أن الأشخاص البالغين الآخرين، مثل أصدقاء العائلة أو الأخصائية فى المدرسة قد يكونون أكثر عوناً لأنهم أقل تورطاً فى الموقف من وجهة نظر عاطفية.

يعد المبرر الخامس افتراضاً وصفياً آخر له أهميته بالنسبة للحجة. يعتمد صدق هذا المبرر على افتراض أن الفتاة المراهقة التى تجرى الإجهاض دون موافقة والديها لن تفصح عن قرارها بعد الانتهاء من عملية الإجهاض. لأن الإجهاض يمثل قراراً شخصياً خاصاً، قد ترغب الفتاة فى الانتظار حتى ينتهى الأمر لتخبر والديها، وعندئذ يمكن أن ينتبهوا لاحتمال وجود آثار جانبية. فإذا أخذنا بالاعتقاد بأن معظم الفتيات سوف يفصحن عن إجهاضهن إلى آبائهن بعد إتمامه، سوف نرتاب فى صدق هذا المبرر.

هل هناك أية أغاليط فى الاستدلال؟

هناك العديد من المغالطات التى تبطل بالفعل الحجة السابقة. أولاً، يصرف المؤلف انتباهنا عن الموضوعات الحقيقية باستخدام لغة عاطفية. فتعبيرات من قبيل

"حقوق القصر نالت أكثر مما تستحق "، "القرارات الطائشة"، "وتدمير الحياة"، تجعل القارئ يأخذ موقفًا سلبيًّا من القانون الحالى. أيضًا، تبدو عبارات من قبيل "رابطة التواصل" و "إنشاء قنوات اتصال" ذات منحى إيجابى يخلق ارتباطًا ايجابيًّا لموقف المؤلف.

ويصرف المؤلف مرة أخرى انتباهنا عندما ينتقد *مؤسسة تنظيم الأسرة*. فهو يرتكب هنا أغلوطة الحجة الشخصية عندما يهاجم المؤسسة عوضًا عن انتقاد أفكارها. قد تكون *مؤسسة تنظيم الأسرة* متحيزة ضد قوانين موافقة الوالدين، لكن قد تكون لديها مبررات وجيهة لرفضها. لقد كانت لدى الكاتب فرصة ليؤدى للقارئ خدمة جليلة من خلال التركيز على مبررات *مؤسسة تنظيم الأسرة* عوضاً عن التركيز على تأثير الجوانب المالية. فكل من الطريقتين تصرف انتباهنا عن الموضوع الأساسى وعن المبررات المحددة المناسبة، مثل مزايا وعيوب قوانين موافقة الوالدين. وتقع أغلوطة *السؤال المشحون* فى سياق المبرر الثانى. فالقضية المتضمنة فى الفقرة الثانية "هل ترغب أن تتخذ ابنتك قراراً متهوراً فيما يتعلق بهذا الموضوع المهم؟"، والقضية "ينبغى تغيير هذا القانون قبل أن يدمر حياة المزيد من المراهقين"، تفترضان أفكاراً تحتاج إلى برهان. إذ لم يتم حتى الآن تقديم أدلة تثبت أن هذه القرارات متهورة وأن حياة المراهقين تم تدميرها. بالإضافة إلى هذا، تتضمن الحجتان بعض مغالطات الاستدلال. أولاً، المبررات من الثانى حتى الأخير ترتكب أغلوطة *الاحتكام إلى الجمهور* من خلال اللجوء إلى الاستعانة برأى الأغلبية. كما أنها ترتكب *أغلوطة الافتراض الخاطئ لربطها* بين المبرر والنتيجة القائلة بأنه إذا أحبت الأغلبية شيئًا ما، فلابد أن ذلك الشئ الصحيح. ثانيًا، يعتبر الاستشهاد بدعم المؤسسات الدينية فى المبرر الأخير *لجوءًا خاطئًا إلى السلطة*. إذ نحن فى حاجة لأن نتساءل عن مبررات وشواهد اللجوء إلى السلطة أو الجماهير؟

ما مدى وجاهة الشواهد؟

فى البدء نسأل، هل لدى المؤلف أية شواهد على مزاعمه؟فإذا كانت الإجابة بنعم، عندها نسأل، ما نوع الشواهد التى يقدمها المؤلف؟ تتلخص شواهد المؤلف فى الاستشهاد بثلاث دراسات بحثية، ومماثلتين، و باللجوء إلى السلطة. ونظرة فاحصة على هذه الشواهد تبين أن مزاعمه تفتقر إلى الشواهد المحكمة.

يقدم المؤلف فى الفقرة الثانية مماثلة؛ فمماثلة الطفل المشاغب تطرح بوصفها شاهداً على أن القاصر يحتاج لأحد الأبوين لكبح الانفعالات المتهورة. ويقع التماثل المتعلق هنا بين طفل صغير يتعرض للمضايقة وفتاة قاصر تقرر إجراء عملية إجهاض، ومثاله المماثلة بين الرغبة فى عدم التصرف بحماقة، وحقيقة أنه فى كلتى الحالتين يقود الخطأ إلى عواقب وخيمة. غير أن الاختلافات تشكك فى قيمة استخدام المماثلة هنا كشاهد. يتمثل أحد الاختلافات فى صغر عمر الطفل ودرجة نضجه، فالأطفال الكبار فى السن عادة ما يكونون أكثر نضجًا من الأطفال الأصغر سناً. ثمة اختلاف آخر يتمثل فى رد الفعل المحتمل للوالدين تجاه الفعل. فمن المرجح أن يتصرف الوالدان بعاطفة جياشة وحكمة أخلاقية فى حالة الإجهاض بدرجة تفوق رد فعلهم تجاه مضايقة الطفل المشاغب لابنهم. وهناك اختلاف ثالث يتمثل فى دور الخصوصية. فالتفكير فى إجهاض جنين فتاة أكثر خصوصية من التفكير فى التصدى لمشاغبات الأطفال.

ثمة استدلال مماثلى آخر استخدمه المؤلف لتدعيم المبرر الرابع، حيث تذهب الحجة إلى أن موافقة الوالدين تكون ضرورية عندما تمر القاصر بإجراءات طبية - حتى إذا تعلق الأمر بمجرد ثقب الأذن. تفترض المماثلة هنا أن الإجهاض يقع ضمن الإجراءات الطبية. غير أن هذه المماثلة عرضة لنفس التساؤلات التى أثرناها حول المماثلة الأولى الخاصة برد فعل الوالدين المتوقع وخصوصية فعل الحمل.

يشير المبرر الخامس إلى مسح إحصائى لعدد من أطباء النساء والولادة كشاهد على وجود احتمال كبير لأن تعانى الفتاة من الأعراض الجانبية للإجهاض. وهذا الشاهد ضعيف، لنقص المعلومات المتاحة حول عملية المسح، مما يترك أسئلة مهمة دون إجابة. كم يبلغ عدد الأطباء الذين تم إجراء المسح عليهم؟ هل كانت العينة على مستوى الدولة، أم الولاية، أم عينة محلية؟ هل كانت العينة عشوائية؟ أيضا كم عدد السنوات التى شارك فيها الأطباء فى ذلك المسح؟ وما مقدار تواتر المشكلات المختلفة. كل المعلومات السابقة مهمة وغائبة على الرغم من أهميتها. وبدون وصف تفصيلى إضافى للمسح الإحصائى، لا يمكن اعتباره شاهداً مساعداً.

وتتضمن الفقرة الختامية للمقال أخطاء مماثلة بخصوص المسح الإحصائى المستخدم. إذ لا يوجد مصدر يحدد العينة ومدى شمولها. فكر، على سبيل المثال، فى الاختلاف المحتمل فى الآراء بصدد عينة مكونة من أشخاص فى عمر الخامسة والعشرين يعيشون فى ولاية ليبرالية مثل كاليفورنيا وعينة أخرى تتكون من أشخاص فى عمر الخمسين يعيشون فى ولاية أكثر محافظة مثل تكساس.

هل هناك أسباب منافسة ؟

تم تدعيم المبرر الخامس على أساس دراسة بحثية اكتشفت ارتباطًا بين الإجهاض والاكتئاب، بصورة تعنى أن الإجهاض هو سبب الاكتئاب. غير أن الارتباط بينهما لا يبرهن على مثل هذه العلاقة السببية! ويمكن للأسباب المنافسة أن تبرهن على هذه العلاقة. فعلى سبيل المثال، من المحتمل جداً أن تحمل الفتاة ذات النزوع الاكتئابى وأن تفكر فى القيام بالإجهاض. إذ أن مستوى تقدير الذات قد يؤثر فى كل من الرغبة فى الحمل والنزوع نحو الاكتئاب، وهو أمر من شأنه أن يحدث الارتباط السابق. كما أن الاعتماد على الآخرين قد يؤثر فى الميل إلى الحمل أو الميل إلى الاكتئاب.

هل الإحصاءات مضللة ؟

تضللنا بعض الإحصاءات عندما تبرهن على شيء بينما تستنتج شيئًا آخر. فكاتب المقال، مثلاً، يصف المخاطر الجسدية والعاطفية المخيفة المرتبطة بالإجهاض بهدف حثنا على دعم قوانين موافقة الوالدين. الإحصاء القائل أن ٩١٪ من أطباء أمراض النساء والتوليد عالجوا مريضات عانين من مضاعفات الإجهاض القانونى لا يثبت سوى أن معظم أولئك الأطباء عالجوا هؤلاء المريضات. لكنه بالتأكيد لا يبرهن على أن ٩١٪ من المريضات عانين من تلك المضاعفات! فى الواقع، لا تخبرنا الإحصاءات باحتمال ترتب المضاعفات على الإجهاض.

أيضًا من الواضح أن المقصود من الإحصائية القائلة بأن ٦٠٪ من النساء اللائى عانين من مضاعفات ما بعد الإجهاض كانت لديهن ميول انتحارية هو توضيح الخطر الداهم الذى يواجه الفتاة المقبلة على الإجهاض. لكن هذه الإحصاءات تبرهن فقط على أنه من المحتمل لامرأة تعانى من اضطرابات ما بعد الإجهاض أن تكون لديها أفكار انتحارية، ولا تبين أنه من المحتمل أن تكون لدى فتاة قاصر أجرت عملية إجهاض أفكار انتحارية. هناك معلومات مهمة مستبعدة تتعلق بعدد القاصرات اللائى أجرين إجهاضا ومررن بأعراض توتر ما بعد الإجهاض. ربما كانت النسبة واحد فى الألف.

أية معلومات مهمة استبعدت ؟

نظرًا لأن الحجة السابقة، شأن كل الحجج تقريبًا، تمثل استدلالاً ناقصًا، فإن كم المعلومات المستبعدة كبير جداً. من هنا يجب علينا عند استعراض الأسئلة التى لم يتم الإجابة عليها أن نركز اهتمامنا على المعلومات. أولاً، يجب أن نسأل ما إذا كانت هناك حجج مناسبة مؤيدة أو داحضة مستبعدة. فمثلاً، هل كان من الممكن أن يقود إدراج المؤلف لحجج مؤسسة *تنظيم الأسرة* إلى رد فعل مخالف لاستدلاله؟

ثمة معلومات مهمة أخرى مستبعدة تتعلق بأدلة المؤلف لتعضيد افتراضه أن القاصرات عاجزات عن التعامل مع مواقف كالإجهاض بعقلانية كافية. فبينما يمكن البرهنة على أن العقلانية والحكم يكونان مشوشين فى مرحلة المراهقة أو أن للمراهقين مستويات عقلانية متعددة من المعرفة تختلف باختلاف مراحل حياتهم، فإن المؤلف لم يذكر أى دليل يدعم أو حتى يقترح هذه الفكرة. المؤلف يأمل منك ببساطة أن تساوى بين العمر الزمنى ومستوى النضج العقلى.

وأيضاً، يفشل المؤلف فى رؤية التأثيرات السلبية الكامنة فى تبنى قوانين موافقة الوالدين. يتمثل أحد هذه الآثار السلبية فى المخاطر التى يفرضها على صحة الفتاة. فقد تؤجل الفتاة طلب موافقة والديها على الإجهاض حرجًا أو خوفًا من الرفض. وكلما طالت فترة الحمل قبل الإجهاض، زادت مخاطر الإجراءات. من هنا، فمثل هذه القوانين قد تؤخر اتخاذ إجراءات الإجهاض الذى لا مفر من حدوثه فى فترة مبكرة من الحمل قدر المستطاع. وتكمن بعض الآثار السلبية الأخرى المحتملة فى ازدياد عدد حالات الإجهاض التى تتم فى الغرف الخلفية، والولادة دون مساعدة أحد، والتخلى عن الطفل الوليد، إذ أن المراهقات فى سعيهن للإجهاض سيبحثن عن طرق يتجنبن بها تنفيذ القانون.

وبالنسبة للمبرر الخامس، قد تكون المعلومات المحددة المتعلقة بتكرار وشدة الآثار الجسدية والعاطفية للإجهاض مفيدة. أيضاً، قد تؤدى المقابلات الشخصية مع القاصرات من ولايات تطبق وأخرى لا تطبق قوانين موافقة الوالدين على الإجهاض إلى اقتراح فروض تتعلق بأثر عدم ضرورة إخطار الآباء بالتطورات التى تعقب الإجهاض على المدى البعيد.

ثمة أثر سلبى آخر محتمل على المدى البعيد. فتطبيق مثل هذه القوانين قد يفتح الباب على مصراعيه أمام طوفان من الانتهاكات لحقوق القصر. والحجة الكلاسيكية هنا هى: إذا قلصنا من الحقوق فى مجال معين، فلم لا نقلصها فى مجال آخر؟ ولا ينبغى لشيوع هذه الحجة أن يثنينا عن فحص صحتها من الناحية المنطقية. فإذا تم

قبول تبرير قوانين موافقة الوالدين وتطبيق مبررات مماثلة على موضوعات أخرى، كحق القاصر فى اختيار الطرف الذى يعيش أو تعيش معه بعد الطلاق، فمن المرجح قبول المبررات مرة أخرى. قبل أن تناصر هذه الحجة أو تلك، ينبغى أن تضع فى حسبانك الآثار المحتملة على المدى البعيد.

ما النتائج الوجيهة الممكنة ؟

دعونا نبدأ بسرد المبررات التى كانت أقل عرضة للنقد من جانبنا – مع الإقرار بأن الاستدلال بمجمله يحتوى على أخطاء. بعد ذلك سوف نحدد نتائج بديلة تتسق مع هذه المبررات.

١ – القصر عاطفيون ومتهورون بحيث لا يستطيعون اتخاذ قرارات مناسبة تتعلق بالإجهاض.

٢ – سوف تقلل معرفة الآباء بالإجهاض من الآثار الجانبية الجسدية والعاطفية.

تذكر أننا نبحث عن نتيجة وجيهة تغاير نتيجة المؤلف وفقًا لأفضل المبررات المقدمة.

إحدى النتائج البديلة المتوافقة مع المبررات القوية المقدمة تقر أنه على المجتمع أن يجعل القاصرات يناقشن مشكلاتهن بيسر، قبل وبعد الإجهاض، مع شخص آخر غير الوالدين، مثل المرشد المدرسى، أو رجل دين، أو الأطباء فى العيادات. تكمن أحد النتائج الأخرى الممكنة فى التشجيع على تقديم المزيد من البرامج التى تيسر التواصل بين الآباء والمراهقين. فمثل هذه الجهود قد تزيد من احتمال قيام القاصرات طواعية باستشارة آبائهم ومن ثم تجعل قراراتهم أقل انفعالاً.

ثمة نتيجة ممكنة أخرى تتمثل فى توعية الآباء ليكونوا منتبهين لأعراض الاكتئاب والانفعالات العاطفية الأخرى، ربما من خلال الصحف والتليفزيون. إذا

استطعنا البرهنة على أن القاصرات الأكبر سنًا أكثر نضجًا من الأقل سنًا، فمفاد إحدى النتائج البديلة الوجيهة أن تكون موافقة الوالدين على الإجهاض إلزامية فى بعض المواقف، كما فى حال سعى الفتاة الأقل من أربعة عشر عامًا إلى إجراء الإجهاض.

لقد اقتصر نقاشنا الناقد فقط على بعض جوانب الخلاف حول موافقة الوالدين على إجهاض القاصرات. يمكنك أن تصب اهتمامك على جوانب أخرى من الحجة. وفى النهاية، إذا كنت مهتمًا بهذا الموضوع، ينبغى أن تقرر أى الاستدلالات تؤيد. مهمة التفكير الناقد تقتصر على ذلك. أما الخطوة الأخيرة فتتوقف عليك أنت.

يمكنك أن تشعر نسبيًّا بالثقة إذا أخذت بقائمة الأسئلة التى قدمناها لك، لأنك تكون طرحت الأسئلة المناسبة حول الحجة واستعددت جيدًا لتكوين رأيك الخاص المبرر الذى يتعلق باستدلال المؤلف. ولكى تصل إلى قرارك الخاص فى هذا الموضوع، فإننا ننصحك بالبحث عن معلومات أخرى متعلقة بالموضوع وأن تختار المبررات والقيم الأكثر اتساقًا مع ما تعرفه وما تهتم به.

كلمة أخيرة

التفكير الناقد أداة وجدت لمساعدتك. قيامه بهذه الوظيفة قد يتم بصورة جيدة أو صورة سيئة. ونود أن نختتم الكتاب بحضك على الاستخدام الأمثل لاتجاهات ومهارات التفكير الناقد التى بذلت قصارى جهدك لتنميتها.

أسلوب تفكيرك الناقد

باعتبارك مفكرًا ناقدًا، أصبحت لديك القدرة لأن تسلك كالمحارب المشاكس، الذى يبحث دائمًا عن سبل يرد بها مكر أولئك الذين يحيدون عن الاستدلال السليم. بيد أن التعلم وفقًا للكثير من الرؤى المهمة ليس سوى نشاط اجتماعى. نحن فى حاجة إلى

بعضنا البعض من أجل التطوير، ومن أجل النقاش والحديث. وليس من بيننا من هو موهوب لدرجة تجعله يقف وحيداً في وجه الصعوبات التي يواجهها.

من هنا، يحتاج المفكرون الناقدون لأن يعوا ما يقولون عندما يستخدمون تفكيرهم الناقد. عندما تستخدم التفكير الناقد، فإنك تبعث برسالة معينة إلى الآخرين تتعلق بما يعنيه التفكير الناقد بالنسبة لك. ويتحقق تأثير هذه الرسالة حين تجمع بين الدهشة والإثارة اللتين تنتابان الطفل مع الطبيعة الارتيابية التي تنتاب أبرع العلماء، والتي يخفف من غلوائها تواضع يشبه تواضع القديسين. إن تفكيرك الناقد يبرز أمام الآخرين كطريق للوصول إلى نتائج أفضل. لكنك لا تسعى إلى الوصول إلى تلك النتائج بغرض التفوق على أصحاب النتائج الأخرى، بل لتمضي بنا قدماً نحو فهم أفضل لأنفسنا.

والنقد دائماً عمل يتطلب الكثير من الحذر. ففي كثير من الأسر والمدارس، يتماهى الاختلاف في الرأي مع السلوك الفظ. وفي مثل هذه الظروف، يكون الدور الاجتماعي المفضل هو قبول أي استدلال معلن على مضض. وبوصفك مفكراً ناقداً، ينبغي أن تستخدم القوة الكامنة في أسئلتك الناقدة في مثل هذا السياق وأن تعمل بوعي كي تتيقن من أن تفكيرك الناقد يبدو في أفضل صوره.

وأفضل إستراتيجية هي أن تقدم نفسك، كما فعل المؤلف الذي قدم الحجة في البداية، على أنك تتحسس الطريق، طامحاً إلى الوصول إلى نتائج أفضل. وليس المهم لمن يكون السبق في الوصول إلى أفضل النتائج؛ وإنما المهم هو البحث عن أفضل النتائج. فإذا ألمحت إلى من يريدون إقناعك بأنك شريك لهم في عملية كشف يرجى من ورائها الفائدة لك ولهم، فربما يعتبرون أسئلتك الناقدة أداة لا غنى لكل منكما عنها.

استراتيجيات التفكير الناقد الفعال

كيف يمكنك أن تجعل الآخرين يشعرون بأن تفكيرك الناقد إن هو إلا أداة حبية، يمكن أن ترتقى بحياة المتحدث والمستمع، القارئ والمؤلف؟ دائمًا ما تنتابنا الحيرة أمام هذا السؤال، شأن سائر المفكرين النقاد.

والآن دعونا نختتم هذا الكتاب ببعض الطرق التى نحاول أن نستعملها.

١ - كن متيقنًا من رغبتك الحقيقية فى فهم ما يقال. اطرح أسئلة تنم عن رغبتك فى فهم وقبول نتائج جديدة.

٢ - أعد التفكير فيما سمعت أو قرأت ثم اسأل نفسك عما إذا كان فهمك للحجة يتسق مع ما قيل أو كتب.

٣ - اعرض أسئلتك الناقدة كما لو كنت ترغب فى المعرفة. لا أخطر على استعمال التفكير الناقد من معايرة الآخرين بارتكابهم الأخطاء.

٤ - اطلب مبررات إضافية قد تمكن الشخص من صياغة حجة أقوى من التى قدمها أصلاً.

٥ - ابذل قصارى جهدك لاستمرار النقاش. عندما يعرض التفكير الناقد كقنبلة، فإن التفكير فى الموضوع يتوقف.

٦ - أطلب موافقة الآخرين كى تبحث عن أى مواطن ضعف فى الاستدلال. الغرض من وراء هذه الاستراتيجية هو تشجيع الشخص الآخر على أن يفحص الحجة معك.

٧ - اترك انطباعًا بأنك والشخص الآخر صنوان متعاونان، تعملان بغرض الوصول إلى الهدف نفسه - نتائج أفضل. نحن تواقون دائمًا إلى الاستماع لكل من قام بتطوير استراتيجيته الخاصة ليجعل التفكير الناقد أفضل ما يكون.

كلمة أخيرة، نود أن نحثكم على الانغماس فى مجابهة الموضوعات. التفكير الناقد ليس هواية لا طائل وراءها. فهو يقدم أساسًا للشراكة بصدد أفعال العقلاء. الاعتقادات رائعة، بيد أن ما يترتب عليها يتجلى فى ما يعقب ذلك من سلوك. بعد أن تعثر على أفضل إجابة لسؤالك، عليك أن تسلك وفق تلك الإجابة. ليكن تفكيرك الناقد أساسًا لخلق هوية يمكنك أن تفخر بها. إتخذ من التفكير الناقد نبراسًا للعمل من أجلك ومن أجل المجتمع الذى تجد نفسك فى رحابه.

المحرران فى سطور :

١- نيل براون

أستاذ الاقتصاد والفلسفة بجامعة : Bowing Green State university

- دكتوراه من جامعة تكساس، حاصل على العديد من الجوائز من بينها جائزة التميز الجامعى وجائزة : Lifetime Achievement Award

- مستشار للعديد من الهيئات البحثية والأكاديمية للولايات المتحدة من بينها : جامعة إنديانا، جامعة كولرادو ، هيئة الأمن القومى، IBM.

من أهم أعماله :

- طرح الأسئلة الخضراء : التفكير الناقد وسياسات البيئة (2009).
- مرشد لدراسة التفكير الناقد فى مجال الأعمال التجارية، (2003).
- التفكير الناقد والإنترنت (2003).
- الأخلاقيات التطبيقية لرجل الأعمال الناجح، (2004).
- وجدتها على شبكة الإنترنت (11 جزء) ، (2003).

٢- ستيورات م. كيلى

- أستاذ شرف علم النفس بجامعة **Bowing Green State University**.
- حصل على العديد من جوائز التميز.
- له العديد من المؤلفات فى التفكير الناقد والتعليم الجامعى، وأشرف على أكثر من 20 رسالة دكتوراه فى مجال التفكير الناقد .

من أهم أعماله:

- العلوم السياسية تقديم مصادر شبكة الإنترنت ، (2003).
- طرح الأسئلة المناسبة : مرشد لعلم نفس الشواذ، (1994).
- الطموح نحو التميز الأكاديمى ، (1996).

المترجمان فى سطور :

د . محمد أحمد محمد السيد

أستاذ ورئيس قسم الفلسفة كلية الآداب – جامعة المنيا.

* دكتوراة فى الآداب 1991 (منطق وفلسفة علوم) Boston College

* التخصص : فلسفة (منطق وفلسفة علوم).

* الاهتمامات البحثية (فلسفة العلم ، تطوير ونمو المعرفة العلمية، التفكير الناقد ، أخلاقيات العلم، المنطق.

بحوث وكتب مختارة:

* غواص فى بحر الفلسفة، أوراق فلسفية ، 2009.

* دفاع عن عقلانية العلم : دراسة فى نظرية لاكاتوش، الخطاب : أوراق علمية محكمة – 2008.

* اللاقياسية واللاعقلانية فى فلسفة العلم عند توماس كون، جامعة الإمارات العربية المتحدة، أبريل – 2005.

* الثورات العلمية المجهضة فى العلم العربى، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية 2004، أبريل – 2004.

* أخلاقيات الاستنساخ البشرى جامعة المنيا، مارس – 2003.

* هل العلوم الاجتماعية أدنى مرتبة ؟ ، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة الإمارات العربية المتحدة، يناير – 2002.

* علم النفس بين التشرذم والوحدة ، مجلة علم النفس، الهيئة العامة للكتاب ديسمبر - 1993.

* أزمة الفكر الفلسفى المعاصر، جامعة المنيا ديسمبر، 1991 .

* الأسس المنطقية والمعرفية للتكنولوجيا، جامعة المنيا - مؤتمر يناير - 1998.

* التمييز بين العلم واللاعلم ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1996.

* بول فيرابند ، ثلاثة محاورات فى المعرفة، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1996.

أنشطة علمية وإدارية :

* رئيس قسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة المنيا.

* عضو المجلس الأعلى للثقافة بجمهورية مصر العربية.

* عضو لجنة الفلسفة والأديان - مكتبة الإسكندرية.

* نائب رئيس تحرير **Editorial Assistant** مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة الإمارات العربية المتحدة 2001 - 2005.

* عضو الجمعية الفلسفية الأمريكية **APA**.

* عضو هيئة تحرير مجلة الفلسفة والعصر . المجلس الأعلى للثقافة.

* عضو هيئة تحرير دورية الخطاب : أوراق علمية محكمة، الإسكندرية (2008).

د. نجيب المحجوب الحصادى

أستاذ كلية الآداب ، جامعة قار يونس، بنغازى ، ليبيا

التخصص العام فلسفة - التخصص الدقيق : منطق وفلسفة العلوم .

خبرات أكاديمية سابقة:

رئيس قسم الفلسفة ، كلية الآداب ، جامعة قار يونس ، بنغازى .

رئيس قسم الفلسفة ، كلية العلوم الإنسانية ، جامعة الإمارات العربية المتحدة، العين ، الإمارات العربية المتحدة ، منذ 2001 حتى 2005.

مؤلفات :

* أوهام الخلط (جامعة قار يونس ، ليبيا 1989).

* تقريظ المنطق (جامعة قار يونس ، بنغازى، 1989).

* تقريظ العلم (الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، ليبيا، 1990).

* نهج المنهج (الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا ، 1991).

* ليس بالعقل وحده (الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا 1992).

* معيار المعيار (الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، ليبيا ، 1992).

* أسس المنطق الرمزى المعاصر (دار النهضة العربية، بيروت ، 1993).

* أفاق المحتمل (جامعة قار يونس ، ليبيا ، 1994).

* جدلية الأنا - الآخر (الدار الدولية للنشر ، القاهرة ، 1996).

كتب مترجمة :

* كيف يرى الوضعيون الفلسفة (Ayer - Logical Positivism, A. J) (دار الآفاق ، المغرب ، 1994).

* نظرية المعرفة (Chisholm - Theory of Knowledge , R) (الدار الدولية للنشر، القاهرة، 1996).

* قراءات فى فلسفة العلم (Readings in the Philosophy of Science, B. Brody (دار النهضة العربية، بيروت، 1997).

* رجال الفكر (Men of Ideas, B. Magee) (جامعة قار يونس ، ليبيا ، 1998).

* المنتسخة (The Clone) (مشترك مع أ. بالقاسم الشتيوى) (الإدارة العامة للمعاهد ، ليبيا 2002).

* من وجهة نظر منطقية (W.V. Quine, From a Logical Point of View) (مجلس تنمية الإبداع، ليبيا ، 2004).

* إشكاليات فلسفية فى العلم الطبيعي (Science D. Shaper Philosophical Problems of Natural) (الهيئة القومية للبحث العلمى، ليبيا ، 2004).

* دليل أكسفورد الفلسفي (Philosoph T. The Oxford Companion to) (Honderich) (الهيئة القومية للبحث العلمى ،ليبيا ، 2005).

* التفكير الناقد فى القضايا الأخلاقية (Wile. T. Critically Thinking About Moral Issues)، (الهيئة القومية للبحث العلمى ، ليبيا 2005).



التصحيح اللغوى : ياسر مكى
الإشـراف الفنى : حسن كامل



التفكير الناقد نشاط مقلق بطبيعته، فهو محاولة لامتحان افتراضات نقرها أو نصادر عليها ونسلك بمقتضاها. والناس لايرغبون عادة فى أن تمتحن افتراضاتهم وتبتلى تصرفاتهم أكثر مما يجب، ولا يروقهم أن تصبح جذورهم بادية فى العراء. ثمة مبدأ يضمره كل تفكير ناقد، مؤداه أن الحقيقة ليست فى حوزة أحد، وأن قيمة الفكرة إنما تكمن فى وجاهة ما تؤسس عليه من أسباب، وأن الحوار مع الآخرين أفضل سبيل لفهمهم والإفادة من تجاربهم. من ثم يعد الاهتمام بمهارات التفكير الناقد مشروعًا تنويريًا يكرس قيم العقلانية والموضوعية والتعددية والتسامح الفكرى. إن التغاضى عن رأى الآخر، أو إسكاته أو التقليل من شأنه لمجرد أنه لا يتسق مع ما نقر من معتقدات، جريمة فى حق أنفسنا قبل أن يكون جريمة فى حق الآخرين.

ثمة خصائص عديدة يحفل بها هذا الكتاب، من بينها شمولية العرض وبساطته، وخلوه من الرموز والقواعد الصورية، كما يتميز هذا الكتاب أيضًا بالمسحة الارتيابية التى تكتنفه. إنه يقبل مبدأ تعددية الأجوبة الوجيهة فى حل أية مسألة خلافية. بيد أنه فى الآن عينه لا يوصد باب الاجتهاد فى وجه الخصوم، بل يؤكد ضرورة أن يختار القارئ الموقف الذى يراه مناسبًا مادام دافع عن رأيه بالحجة ودعمه بالشواهد المؤيدة.

تصميم الغلاف: عبد الحكيم صالح